

لُبَابُ النُّقُولِ

في تأويل حديث النزول

الشيخ عماد الدين جميل حليم الحسيني
الشافعي الأشعري



لُبَابُ النُّقُولِ

فِي تَأْوِيلِ حَدِيثِ النُّزُولِ

الشيخ عماد الدين جميل حليم الحسيني
الشافعي الأشعري

مُلْتَزِمُ الطَّبْعِ

شَرِكَةُ دَارِ الْمَشَارِقِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ ش.م.م.

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن،
 وصلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد سيد
 المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد:
 فإن الإيمان بالله تعالى هو أولى ما ينبغي للمرء أن يحرص عليه، فهو
 أفضل الأعمال، وأنفس النعم والمن، ومفتاح النجاة من الهلاك في
 الآخرة، ولذا كانت صيانة العقيدة أولى ما يتنافس في الحرص عليه،
 ولا سيما عند ظهور أصحاب البدع والأهواء الضالة، المشوشين على
 أهل الحق، الموهين على العامة بما يتبتون من سموم شبهاتهم ليحرفوا
 عقيدتهم، ويغرقوهم في مستنقعات التشبيه والكفر رافعين تارة اسم
 السلف الصالح، وتارة اسم أهل الحديث، وتارة اسم شيخ الإسلام
 فلان، أو الحافظ فلان، وتارة بالمجاهرة بالانتساب إلى الإمام المبجل
 أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فيقولون: هذه عقيدتنا، نحن
 الحنابلة، ويوردون تحت هذا الاسم عقائد التشبيه والتجسيم، كذبا
 على هذا الإمام وافتراء، وزورا وباطلا وبهتاناً، كما فضحهم من قبل
 إمام الحنابلة في عصره، شيخ العراق وواعظ الآفاق الحافظ العلامة
 المفسر المتكلم الإمام ابن الجوزي القرشي الحنبلي في كتابه النفيس «دفع
 شبه التشبيه بأكف التنزيه»، فقال يصف حالهم وكذبهم: (الطويل)
 وجاءك قوم يدعون تمذهبا بمذهبه، ما كل فرع له أصل

ومالوا إلى التشبيه أخذًا بصورة الذي نقلوه في الصفات وهم غفل
وقالوا الذي قلناه مذهب أحد فقال إلى تصديقهم من به جهل
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا
لعمرى لقد أدركت منهم مشايخًا وأكثر من أدركته ما له عقل!

ويكفي هذه النحلة خزيًا أنها رمت بالكفر والجهل والضلال عددًا
من أعلام الأمة ونجوم الأئمة، فكفاهم خزيًا تكفيرهم السلطان صلاح
الدين الأيوبي، والحافظ محيي الدين النووي، وقاتح القسطنطينية،
السلطان المبشر بالفتح، المخصوص بالمدح، الخليفة محمد الفاتح
وغيرهم من السادة الأكابر!

ومما هو دأب هؤلاء المشوشين الخوض بين الناس والعوام باستنزاهم
إلى ظواهر النصوص المتشابهة من القرآن والحديث، لإقناعهم بنسبة
الجهة والحركة إلى الله تعالى، وعمدتهم في ذلك حديثان واردان في
الصحيح: حديث الجارية، وحديث النزول.

وأما حديث النزول الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما، ولفظ
البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك عن ابن شهاب عن أبي
سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه
من يستغفرني فأغفر له»، فلا يجوز أن يحمل على ظاهره لإثبات النزول

من علو إلى سفلى في حق الله تعالى.

ومن الناس كالمشبهة مدعي السلفية - من يفسر هذا الحديث بأن الله ينزل من علو إلى سفلى ثم يتكلم بهذا الكلام. إنَّ فهمهم هذا يدل على سخافة عقولهم، وذلك لأن الليل يختلف باختلاف البلاد، فعلى قلوبهم يلزم أن يكون الله تعالى في السماء الدنيا طالعا إلى العرش كل لحظة من لحظات الليل والنهار، وهذا سخافة عقل، أما عند أهل الحق الذين ينزهون الله عن الجهة والحد فإن هذا النزول ليس نزولا حسيًّا بل هو عبارة عن نزول ملائكة الرحمة إلى السماء الدنيا بأمر الله على حسب ليل كل أرض، فهؤلاء الملائكة ينزلون ثم يبلغون عن الله يقولون: إن ربكم يقول: هل من داع فاستجب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، هم يبلغون عن الله بأمره ذلك إلى أن يفجر الفجر، وهذا شيء يقبله العقل أما ما يقوله المشبهة فهو شيء لا يقبله الشرع ولا العقل وهذا التأويل أخذه أهل السنة والجماعة من رواية النسائي: «إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا ينادي هل من داع فيستجاب له وهل من مستغفر فيغفر له وهل من سائل فيعطيه»، هذه الرواية الصحيحة تفسر الرواية الأخرى، لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله تعالى ليبلغوا عنه عبر الرسول عن ذلك بوحى من الله بعبارة «ينزل ربنا» إلى «أخره» كلتا العبارتين أوحى بهما إليه، ولذلك نظير في القرآن أن قال الله تعالى في حق آدم وحواء: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؛ فإن

المعنى: أم الملك بلغهما ذلك عن الله، وفي ذلك دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردّ اعتراض بعض المجسمة على رواية النسائي الصحيحة لحديث النزول، حيث إن بعض الزائغين قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فاستجب له، وإنا نرد كلامه بقولنا: كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء مضافاً إليه بقوله عز وجل: ﴿وَقَادَهُمَا رَبُّهُمَا آتَاهُمَا عَنْ يَمِينِكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرَةِ لِكُفَاكِ الْغُلَامِ وَالْغُلَامِ﴾، كذلك يحمل حديث النزول في روايته المشهورة على رواية النسائي، وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه «من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فاستجب له ومن يسألني فأعطيه»، بل المعنى أن الملك ينزل إلى السماء الدنيا بأمر الله ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فاستجب له ومن يسألني فأعطيه، كما أنه ليس معنى الآية أن آدم وحواء سمعا ذلك من الله لأن آدم لم يكن نبياً في ذلك الوقت وحواء ليست نبيّة، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَكَنَ لِيَتَعَجَّلَ الْيَوْمَ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَلْقَ قُرْآنَهُ (١٨)، ليس معناه على ظاهر اللفظ، بل معنى الآية: فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا، ومن هذا الذي يظن أن الله كان يقرأ على الرسول القراءان كما يقرأ المعلم على التلميذ؟! وبهذا التفسير يُحل الإشكال الذي يورده بعض هؤلاء الزائغين، وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في

زمانه بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» عن حديث النزول المذكور «أنفاً: اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه: الأول: النزول من صفات الجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام منتقل ومنتقل عنه ومنتقل إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كل لحظة على قوهم ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ولا يقول ذلك ذولب ونحصيل.

الثالث: إن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضائل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين؛ انتهى.

وقال الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» - الذي فضح فيه سلف ابن تيمية في تشبيه الله بخلقه، وبين رحمه الله براءة الإمام أحمد رضي الله عنه من المشبهة - بعد أن ذكر حديث النزول ما نصه: «إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير، وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن

النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يقتصر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن، وجسم ساقل، وجسم ينتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعاً. ثم قال الإمام ابن الجوزي: «قال ابن حامد - وهو أحد أسلاف ابن تيمية في التجسيم والتشبيه - هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل، قلت - أي ابن الجوزي - وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى، ومنهم - أي المشبهة - من قال يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق، وقد حكوا عن أحمد - أي ابن حنبل - ذلك وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته تعالى قديمة أي أزلية لأن الله أزلي لا بداية له وهو موصوف بصفات الكمال اللاتقة به سبحانه أزلاً وأبداً لأنه تعالى منزّه عن النقائص» اهـ.

وقد قال الإمام الفقيه أبو سليمان الخطابي في شرحه على البخاري عند شرحه حديث النزول: «إن النزول الذي هو قَدَلٌ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت هو صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته يعباده واستجابته دعائهم ومغفرته لهم، يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾».

وقال في موضع آخر: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» اهـ.

وقال في شرحه على سنن أبي داود راداً على من وصف الله بالحركة: «والله سبحانه لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، وا عز وجل متعال عنهما ليس كمثله شيء، وإنما ذكرت هذا لكي يتوقى الكلام فيما كان من هذا النوع، فإنه لا يثمر خيراً ولا يقيد رشداً، ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بها لا يجوز من الفاسد محال» اهـ.

وقد ذكر رحمه الله ذلك بعدما ذكر حديث النزول؛ ولا يخفى على من مارس شيئاً من علم الرجال أن أبا سليمان الخطابي من أئمة اللغة والفقه والحديث ووافقه في قوله صاحب لسان العرب حيث يقول في مادة «نزل» عند ذكره حديث النزول ما نصه: «النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ويتقدس؛ والمراد به نزول الرحمة والألطف الإلهية وقربها من العباد، وتخصيصها بالليل وبالثلث الأخير منه لأنه وقت التهجد وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله، وعند ذلك تكون التوبة خالصة، والرغبة إلى الله عز وجل وافرة، وذلك مظنة القبول والإجابة» اهـ.

وروى البيهقي عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه سئل عن حديث النزول فقال رضي الله عنه: «النزول بلا كيف». وروى كذلك البيهقي عن المزني: «إن المجيء والنزول صفتان

منقبتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال»
اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري عند ذكره
لحديث النزول: «إن من حمله على ظاهره وحقيقته هم المشبهة تعالى
الله عن قولهم»، ثم نقل عن البيضاوي أنه قال: «ولما ثبت بالقواطع
أنه سبحانه منزّه عن الجسميّة والتّحيّز امتنع عليه النزول على معنى
الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه فالمراد نور رحمته»، وأقره
الحافظ ولم يتعقبه.

وقال القسطلاني في شرح البخاري^(١) عند ذكره لهذا الحديث: «هو
نزول رحمة ومزید لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة
وانتقال لاستحالة ذلك على الله، فهو نزول معنوي»، ثم قال: «نعم يجوز
حمله على الحسي ويكون راجعاً إلى ملكه الذي ينزل بأمره ومهيبة» اهـ.

ومثله قال أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي عند
ذكر حديث النزول^(٢).

ثم إن الذي يتّثبت بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية
المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب
له من الثّلت الآخر إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربيّة،

(١) (٣٢٣/٢)

(٢) (٢٣٥/٢)

وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبث بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبَّهُمَا أَلَمْ أَنْتَهُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ أن آدم وحواء التي لم تكن نبيه قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساويين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عز وجل قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله؛ ومن هذا الباب أيضا قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، فإن الله أضاف الكتابة إلى نفسه لأنه هو الأمر بها، أمر بها الكتبة من الملائكة وليس من صفات الله الكتابة أو القراءة كما سبق وبيناه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قرَأْتُهُ فَأَنبِئْهُ﴾، ثم إن خزنة جهنم من الملائكة هم الذين يقولون للكفار: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وليس المراد أنه تعالى يسمع الكفار كلامه الذاتي الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت، وإنما أضيف هذا القول إلى الله لأنه تعالى هو الذي أمر به كما ذكره المفسرون كالنسفي وغيره ولو أردنا تتبع هذا الباب لكان شيئا كثيرا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، فهل يفهمون من قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾ في هذه الآية أن الله أسمع اليهود الذين مسخهم قردة كلامه الذاتي الأزلي كما أسمعه

موسى عليه السلام أم أنهم يؤولونها ويخرجونها عن ظاهرها ويقولون إن المراد «جعلناهم قرنة خامسين» وأن هذا مجاز كما في حاشية الشهاب على البيضاوي وغيره من كتب التفسير؛ وقد قال الإمام الزبيدي في «تحاف السادة المتقين» ما نصه: تكميل ذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنبر الإسكندري المالكي في كتابه «شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرر نقيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ «لا تفضلوني على يونس بن متى» فقال مالك: إنها خص يونس بالثنية على التنزيه لأنه ﷺ رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر ونسبتها مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة؛ ثم بين رحمه الله أن الفضل بالمكانة لا بالمكان. - والمراد بهذا البحث إثبات تنزيه الله تعالى عن المكان والجهة والحيز. -

فائدة:

قال الإمام أبو نصر القشيري في التذكرة الشرقية: «إن قيل أليس الله يقول ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فيجب الأخذ بظاهره، قلنا: الله يقول أيضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ويقول تعالى ﴿إِلَّا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾. فينبغي أيضًا أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطًا بالعالم محققًا به بالذات في حالة واحدة، والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة واحدة بكل مكان. قالوا: قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني بالعلم، «وبكل شيء محيط» إحاطة العلم قلنا: وقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قهر وحفظ

وَأَبْقَى، وَلَوْ أَشْعَرَ مَا قَلْنَا تَوْهَمَ غَلْبَتِهِ لِأَشْعَرَ قَوْلُهُ ﷺ وَهُوَ الْقَاهِرُ قَوْقُ عِبَادِهِ ﷺ. بِذَلِكَ أَيْضًا حَتَّى يُقَالَ كَانَ مَقْهُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْعِبَادِ، هَيْهَاتَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلْعِبَادِ وَجُودٌ قَبْلَ خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ، بَلْ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَوْهَمُهُ الْجَهْلَةُ مِنْ أَنَّهُ اسْتَوَاءٌ بِالذَّاتِ لِأَشْعَرَ ذَلِكَ بِالتَّغْيِيرِ وَاعْوِجَاجِ سَابِقِ عَلَى وَقْتِ الْإِسْتَوَاءِ، فَإِنَّ الْيَارِيَّ تَعَالَى كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ الْعَرْشِ، وَمَنْ أَنْصَفَ عِلْمَ أَنْ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ الْعَرْشُ بِالرَّبِّ اسْتَوَى أَمِثْلَ مَنْ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ الرَّبُّ بِالْعَرْشِ اسْتَوَى، فَالرَّبُّ إِذَا مَوْصُوفٌ بِالْعُلُوِّ وَفَوْقِيَّةِ الرِّبَّةِ وَالْعِظَمَةِ وَمَنْزَرِهِ عَنِ الْكُونِ فِي الْمَكَانِ وَعَنِ الْمَحَازَةِ. وَقَدْ نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الرِّعَاعِ لَوْلَا اسْتَنْزَاهُ لِلْعَوَامِ بِمَا يَقْرُبُ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَيَتَصَوَّرُ فِي أَوْهَامِهِمْ لِأَجَلَّتْ هَذَا الْكِتَابَ عَنْ تَلَطُّيخِهِ بِذِكْرِهِمْ، يَقُولُونَ - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - : «نَحْنُ نَأْخُذُ بِالظَّاهِرِ وَنَحْمِلُ الْآيَاتِ الْمَوْهَمَةَ تَشْبِيهًا وَالْأَخْبَارَ الْمَوْهَمَةَ حَذًّا وَعَضْوًا عَلَى الظَّاهِرِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَطْرُقَ التَّأْوِيلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ» وَيَتَمَسَّكُونَ (عَلَى زَعْمِهِمْ) بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﷻ وَمَا يَسْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ. وَهَؤُلَاءِ - وَالَّذِي أَرْوَاهُنَا بِيَدِهِ - أَضَرَّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَعِبَدَةِ الْأَوْثَانِ، لِأَنَّ ضَلَالَاتِ الْكُفَرِ ظَاهِرَةٌ يَتَجَنَّبُهَا الْمُسْلِمُونَ وَهَؤُلَاءِ أَتَوَا الدِّينَ وَالْعَوَامَ مِنْ طَرِيقٍ يَغْتَرِبُ بِهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ فَأَوْحُوا إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ بِهِذِهِ الْبِدْعِ وَأَحْلَوْا فِي قُلُوبِهِمْ وَصَفَ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِالْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ وَالرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ وَالِاتِّكَاءِ وَالِاسْتِلْقَاءِ وَالِاسْتَوَاءَ بِالذَّاتِ وَالتَّرَدُّدَ فِي الْجِهَاتِ، فَمَنْ أَصْغَى إِلَى ظَاهِرِهِمْ يَبَادِرُ بَوْهَمِهِ إِلَى تَخْيِيلِ الْمَحْسُوسَاتِ فَاعْتَقَدَ الْفَضَائِحَ فَسَالَ بِهِ

السَّيْلُ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرَسَاها وَمَتَى وَقُوعُها، فَلَمُنْشَاهُ إِشَارَةً إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ فَلَيْسَ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ ﷻ، أَيُّ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا قِيَامَ السَّاعَةِ، وَكَيْفَ يَسُوعُ لِقَائِهِ أَنْ يَقُولَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا سَبِيلَ لِمَخْلُوقٍ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، أَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْقَدَحِ فِي النَّبَوَاتِ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا عَرَفَ تَأْوِيلَ مَا وَرَدَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَدَعَا الْخَلْقَ إِلَى عِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَلِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ﷻ، فَإِذَا عَلَى زَعْمِهِمْ حُجُبٌ أَنْ يَقُولُوا كَذِبٌ حَيْثُ قَالَ «بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا عَنْدهُمْ إِلَّا قَائِنٌ هَذَا الْبَيَانُ؟! وَإِذَا كَانَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ فَكَيْفَ يَدْعِي أَنَّهُ مِمَّا لَا تَعْلَمُهُ الْعَرَبُ لِمَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ عَرَبِيًّا، فَمَا قَوْلُ فِي مَقَالِ مَالِهِ إِلَى تَكْذِيبِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ؟! ثُمَّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَوْ كَانَ فِي كَلَامِهِ وَفِيهَا يَلْقَاهُ إِلَى أُمَّتِهِ شَيْءٌ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لَكَانَ لِلْقَوْمِ أَنْ يَقُولُوا بَيِّنْ لَنَا أَوَّلًا مَنْ تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَمَا الَّذِي نَقُولُ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِمَا لَا يَعْلَمُ أَصْلَهُ غَيْرُ مَتَأَتٍ، وَنَسَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَنَّهُ دَعَا إِلَى رَبِّ مُوصُوفٍ بِصِفَاتٍ لَا تَعْقِلُ أَمْرَ عَظِيمٍ لَا يَتَخِيلُهُ مُسْلِمٌ، فَإِنَّ الْجَهْلَ بِالصِّفَاتِ يُوْدِي إِلَى الْجَهْلِ بِالْمُوصُوفِ، وَالْغَرَضُ أَنْ يَسْتَبِينَ مَنْ مَعَهُ مَسْكَةٌ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يَقُولَ مَنْ يَقُولُ: «اسْتَوَاقُهُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَا يَعْقِلُ مَعْنَاهَا وَالْقَدَمُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَا يَعْقِلُ مَعْنَاهُ» تَمْوِيهِ ضَمْنَهُ

تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل، وقد وضع الحق لذي عينين وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الإنكار في كل شيء وفي كل آية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى، فإن امتنع عن التأويل أصلاً فقد أبطل الشريعة والعلوم إلا ما كان نحو قوله تعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأن ثم أشياء لا بد من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملاحدة الذين قصدتهم التعطيل للشرائع، والاعتقاد لهذا يؤدي إلى إبطال ما هو عليه من التمسك بالشرع بزعمه، وإن قال يجوز التأويل على الجملة إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا مصير منه إلى أن ما يتعلق بغير الله تعالى يجب أن يعلم وما يتعلق بالله وصفاته يجب التقاضي عنه وهذا لا يرضى به مسلم.

وسر الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولون له يد لا كالأيدي وقدم لا كالأقدام واستواء بالذات لا كما نعقل فيها بينما فليقل المحقق هذا كلام لا بد من استبيان، قولكم: نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض، إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر وإن لم يمكنك الأخذ بها فأين الأخذ بالظاهر؟! أليست قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر فكيف يكون الأخذ بالظاهر وإن قال الخصم هذه الظواهر لا معنى لها أصلاً

فهو حكم بأنها ملغاة، وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هدر وهذا محال، وفي لغة العرب ما شئت من التجوز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق. وقد قيل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، فكأنه قال والراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون «أما به فإن الإيمان بالشئ إنما يتصور بعد العلم أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأت. ولهذا قال ابن عباس: «أنا من الراسخين في العلم» انتهى كلام القشيري.

ويؤيده قول رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» رواه ابن ماجه.

وقد ظهر مصداق دعوة النبي ﷺ لابن عباس حيث إنه - رضي الله عنهما - أول قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾، قال ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي بقوة، رواه ابن أبي طلحة في صحيفته عن ابن عباس، وكذا أول ابن عباس قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال يوم يكشف عن كرب وشدة، رواه الخطابي في شرح صحيح البخاري والحاكم وصححه وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري.

اعلموا رحمكم الله أنه لا مانع لغة ولا شرعًا من تأويل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقد ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات

فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ، وَالسَّمِينِ الْحَلَبِيِّ فِي عَمْدَةِ الْحِفَاطِ وَالزَّبِيدِيِّ فِي
تَاجِ الْعُرُوسِ شَرْحِ الْقَامُوسِ حَيْثُ نَقَلَ عَنِ الرَّاعِبِ قَوْلَهُ: إِنْ لَفْظُ
اسْتَوَى مَتَى عَدِّي بَعْلَى اقْتَضَى الِاسْتِيْلَاءَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ اهـ. وَنَقَلَهُ مَقْرَأًا لَهُ حَيْثُ لَمْ يَتَعَقَّبْهُ وَذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ
فِي الصَّحَاحِ وَالرَّازِيُّ فِي مَخْتَارِهِ وَغَيْرُهُمْ كَأَبِي بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالَكِيُّ
وَالْغَزَالِيُّ.

وَالسَّبْكِيُّ الْحَافِظُ الْإِمَامُ اللَّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ حَيْثُ يَقُولُ: «وَالْمُرَادُ
بِالِاسْتِواءِ كِمَالُ الْمَلِكِ وَهُوَ مُرَادُ الْقَائِلِينَ بِالِاسْتِيْلَاءِ»، ثُمَّ يَقُولُ
السَّبْكِيُّ: «فَالْمُقَدَّمُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ لَمْ يَرْتَكِبْ مَحْذُورًا وَلَا وَصَفَ اللَّهِ
تَعَالَى بِمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ»، ثُمَّ يَقُولُ السَّبْكِيُّ: «إِنَّ الْجُلُوسَ وَالْقُعُودَ مِنْ
صِفَاتِ الْأَجْسَامِ لَا يَعْقِلُ مِنْهُ فِي اللُّغَةِ غَيْرَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى مِنْزَهُ عَنْهَا،
وَمَنْ أَطْلَقَ الْقُعُودَ وَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَرِدْ صِفَاتُ الْأَجْسَامِ قَالَ شَيْئًا لَمْ تَشْهَدْ
لَهُ بِهِ اللُّغَةُ فَيَكُونُ بَاطِلًا وَهُوَ كَالْمَقْرَرِ بِالتَّجْسِيمِ الْمُنْكَرِ لَهُ فَيُؤَاخِذُ بِإِقْرَارِهِ
وَلَا يَفِيدُهُ إِنْكَارُهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَامِلُ الْمَلِكِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَالْعَرْشُ
وَمَا تَحْتَهُ حَادِثٌ، فَاتَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ لِحَدُوثِ
الْعَرْشِ لَا لِحَدُوثِ الْإِسْتِواءِ» اهـ. وَأَقْرَهُ الزَّبِيدِيُّ فِي شَرْحِ الْإِحْيَاءِ
حَيْثُ نَقَلَهُ.

وَأَمَّا دَعْوَى الْمَجْسَمَةِ أَنَّ تَفْسِيرَ اسْتَوَى بِاسْتَوَى وَقَهْرٌ يَقْتَضِي سَبْقَ
الْمُغَالَبَةِ فَهُوَ مُرَدُّودٌ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ اهـ، فَلَمْ
تَوْهَمْ هَذِهِ الْآيَةُ سَبْقَ الْمُغَالَبَةِ وَحَيْثُ لَا إِيْهَامَ هُنَا فَلَا إِيْهَامَ هُنَاكَ.

وأما اعتراضهم على ذلك بقوله «إن الله قاهر لكل شيء» فلا فائدة من تخصيص العرش بالذكر، فيرد عليهم بأن الله قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات فهو قاهر لما دون العرش بالأولى وقد قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، فلم يقتض ذلك أن الله ليس رباً لما سوى العرش بل الله رب العالمين كما في قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين». وقد نقل الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن أن الإمام أحمد أول قول الله «أو يأتي ربك» (الأنعام ١٥٨) قال وهل هو إلا أمره بدليل قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ (النحل ٣٣).

فماذا ستقول الوهابية في الإمام أحمد الذي أول؟!

علماء السلف والخلف ينزهون الله عن النزول

بالحركة والانتقال:

١ - الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه^(٣):

سئل الإمام مالك - رحمه الله - عن نزول الرب عز وجل، فقال (ينزل أمره - تعالى - كل سحر، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو) اهـ.

٢ - الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صاحب

٣) سير أعلام النبلاء (٨/١٠٥)، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ص/١٣٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٣٧)، الإنصاف لابن السيد البطليوسي (ص/٨٢).

السنن في كتابه «الأسماء والصفات» عند ذكر هذا الحديث^(٤):

«أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدق به وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جل الله تعالى عما تقوله المعطلة لصفاته والمشبهة بها علواً كبيراً. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» انتهى كلام البيهقي.

٣- وروى البيهقي بإسناده عن الإمام إسحاق بن راهويه وهو من أئمة السلف أنه قال^(٥): «سألني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ - يعني

(٤) السنن الكبرى، البيهقي - المجلد الثالث، ص ٣.

(٥) الأسماء والصفات، البيهقي - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - ص ٥٦٨.

فِي النُّزُولِ - فَقُلْتُ لَهُ النُّزُولُ بِلَا كَيْفٍ».

٤ - قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ (ت ٤٥٨ هـ) صَاحِبُ السُّنَنِ: يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنْ اسْتَوَاءَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَيْسَ بِاسْتَوَاءٍ اعْتِدَالٍ عَنْ اعْوْجَاجٍ، وَلَا اسْتِقْرَارٍ فِي مَكَانٍ، وَلَا مِمَاسَةٍ لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، لَكِنَّهُ مَسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ بِلَا كَيْفٍ بِلَا أَيْنٍ، بَاطِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَأَنْ إِتْيَانَهُ لَيْسَ بِإِتْيَانٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَأَنْ مَجِيئَهُ لَيْسَ بِحَرَكَةٍ، وَأَنْ نَزُولَهُ لَيْسَ بِثِقَلَةٍ، وَأَنْ نَفْسَهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَأَنْ وَجْهَهُ لَيْسَ بِصُورَةٍ، وَأَنْ يَدُهُ لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ، وَأَنْ عَيْنُهُ لَيْسَتْ بِحَدَقَةٍ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَوْصَافٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ فَقُلْنَا بِهَا، وَنَفَيْنَا عَنْهَا التَّكْيِيفَ فَقَدْ قَالَ^(٦): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. وَقَالَ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. (وَقَالَ) ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ اهـ.

٥ - الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ الْبَاقِلَانِيُّ الْمَالَكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ (ت ٤٠٣ هـ) قَالَ مَا نَصَّهُ^(٧):

«وَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنْ كُلَّ مَا يَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ أَوْ عَلَى سَمَةِ النَّقْصِ فَالرَّبُّ تَعَالَى يَتَّقِدُسُ عَنْهُ، فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ تَعَالَى مُتَّقِدُسٌ عَنِ الْإِخْتِصَاصِ بِالْجِهَاتِ، وَالْإِتِّصَافِ بِصِفَاتِ الْمَحْدَثَاتِ، وَكَذَلِكَ لَا يُوصَفُ بِالتَّحَوُّلِ وَالْإِنْتِقَالِ، وَلَا الْقِيَامِ وَلَا الْقُعُودِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(٦) الْإِعْتِقَادُ وَالْهُدَايَةُ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ، الْبَيْهَقِيُّ - عَالَمُ الْكُتُبِ، بَيْرُوت - ص ٧٢.

(٧) الْإِنِّصَافُ فِيهَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَلَا يَجُوزُ الْجَهْلُ بِهِ - ص ٦٤.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك اهـ.

٦ - إمام الحرمين الجويني يقول في الإرشاد، أثناء كلامه عما روي بشأن النزول^(٨)؛ وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فأحاد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً، لكننا نومي إلى تأويل ما دون منها في الصحاح، فمنها حديث النزول، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جمعة ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيب له» الحديث، ولا وجه لحمل النزول على التحول وتفرغ مكان وشغل غيره فإن ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض، أحدهما الحكم بحدوث الإله، والثاني القدح في الدليل على حدوث الأجسام والوجه حمل النزول وإن كان مضافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين وذلك سائغ غير بعيد ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

معناه: إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله، ولا يبعد حذف المضاف وإقامة المضاف إليه تخصيصاً.

٧ - الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (ت

٦٧١ هـ) قال في تفسيره ما نصه^(٩): «والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، وأنى له التحول والانتقال ولا مكان له ولا أوان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، ومن فاته شيء فهو عاجز».

٨ - رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين بن جماعة (ت ٧٢٧ هـ) في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» ما نصه^(١٠): «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه لوجه:

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام منتقل، ومنتقل عنه ومنتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً، من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قوهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

(٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي - سورة الفجر.

(١٠) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ابن جماعة - دار السلام ١٤١٠ - ص ١٦٤.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملاء كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين: إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضائل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين^٩ انتهى كلام ابن جماعة.

٩ - الحافظ المتبحر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي في كتابه «دفع شبه التشبيه» بعد ذكر حديث النزول ما نصه: «إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير. وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال وهو مكان الساكن وجسم سافل وجسم يتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعاً».

١٠ - الإمام البيضاوي قال^(١١): «ما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزّه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد نزول رحمته، ويقال: لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق ببعته وصفته تعالى».

وكذلك بعض كلام نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني.

١١ - الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على الترمذي قال ما نصه^(١٢): «ثم إن الذي يتشبه بظاهر ما جاء في حديث النزول في الرواية المشهورة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له من الثلث الأخير إلى الفجر هو جاهل بأساليب اللغة العربية، وليس له مهرب من المحال الشنيع كما نص عليه الخطابي، ويلزم على ما ذهب إليه من التشبيه بالظاهر أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَقَادَتْهُمَا رَبُّهُمَا أَلَوْ أَنَّهُمَا عَنْ يَلَكُمَا الشَّجَرَةُ﴾ أن آدم وحواء النبي لم تكن نية قط سمعا كلام الله الذاتي الذي ليس بحرف ولا صوت مساوين لموسى على زعم المشبهة المتمسكين بالظواهر، فلو كان الأمر كذلك لم يبق لنبي الله موسى مزية، وذلك أن الله عز وجل قال:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فخص موسى بوصف كليم الله.

١٢ - قال النووي في شرحه على صحيح مسلم^(١٣): «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع

(١٢) عارضة الأحوذني بشرح سنن الترمذي، ابن العربي - دار الفكر، بيروت - المجلد الثاني، ص ٢٣٥.

(١٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي - المجلد السادس، ص ٣٦.

اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والوزاعي على أنها تتأول على ما يليق بها بحسب موطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما مراجعة فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ «انتهى كلام الثوري».

ويبطل ما ذهب إليه المشبهة من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض رواة البخاري ضبطوا كلمة «يُنْزَلُ» بضم الياء وكسر الزاي فيكون المعنى نزول الملك بأمر الله الذي صرح به في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أن الله يأمر ملكاً بأن ينزل فينادي، فتبين أن المشبهة ليس لهم حجة في هذا الحديث.

١٣ - وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري^(١٤): «وقال ابن العربي النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه». ثم قال: «والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. وحكى ابن فورك أن بعض

(١٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - المجلد الثالث - كتاب الصلاة: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزل ملكًا قال الحافظ وبقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد «أن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول هل من داع فيستجاب له» الحديث، وحديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد ينادي مناد هل من داع يستجاب له... الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

١٤ - الإمام العيني في شرح صحيح البخاري قال أثناء كلامه عن حديث النزول^(١٤): «وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من ينزل يعني من الإنزال وذكر أنه ضبط عن سمع منه من الثقات الضابطين، وكذا قال القرطبي قد قيده بعض الناس بذلك، فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أي ينزل الله ملكًا، قال: والدليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمُهِلُ حَتَّى يَأْتِيَ شَطْرَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا يَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجَابُ لَهُ»، وصححه عبد الحق، وحمل صاحب المفهم على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيه: «يُنَزَّلُ

ربنا»، بزيادة تاء بعد ياء المضارعة، فقال: كذا صحت الرواية هنا، وهي ظاهرة في النزول المعنوي واليهما يُرد «ينزل» على أحد التأويلات، ومعنى ذلك أن مقتضى عظمة الله وجلاله واستغنائه عن خلقه أن لا يعبا بحقيق دليل، لكن ينزل بمقتضى كرمه ولطفه، لأن يقول من يقرض غي عدوم ولا ظلوم، ويكون قوله «إلى السماء الدنيا» عبارة عن الحالة القريبة إلينا والدنيا والله أعلم.

١٥ - وقال القسطلاني في شرحه على البخاري عند ذكره لهذا الحديث^(١٦) «هو نزول رحمة ومريد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله فهو نزول معنوي» ثم قال «نعم يجوز حمله على الحسي ويكون راجعاً إلى ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه».

١٦ - الحافظ السيوطي قال في أثناء كلامه في شرح حديث النزول في «تنوير الحوالك»^(١٧): «فالمراد إذن نزول أمره أو الملك بأمره، وذكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه ينزل بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً».

١٧ - الإمام الزرقاني في شرحه على موطأ الإمام مالك نقل ما نقله

(١٦) شرح صحيح البخاري، القسطلاني - المجلد ٩، ص ٣٢٣.

(١٧) كتاب تنوير الحوالك (١/ ١٦٧).

ابن حجر عن ابن العربي وابن فورك وزاد ما نصه^(١٨): «وكذا حكى عن مالك أنه أوله بنزول رحته وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أي أتباعه بأمره» انتهى كلام الزرقاني.

١٨ - الملا علي القاري الحنفي قال في مرقاة المفاتيح بعد أن نقل كلام النووي بشأن معنى حديث النزول وأقوال العلماء فيه وبكلامه، وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين والغزالي، وغيرهم من أئمتنا^(١٩): «يعلم أن المذهبيين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة، والشخص، والرجل، والقدم، واليد، والوجه، والغضب، والرحمة، والاستواء على العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان، تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي...

إلى أن قال: بل قال جمع منهم ومن الخلف: أن معتقد الجهة كافر

(١٨) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني - دار الجيل، بيروت - (٣٤٠/٢).

(١٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/٢٩٩).

كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني.

١٩ - الحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي قال في كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير» وفي كتاب «التيسير بشرح الجامع الصغير» ما نصه: «قيل المراد نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة»، ثم قال في «فيض القدير» ما نصه: «لا نزول حركة وانتقال لاستحالته عليه تقدس فيه نزول معنوي» اهـ.

وختاماً، إليك أخي المؤمن هذه الخلاصة المهمة: لقد اتفق أهل التفسير أن خير ما يُفسَّر النَّصُّ الوارد النَّصُّ الوارد؛ فخير ما يفسَّر النَّصُّ القراء في السياق، وخير ما يُفسَّر الحديث الوارد الحديث الوارد، كما قال الحافظ العراقي في ألفيته:

وَحَيْرٌ مَا فَسَّرَهُ بِالْوَارِدِ كَالدُّخِّ بِالذُّخَانِ لَا بِنِ صَائِدٍ

ومن هذه القاعدة الذهبية النفيسة نطلق لبيان الآتي: الأحاديث الثلاثة التي يتمسك المشبهة بظاهرها، ويمنعون تأويلها لإثبات الجهة والحركة لله تعالى للعلماء في شرحها وتأويلها مسلك واضح يتفق مع تلك القاعدة، بل هو تطبيق لها، والتزام بها؛ وهذه الأحاديث الثلاثة هي: حديث الجارية، وحديث «ارحموا من في الأرض»، وحديث النزول.

- ففي حديث الجارية: على افتراض ثبوت رواية «أين الله»،

و«قالت: في السماء» يرى العلماء تأويله كما يلي:

١ - قول: «آين الله» دلالة: سؤال عن تعظيم الجارية لله تعالى، فلفظة (آين) في اللغة تستعمل لذلك، كقول عمرو بن العاص: «وآين معاوية من علي». ودليل هذا التأويل الرواية الأخرى للحديث في موطأ مالك: «أتشهدين أن لا إله إلا الله...»، ومعلوم أن شهادة أن لا إله إلا الله دلالتها إثبات تعظيم الله تعالى، لا إثبات الخير والجهة والمكان له.

٢ - وقول: «في السماء» دلالة: أن الله عظيم القدر جدًا. وهذا معروف في لغة العرب. ودليله قول الجارية وإقرارها: «أشهد أن لا إله إلا الله...».

فرواية مالك تفسر رواية مسلم، على فرض ثبوتها. بذلك اللفظ.


- وفي حديث الرحمة: الذي يفسر رواية: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» رواية: «يرحمكم أهل السماء» التي رواها الحافظ العراقي، وإسنادهما وأهل السماء - بالإجماع - هم الملائكة، فالله لا يقال له: أهل السماء. لذلك أول العلماء رواية «من في السماء» بالملائكة.

- وفي حديث الترويل: الذي يفسر لفظ «ينزل ربنا» الوارد في رواية البخاري المشهورة، وروايات عدد من الأئمة، لفظ «يأمر ملكا» فينزل الملك بأمر الله، وهو الوارد في رواية النسائي وهي «ثم يأمر منادياً يتنادي» وهذا المأمور المنادي هو غير الله بلا شك. وهو الملك، وهي

ثَابِتَةٌ صَحِيحَةٌ.

فَمَعْنَى (يَنْزِلُ رَبُّنَا): يَنْزِلُ (مَلَكٌ رَبُّنَا)، وَهَذَا مُجَازٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ
اللُّغَةِ، وَالبَلَاغَةِ، وَالْأَصُولِ، وَالتَّفْسِيرِ: بِالمَجَازِ الْعَقْلِيِّ وَدَلِيلِهِ الرِّوَايَةُ
الْأُخْرَى.

وَبَعْدُ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابِلْسِيُّ: (رَجَزُ)
هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ الْوَاضِحُ وَبِالَّذِي فِيهِ الْإِنَاءُ نَاضِحٌ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

A decorative frame with intricate scrollwork and floral patterns, surrounding the central text.

بيان الدلالة اللغوية للفظ
(النزول) من أقوال العلماء
واللغويين والمفسرين، وأنه
لا ينحصر في معاني الحركة
والانتقال، بل يأتي بعدة معانٍ؛
حقيقة ومجازية.

لِسَانُ الْعَرَبِ

لِلدَّيْمَامِ الْعِلْمَةِ أَبِي الْفَيْضِ حَبَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمِ
ابْنِ مَنْظُورٍ الْأَفْرَيقِيِّ الْمِصْرِيِّ

المجلد الحادي عشر

دار صادر
بيروت

نَزَل

نَزَلَ

تصب المشرق لأنه مصدر ،
وانزله غيره واستنزله يعني ، ونزله تنزيلاً ، والتنزيل
أيضاً : الترتيب . والنزال : النزول في مهلة . وفي
الحديث : بأن الله تعالى وتقدس ينزل كل ليلة إلى
سائر الدنيا والنزول والطيرة والحركة والسكون
من صفات الأسماء ، والله عز وجل ينزل عن ذلك
ويقتدي به ، والزيادة نزول الرحمة والألطاف
الإلهية وقربها من العباد ، وتخصيصها بالليل وبالثلاث
الأخيرة منه لأنه وقت الشجدة بظلمة الناس حتى
يتعرض لتعصبات راحة الله ، وعند ذلك تكون نسبة
خالصة والرحمة إلى الله عز وجل والغيرة ، وذلك مظهر
التبذل والإجابة . وفي حديث الجهاد : لا تنزلتهم
على حكمكم أنه ولكن أنزلتهم على حكمكم أي إذا
طلب العدو منك الأمان والقدام على حكم الله فلا
تعطيه ، وأعطيهم على حكمك ، فإنك ربما تخطئ
في حكم الله تعالى أو لا تفي به فتأتهم . يقال :
نزلت عن الأمر إذا تركته كأنك كنت مستعياً
عليه مستولياً .

ومكان نزل : ينزل فيه كثيراً ، من القبياني .
ونزال من غلتر إلى سفل : انحدار . والنزال في
الحرب : أن يقتلوا الفريقان ، وفي المعكم : أن
ينزل الفريقان عن أيديهما إلى خيلهما فيقتلوا ،
وقد تنازوا .

ونزال نزال أي أنزل ، وكذا الاثنان والجمع
والوقت بلفظ واحد واستباح الشاخ إليه خلقه فقال :

لقد علمت خيل يثوقان أني
أنا القاريس الحامي ، إذا قيل : نزال

١ قوله : لقد علمت سبق القم به مكلفاً في الأمل جميع التكميل
وأفنته يثوق من التكميل على موقان فتشاع ضمن آيات جميع
بها غيره بلفظ
وقد علمت خيل يثوقان أنه من القاريس الحامي إذا قيل نزال

الجوهري : ونزال مثل قظام يعني أنزل ، وهو
ممدول عن الشارة ، ولهذا أنه الشاعر بقوله :
وليسهم ستم الدرع أنت ، إذا
لمعت نزال ، ولج في المغير
قال ابن بري : ومنه يزيد الجيل :

وقد علمت خلافة أن حيتي
كثرت ، كما لمعت نزال
وقال خزيمة التميمي :

تحرختا نزال ، فلم ينزلوا ،
وكانت نزال ملهم أطم

قال : وقول الجوهري نزال ممدول من الشارة ، يدل
على أن نزال يعني الشارة لا يعني النزول إلى
الأرض ، قال : ويقضي ذلك قول الشاعر أيضاً :

ولقد شهدت الحبي يوم طرادها ،
بسلیم أوطيق القوائم حيتي
قد قوما نزال افكت أول قولي ،
وعلام أركب إذا لم أنزل ؟

وصف فرسه بحسن الطراد فقال : وعلام أركب إذا
لم أنزل الأبطال عليه ؟ وكذلك قول الآخر :

فليم أذخر الدماء عند الإغارة ،
إذا أنه لم أنزل إذا الحيل جالت ؟

فهذا يعني الشارة في الحرب والطراد لا غير ، قال :
وبذلك على أن نزال في قوله : قد قوما نزال
يعني الشارة دون النزول إلى الأرض قوله :

وعلام أركب إذا لم أنزل ؟

أي ولم أركب إذا لم أعالي عليه أي لم يجد عدم
قتالي عليه وإذا جعلت نزال يعني النزول إلى الأرض

مَشْكَالُ الْأَمِّ بَيْنَ يَدَيْهِ

لِلْأَمَامِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ بَنْفُورَكَ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٦ هـ

بِتَحْقِيقٍ وَتَعْلِيلٍ
لِوَسَى مُحَمَّدٍ رَضِيَ

عَالَمُ الْكُتُبِ

فمن ذلك : النزول بمعنى الانتزال وذلك في قوله سبحانه .

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾^(١) على معنى النقلة والتحويل .

ومن ذلك النزول بمعنى الإعلام ، كقوله عز وجل :

﴿ تَنْزِيلَ بِهِ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٢) .

أي أعلم به الروح الأمين محمداً ﷺ .

والنزول أيضاً بمعنى القول والعبادة وذلك في قوله عز وجل .

﴿ سَأُنْزِلُ مِنْكُم مِّثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٣) .

والنزول أيضاً بمعنى الإقبال على الشيء وذلك هو المستعمل في قولهم والجارى

في عرفهم ، وهو أنهم يقولون : إن فلانا أخذ بمكارم الأخلاق ثم نزل منها إلى سفاقها ، أي أقبل منها إلى رديتها .

ومثله في نقصان الدرجة والرقية لأنهم يقولون :

نزلت منزلة فلان عن فلان عما كانت عليه إلى ما دونها إذا انحط قدره عنده .

ومن ذلك أيضاً النزول بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قول الناس قد كنا في

عدل وخير ، حتى نزل بنا بنو فلان إلى حكمهم ، وكل ذلك في معنى النزول متعارف بين أهل اللغة غير مرفوع عندهم اشتراك معناه .

فأما قوله :

(١) سورة الفرقان آية ٤٨ .

(٢) الآية : ١٩٣ ، ١٩٤ من سورة الشورى .

(٣) الآية : ٩٣ من سورة الأنعام .

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾^(١)

فمن اهل التأويل من قال : معناه وخلقنا الحديد .

ومنهم من قال : إن الحديد أنزلناه على معنى النقل من علو الى اسفل .

فلما قوله :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾^(٢) فان انزال القرآن ليس هو على معنى النقل والتحويل لإستحالة الانتقال على الكلام ، وإنما هو بمعنى الإعلام والإسماع والإفهام .

وقوله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) .

يكشف أيضاً على انه ليس كل نزول وإنزال ، نقل وتحويل ، بل ذلك لفظ مشترك المعنى ، قد يكون نقلاً وتحويلاً ، ويكون على غير هذا الوجه ايضاً ، على المتعارف والمعهود بين اهل اللغة ، وإذا كان اللفظ مشترك المعنى ، وجب الترتيب وإضافة ما يليق في المذكور والمضاف اليه على حسب ما يليق به ، ألا ترى أنه إذا اضيف الى السكينة لم يكن حركة ولا ثقله وإذا اضيف الى الكلام لم يكن ايضاً تغريغ مكان وشغل مكان ، وإذا أريد به الحكم وتغير المرتبة فكل ذلك ، وإذا كان ما وصف به الرب جل ذكره من النزول محمولاً على بعض هذه المعاني التي لا تقتضي له ما لا يليق بنعته من إيجاب حدث يحدث في ذاته وتغيير يلحقه أو نقص تمثيلاً أو تحديداً ، وهو ان

(١) الآية : ٢٥ من سورة الحديد .

(٢) الآية : ٣ من سورة الدخان .

(٣) الآية : ٤ من سورة الفتح .

يَكُونُ عَلَى أَحَدٍ وَجْهٌ مِنَ الْمَعَالِي .

أَمَّا أَنْ يَرَادَ بِهِ إِقْبَالُهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِسْتِعْظَافِ بِالتَّذَكُّيرِ وَالنَّبِيهِ
الَّذِي يَلْقَى فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْخَيْرِ ، مَتَّبِعٌ مِنْ أَسْعَدِهِ بِتَوْفِيقِهِ لِعَاطَتِهِ حَتَّى يَرْجِعَهُمْ إِلَى
الْجِدِّ وَالْإِنْكَمَاشِ فِي التَّوْبَةِ وَالْإِثَابَةِ وَالْإِقْبَالَ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَوَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ
خَصَّ بِالْمَدْحِ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ وَقَالَ فِي وَصْفِهِمْ أَيْضاً :

﴿ تَخَانُوا قَلِيلاً مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١)

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (٢)

فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ بِهِ ، وَهُوَ الْأَخْبَارُ عَمَّا يَظْهَرُ مِنَ الطَّائِفَةِ وَمَعُونَتِهِ
وَتَأْيِيدِهِ وَلَا هَلْ وَلَا يَتَّهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ بِالزَّوْجَرِ الَّتِي يَقِيمُهَا فِي نَفْسِهِمْ وَالْمَوَاعِظَ الَّتِي
تَنْبِيهِهُمْ بِقُوَّةِ التَّرْغِيبِ (٣) وَالتَّرْهيبِ .

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِعْلاً يَظْهَرُ بِأَمْرِهِ فَيُضَافُ إِلَيْهِ ، كَمَا يَقَالُ ضَرْبُ الْأَمِيرِ
الْلَّصِّ ، وَنَادَى الْأَمِيرُ فِي الْبَلَدِ الْيَوْمَ ، وَإِنَّمَا أَمْرٌ بِذَلِكَ فَيُضَافُ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ عَنْ
أَمْرِهِ ظَهَرَ وَبِأَمْرِهِ حَصَلَ ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مُحْتَمِلاً فِي اللُّغَةِ لَمْ يَتَكَّرْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
مَلَائِكَةً بِأَمْرِهِمْ بِالنَّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا هَذَا التَّدَاءُ وَالِدَعَاءُ ، فَيُضَافُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَقَالُ ضَرْبُ الْأَمِيرِ اللَّصِّ ، وَنَادَى فِي الْبِلَادِ .

وَقَدْ رَوَى لَنَا بَعْضُ أَهْلِ الثَّقَلِ هَذَا الْخَبْرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، بِمَا يُوَظِّدُ هَذَا الْبَابَ ،

(١) الْآيَةُ : ١٧ ، ١٨ مِنْ سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ

(٢) الْآيَةُ : ١٧ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ،

(٣) التَّرْغِيبُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ وَتَوَابِ الْجَنَّةِ ، وَالتَّرْهيبُ مِنْ عَمَلِ الشَّرِّ لِأَنَّ الشَّرَّ جَزَاءُ جَهَنَّمَ .

وهو بضم الياء « من ينزل » وذكر أنه قد ضبطه عمن سمعه عنه من الثقات القاطنين ، وإذا كان ذلك محفوظاً مضبوطاً كما قال فوجهه ظاهر ، ولما ذكرناه مما يحتمله من التأويل مزيد شاهد .

ومحتمل أيضاً أن يكون على معنى أنهم يقولون .

ما زلنا في خير حتى نزل بنا بنو فلان على معنى نزول حكمهم وأمرهم ، فيكون تقدير التأويل ما قلنا فيه من الأخبار عما يفعله الله تعالى في كل ليلة من أفعاله التي هي ترغيب لأهل الخير في الخير ، وزيادة في الدواعي إلى الطاعة ، والإستعفاف لأهل العطف ، مع إنه إذا لم يعمل ما أطلق عليه من هذا الوصف من أن يكون مما يلزم الذات لأجل فعل ، أو يكون مما يجب لأجل إفعال ، وبطل أن يكون ذلك مما يلزم الذات ، وجب أن يكون ذلك مما يوصف به من أجل فعل يفعله .

وقد روي لنا عن الأوزاعي رحمه الله ، أنه سئل عن هذا الخبر فقال :
يفعل ما يشاء .

وهذا إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه عز ذكره .

وروي عن مالك بن النسي أنه قال في هذا الخبر .

ينزل أمره في كل شيء ، وأما هو جل ذكره فهو دائم لا يزول ، ولسنا ننكر تسمية الله تعالى بأسماء أفعاله إذا ورد بها التوقيف بها كسائر ما يسمى لأجل الفعل مثل قوله :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ (١)

وقوله :

(١) الآية ٤٧ من سورة الدَّارِيَاتِ .

بِشْرَحِ صَحِيحِ الْجَنَازِيِّ

لَاِبْنِ بَطَّالٍ

رُفِي الْحُسَيْنِ عَلَيَّ بِهِ خَلْفَ بِهِ خَيْرُ الْمَلَائِكَةِ

صَبَّحَ نَفْسُهُ رَقْمَهُ عَلَيْهِ

أَبُو تَمِيمٍ يَأْسَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ

الرِّيَّاضُ

إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فاستجب / له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ١

(١٥٠٩ و ١٥١١)

قال ابن قورك (١) : [حجة] (٢) أهل البدع هذا الحديث وشبهه ، وقالوا : لا يمكن حمل شيء منه على تأويل صحيح من غير أن يكون فيه تشبيه أو تحلید أو وصف للرب - تعالى - بما لا يليق [به] (٣) وقد ورد التنزيل بمعنى هذا الحديث وهو قوله : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ (٤) و ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ (٥) و ﴿ أتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ (٦) .

ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنزول إذا أصيبت [جميع] (٧) ذلك إلى الأجسام التي يجوز عليها الحركة والنقلة التي هي تفريع مكان وشغل غيره ، فإذا أصيبت ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بعته وصفته عز وجل .

فمن ذلك أنا وجدنا لفظة النزول في اللغة مستعملة على معانٍ مختلفة ، فمنها النزول بمعنى الانتقال والتحويل كقوله : ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ (٨) ومنها النزول بمعنى الإعلام كقوله : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٩) أي أعلم به الروح الأمين محمداً - عليه السلام .

ومنها النزول بمعنى القول في قوله تعالى : ﴿ سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ (١٠) أي سأقول مثل ما قال ، ومنها النزول بمعنى الإقبال على الشيء ، وذلك هو المستعمل في كلامهم الجاري في عرفهم ، وهو

(١) ابن قورك متجه ، هذا حذو ابن الثلجي في كتابه الذي صنّفه في تحريف أحاديث الصفات والطعن فيها ، فلا يلتفت إلى قوله الآتي - والصواب ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وغيره من أحاديث الصفات على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى ، وإمروا ذلك من غير تكليف ولا تمثيل ، كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وهذا هو الطريق الأسلم والأعلم والأحكم ، فتنبه .

(٢) من أهدو .

(٣) من أهدو وفي الأصل : عند .

(٤) النحل : ٢٦ .

(٥) البقرة : ٢١ .

(٦) القمر : ٢٢ .

(٧) الأنعام : ٩٣ .

(٨) الشعراء : ١٩٣ .

(٩) الفرقان : ٤٨ .

أنهم يقولون : نزل فلان من مكاوم الأخلاق إلى دنيها ، أي أقبل إلى دنيها ، ونزل قدر فلان عند فلان [أي] ^(١) انخفض .

ومنها النزول بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قولهم : كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان ، أي حكمهم . وكل ذلك متعارف عند أهل اللغة ، وإذا كانت هذه اللفظة مشتركة المعنى فيبغى حمل ما وصف به الرب - تعالى - من النزول على ما يليق به [من بعض هذه المعاني] ^(٢) .

إما أن يراد به إقباله على أهل الأرض بالرحمة والتنبيه الذي يلقي في قلوب أهل الخير منهم ، والزواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطاعة ، ويحتمل أن يكون ذلك فعلا يظهر بأمره ، فيضاف إليه ، كما يقال : قسرب الأمير اللص ، ونادى الأمير في البلد ، وإنما أمر بذلك ، فيضاف إليه الفعل على معنى أنه عن أمره ظهر ، وإذا احتمل ذلك في اللغة لم يتكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنزول إلى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء ، فيضاف إلى الله ، وقد روي هذا التأويل في بعض طرق هذا الحديث ، روى النسائي قال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، حدثنا أبو إسحاق ، حدثنا أبو مسلم ، عن الأخر قال : سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري يقولان : قال رسول الله : ^(٣) إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً ينادي [يقول] ^(٤) : هل من داع يستجاب له ، هل من مستغفر يغفر له ، هل من سائل يعطى .

وقد سئل الأوزاعي عن معنى هذا الحديث [فقال] ^(٥) : يفعل الله ما يشاء . وهذه إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه تعالى .

(١) من هـ وفي الأصل : إذا . (٢) من هـ .

وقد روى حبيب عن مالك أنه قال في هذا الحديث : ينزل أمره
ورحمته . وقد رواه غير حبيب عنه ، روى محمد بن علي البجلي
بالقيروان قال : حدثنا جامع بن سودة قال : حدثنا مطرف ، عن
مالك بن أنس أنه سئل عن هذا الحديث فقال : ذلك تنزل أمره .

وقد مثل بعض العلماء عن حديث النزول فقال : تفسيره قول إبراهيم حين أفل النجم : ﴿ لا أحب الأفلين ﴾ ^(١) فطلب ربا لا يجور عليه الانتقال والحركات ، ولا يتعاقب عليه النزول ، وقد مدحه الله بملك واثى عليه في كتابه فقال : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ ^(٢) فوصفه (لأنه) ^(٣) - بقوله هذا - موقن .

وفي حديث أبي هريرة أن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، وقال تعالى : ﴿ وبالسحر هم يستقرون ﴾ ^(٤) وروى محارب بن دثار ، عن عمه : « أنه كان يأتي المسجد في السحر فيمزمز بدار ابن مسعود فيسمعه : اللهم إنك أمرتني فأطعت ، ودعوتني فأجبت ، وهذا السحر قافقر لي ، فسنل ابن مسعود عن ذلك فقال : إن يعقوب آخر بيته إلى السحر بقوله : ﴿ سوف استغفر لكم ربي ﴾ ^(٥) .

وروى البخاري « أن داود - عليه السلام - سأل جبريل : أي الليل أسمع ؟ فقال : لا أدري ، غير أن العرش يهتز في السحر » [وقوله : أسمع] ^(٦) يريد أنها أوقع للسمع ، والمعنى أنها أولى بالدعاء وأرجى للاستجابة ، وهذا كقول ضماد حين عَرَضَ عليه رسول الله الإسلام فقال : سمعت كلاماً [لم أسمع] ^(٦) قط أسمع منه يريد أبلغ منه ولا أفهم في القلب . عن الخطابي .

(١) الأنعام : ٧٦ - (٢) الأنعام : ٧٥ .

(٣) هكذا غمر : الأصل : و د هـ ، و الأقرب أن يكون الصواب : بانه .

(١) اللامعات : ١٨ ، (٥) يوسف : ٩٨ ، (٦) من آهـ ١ .

إيضاح الدليل

في
قطع حجج أهل التعطيل

مؤلفه

الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل العابد الطهارة الصالح الفاضل الميامين

محمد بن إبراهيم بن سعد بن محمد بن جماعة

السهرية بن عبد الله بن جماعة

رحمته تعالى

١٢٣٩ - ١٢٤٧ هـ

٧٧٢

محققه وعلق عليه

وهي سلمان خاوي لؤلؤ باني

دار النشر

للطبعة والنشر والتوزيع والترجمة

الحديث الرابع :

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر »^(١) . الحديث . ورواه أبو سعيد : « إن الله يهمل حتى إذا كان ثلث

(١) لانه : « فيقول من يدعو فاستجب له من يسألني فأصليه من يستغفرني فأغفر له » . رواه الترمذي إلا نسائي . ولفظ : « إن الله يهمل » . رواه مسلم في كتاب المسافرين ، والخاري في الدعوات (١٤) وأحمد (٢٠٨٨ / ٢) . (١٣٢) . قال الحافظ أبو بكر بن قورك : واعلم أنه لا فرق بين الإتيان والهيء والنزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي تتحرك وتنقل وتهاذي مكاناً ، أن جميع ذلك يعقل من ظاهرها للمعنى الذي هو الحركة والنقلة التي هي تفرغ مكان وشغل مكان ، وإذا أضيف إلى مالا يليق به الانتقال من مكان إلى مكان لاستحالة وصفه بأنه جوهر أو جسم أو محدود أو متناهي أو متحرك أو محال . ولم يصح ذلك في وصفه كان معنى ما يضاف إليه من الإتيان والهيء على حسب ما يلقى بعبته وصفته إذا ورد به الكتاب ، وكذلك إذا أضيف النزول إليه وورد به الخبر الصحيح للوقت بروايته ونقله وصحته في باب أنه يحصل على نحو ما حل عليه معنى الهيء والإتيان إذا ذكرنا في أوصافه في الكتاب وإذا كان ذلك كذلك تأملنا معنى ما ورد في هذا الخبر من لفظ (النزول) وتزلة على الوجه الذي يليق بوصفه . وعلى للمعنى الذي لا يتكرر استعمال مثله في اللسان في مثل معناه ، ولا أن يرد الخبر بثله . فمن ذلك أن وجدنا لفظ (النزول) في اللغة مستعملة على معان مختلفة ، ولم تكن هذه اللفظة ما يختص لمرأ واحد حتى لا يكون القول منه إلى غيره . بل وجدناه مشترك للمعنى واحتل التأويل والتفريع والقرينة : فمن ذلك (النزول) بمعنى الانتقال ، وذلك في قوله تعالى : « وأرسلنا من السماء ماء طهوراً » على معنى النقلة والتحويل ، ومن ذلك (النزول) بمعنى الإحلام ، كقوله عز وجل : « فإله به الروح الامنية على قلبه » أي أُلهم به الروح الامنية محمد ﷺ . و (النزول) أيضاً بمعنى القول والعبارة . وذلك في قوله عز وجل : « فاسأله مثل ما أقر الله » . و (النزول) أيضاً بمعنى الإقبال على الشيء ، وذلك هو التشميل في قوله ، والخاري في مرهم . وهو أنهم يقولون : إن فلاناً أخذ بحكام الأخلاق ثم نزل منها إلى سفاهها ، أي أقبل منها إلى رديتها (ومثله) في تعيان الدرجة والرتبة لأهم يقولون : نزلت منزلة فلان عند فلان عما كانت عليه إلى ما دونها ، إذا لم يصب قدره عند : (من ذلك النزول) بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قول الناس : قد كسا في عمل وغير حتى نزل بنا بنو فلان إلى حكمهم . وكل ذلك في معنى (النزول) استعاره بين أهل اللغة غير مدفوع عنهم اشتراك معناه . لم قال بعد كلام : وإذا كان اللفظ مشترك المعنى وجب الترتيب وإضافة ما يليق في المذكور للضاف إليه على حسب ما يليق به ، ألا ترى أنه إذا أضيف إلى السكينة - في قوله تعالى : « هو الذي أنزل السكينة » - لم يكن حركة ولا عللة ، وإذا أضيف إلى الكلام لم يكن أيضاً تفرغ مكان وشغل مكان ، وإذا أُريد به الحكم وتبين الرتبة فكذلك ، وإذا كان ذلك كذلك كان ما وصف به الرب جل ذكره من النزول محمولاً على بعض هذه المعاني التي لا تقتضي له مالا يليق بعبته من إيجاب حدث يحدث في ذاته وتغير بلطفه أو نقص شيئاً أو تحذيراً . وهو أن يكون على أحد وجوه من المعاني : إما أن يراد إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف والتذكير والتشبه الذي يلهم في قلوب أهل الخير منهم . إلخ - مشكل الحديث وبيانه ص ٢٦ ، ٢٤٧ . وقال الإمام العيني في شرح البخاري : إذا أضيف الهيء والإتيان والنزول إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفرغ مكان وشغل غيره يحصل على ذلك ، وإذا أضيف إلى مالا يليق به الانتقال والحركة ، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بعبته وصفته تعالى ، (فالنزل) لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة (يعنى الانتقال) في قوله تعالى :

الليل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول هل من تائب يتوب .

اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه ؛
لوجوه :

الأول : النزول من صفات الأجسام والمحدثات ومحتاج إلى ثلاثة : أجسام ، منتقل ،
ومستقل عنه ومستقل إليه ، وذلك على الله تعالى محال .

الثاني : لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة
تتوعدب الليل كله ، وتقلبات كثيرة : لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع
اللحظات شيئاً فشيئاً ، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً ، من قوم إلى قوم ،
وعودة إلى العرش في كل لحظة على قولهم ، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا ، ولا يقول ذلك
قوله وتحصيل (١) .

١- وانزلنا من السماء ماء مطهراً ، ويعني الإحلام نحو قوله تعالى : (أنزل به الروح الأمين) أي أطم به الروح
الأمين عند نزوله . ويعني القول نحو : ما أقول مثل ما أقول الله في أي أقول مثل ما قال . ويعني الإقبال على
الشيء ، تقول العرب : فلان يكثر الأخلاق ثم تنزل إلى سلسلتها . ويعني نزول الحكم ، وكل ذلك متعارف عند
أهل اللغة ، وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب من النزول على ما يليق به من هذه العالَمِ
وهو إقباله على أهل الأرض بالرحمة . اهـ (٣ / ٦٢٢) .

(١) قال أبو سليمان الخطابي في حديث النزول : وقد رآه بعض شيوخ أهل الحديث من يرجع إلى معرفته بالحديث
والرجال ، فعاد عن هذه الطريقة — طريقة السلف — حين روى حديث النزول ؛ أقبل على نفسه فقال : إن
قال قائل : كيف ينزل ربنا إلى السماء ؟ قيل له : ينزل كيف يشاء . فإن قيل : هل يتحرك إذا نزل ؟ فقال :
إن شاء يتحرك ، وإن شاء لم يتحرك . وهذا خطأ فاحش عظيم ، والله تعالى لا يوصف بالحركة ، لأن الحركة
والسكون متعلقان في محل واحد ، وإذا يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون ، وكلاهما من
أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين ، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنها في ليس كشيء شيء ، فلو جرح هذا التشبيح
على طريقة السلف الصالح ولم يدخل قلباً لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش . فقال :
وإذا ذكرت هذا لكي يتوق الكلام فيما كان من هذا النوع فإنه لا يشرعياً ولا ينبغي ريباً . وسأل الله العصاة
من الضلال ، والقول ما لا يجوز من القاسد والقال . الأسماء والصفات ، ٢٥٦ . وانظر مشكل الحديث لأن غورك
عز ١٨٩ ، ١٩١ ، وحكمه أن غورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف للممول أي ينزل مثلاً . ويقولونه
حديث الثنائي من أي طريفة وأبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله يهول حق يضي شطر الليل الأول
ثم يلزم منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له ؟ » الحديث . وصححه عبد الحق . بل هذا الحديث يعني أن
الإنسان محازي في صبح الثلاث ينزل ، من روايات الحديث فيخرج الحديث من أن يكون من الأحاديث
التشبيهية ، على أن شطر الليل وثلاثة مما يختلف باختلاف المطالع والمغارب ، كما يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه .
ثبت أن قلبي فتح باب القول لأهل كل أمة . وأما من جعل ذلك نقلة فقد جسم وخالفه القرآن العظمي

١٦٥

الثالث : أن القائل بأنه فوق العرش . وأنه سلاه كيف تسعه سواه الدنيا . وهي بالنسبة إلى العرش كحلقه في فلاة ^(١١) ، فيلزم عليه أحد أمرين : إما اتساع سواه الدنيا كل ساعة حتى تسعه ، أو تضائل الذات المقدسة عن ذلك حتى تسعه ، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين .

الرابع : إن كان المراد بالنزول استماع الخلق إليه . فذلك لم يحصل باتفاق . وإن كان المراد به التذلل من غير إسراع فلا فائدة فيه . ويتعالى الله عن ذلك .

إذا ثبت ذلك ، فقد ذهب جماعة من السلف إلى السكوت عن المراد بهذا النزول ، مع قطعهم بأن مالا يليق بجلاله تعالى غير مراد (و) تنزيهه عن الحركة والانتقال .

قال الأوزاعي : وقد سئل عن ذلك فقال : يفعل الله ما يشاء ^(١٢) .

كما جرى لموسى عليه السلام مع ملك اللوت لما فقأ عينه ^(١٣) .

والدليل الشرعي ، وضروية المس . راجع الفصل لابن حزم ، وشرح البخاري للمعيني عن الأسماء والصفات تعليقاً ص ٤٥٠ .

(١١) قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة : « يأنسها فرما السوات السبع في الكوسى إلا كحلقه ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقه » رواه البيهقي . وقال : اتفرد به يحيى بن سعيد السعدي . قال اللقي : هو منكر الحديث لا يحتج به إذا اتفرد . وقد اتفرد به عن ابن جريح ، وكذلك شأن الرواية الثانية . فيه . الأسماء والصفات ١٠٥ .

(١٢) بعد هذه العبارة نقص بقدر ورقة كاملة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١٣) أرى هنا هو الحديث الخامس . رواه مسلم في الفضائل (١٨٨) . وإعطته : « جاء ملك اللوت إلى موسى عليه السلام . فقال له : أحب ربك . قال : فلعظم موسى عليه السلام عين ملك اللوت فقأها . قال : فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد اللوت وقد فقأ عيني . قال : فرأى الله عينه وقال : ارجع إلى عبدك فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يديك على منى تور ، لما توارت يديك من شعرة قبلك تعيش بها سنة . قال : ثم به ؟ قال : ثم اللوت . قال : قالان من قريب . رب أمتي من الأرض المقدسة برية سحر . قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم فيه إلى جانب الطريق عند الكتيب الأحمر » . مسلم في فضائل موسى عليه السلام . وأحمد (٢١٥ / ٢) . قال ابن قتيبة بعد ذكر هذا الحديث . ونحن نقول إن هذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث وأحسن له أصلاً في الأخبار القديمة . وله تأويل صحيح لا يدقده النظر . ولما قتل ملك اللوت لموسى عليه السلام . وهذا ملك الله وهذا نبي الله . وجاذه لطمه موسى لطمه أنصبت العين التي هي الجليل وقيل . وبئس حذيفة . وهذا ملك اللوت عليه السلام إلى حقيقة غلقته الروحانية كما كان لم يفتش منه شيء . اهـ تأويل مختلف الحديث ص ٢٨٥ . ونظر مشكل الحديث وبيانه لابن غورك ص ١١٧ . ونظر النووي على مسلم في فضائل موسى عليه السلام والأسماء والصفات ص ٢٢٢ .

عَمَلَةُ الْقَلْبِ شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

تأليف
الْأَمَامِ الْعَلَّامَةِ بَدْرِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَيْنِيِّ
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

خطه ومصحفه
عبدالله محمود محمد عمر

طبعة جديدة مرقمة الكتب والأوراق والأجزاء
حسب ترتيب المصنفين في الطبقات الحديث النبوي الشريف

الجزء السابع

يحتوي على كتب التالية:
الترغيب والترهيب - الأسماء - سمع القرآن - تفسير الصمدية - التوفيق
نظم الصمدية في سجد مكنته والمديحة - الغزاة في الصلاة - السجود
من الحديث (٩٩) - الحكمة (١٢٢٧)

مستودع

مركز البحوث

للشريعة والعلوم الشرعية

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

١٩ - كِتَابُ التَّهْطِيفِ / بَابُ (١٤)

٢٨٧

رواية من لم يحين الوقت فلا تعارض بينها وبين من عين، وأما من عين الوقت واحتلفت طواهر رواياتهم فقد صار بعض العلماء إلى الترجيح، كالترمذي على ما ذكرنا، إلا أنه عبر بالأصح، فلا يقتضي تضعيف غير تلك الرواية لما تقتضيه صيغة: أفعل، من الاشتراك. وأما القاضي عياض فعبر في الترجيح بالصحيح، فاقترض ضعف الرواية الأخرى، ورده النووي بأن مسلماً رواها في (صحيحه) بإسناد لا يطمع فيه عن صحابيين، فكيف بطلها؟ وإذا أمكن الجمع ولو على وجه فلا يصار إلى التضعيف. وقال النووي: ويحتمل أن يكون النبي ﷺ أعلم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به، ثم أعلم بالآخر في وقت آخر فأعلم به، وسمع أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، الخبرين فنقلهما جميعاً، وسمع أبو سعيد الحذري، رضي الله تعالى عنه، خبر الثالث الأول فقط، فأخبر به مع أبي هريرة كما رواه مسلم في الرواية الأخيرة، وهذا ظاهر.

ذكر تعدد موضعه ومن أخرجه غيره: أخرجه البخاري أيضاً في التوحيد عن إسماعيل ابن عبد الله، وفي الدعوات عن عبد العزيز بن عبد الله. وأخرجه مسلم في الصلاة عن يحيى ابن يحيى. وأخرجه أبو داود فيه وفي السنة عن القعنبى. وأخرجه الترمذي فيه عن قتيبة. وأخرجه النسائي في الدعوات عن محمد بن سلمة عن ابن القاسم عن مالك به، في اليوم والليل عن أبي داود الحراني. وأخرجه ابن عاصم في الصلاة عن أبي نروان محمد بن عثمان العثماني.

ذكر من أخرجه من غير أبي هريرة: قال الترمذي، بعد أن أخرج هذا الحديث عن أبي هريرة: وفي الباب عن علي بن أبي طالب، وأبي سعيد ورفاعة الجهني وجابر بن مطعم وابن مسعود وأبي الدرداء وعثمان بن أبي العاص، قلت: وفي الباب، عن جابر بن عبد الله وعبادة بن الصامت وعقبة بن عامر وعمر بن عتبة وأبي الخطاب وأبي بكر الصديق وأبو ابن مالك وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأبي ثعلبة الخشني وعائشة وابن عباس وتونس ابن سمعان وأمه سلمة وجد عبد الحميد بن سلمة.

أما حديث علي، رضي الله تعالى عنه، فأخرجه الدارقطني في كتاب (السنة) من طريق محمد بن إسحاق عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ولأحرت العشاء الآخرة إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله إلى السماء الدنيا فلم يزل هناك حتى يطلع الفجر، فيقول المقاتل: ألا سائل يعطى سؤاله؟ ألا داع يحاج؟ ورواه أحمد في (مسنده)، ورواه الدارقطني أيضاً من طريق أهل البيت من رواية الحسين بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي، رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ينزل في كل ليلة جمعة من أول الليل إلى آخره إلى سماء الدنيا، وفي سائر الليالي من الثلث الأخير من الليل فيأمر ملكاً ينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأؤوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر. وفي

إِسْنَادُهُ مِنْ جَهْلٍ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ فَأَعْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ رِوَايَةِ الْأَخْرِ أَبِي مُسْلِمٍ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّ اللَّهَ يَجْهَلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا... الْحَدِيثُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ رِفَاعَةَ الْجَهَنِيِّ، فَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ رِوَايَةِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْهَلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ أَوْ ثُلُثُهُ، قَالَ: لَا يَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي» الْحَدِيثُ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَنْهُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ جَبْرِ بْنِ مُطْعَمٍ فَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي (مُسْنَدِهِ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَزَادَ: «حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ».

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فَأَعْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْطِلُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسْطُرُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سَأَلُهُ؟ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ».

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي (مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ) وَ(الْوَسْطَى) مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَارِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ عَنْ قُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَنْقُضُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ غَيْرُهُ، فَيَسْجُدُ مَا يَشَاءُ وَيَسْتُ، وَيَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي حُجَّةِ عَدَنَ وَهِيَ مَسْكَنَةُ الَّذِي يَسْكُنُ لَا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالْعَصْدِيقُونَ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ وَلَا يَحْطُرُ عَلَى قَلْبٍ مَشْرُءٍ، ثُمَّ يَهْطِلُ آخِرَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا سَائِلٍ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ أَلَا دَاعٍ يَدْعُونِي فَأُجِيبَ لَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرَأَنَ الْفَجْرَ إِذَا قَرَأَ الْفَجْرَ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٧٨]. فَيُشْهِدُهُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ، قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: وَهُوَ حَدِيثٌ مُتَكَرِّرٌ.

وَأَمَّا حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ فَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُزَارِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُنَادِي مَنَادٌ كُلَّ لَيْلَةٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجِيبُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيَغْفِرُ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ» وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي (الْكَبِيرِ) بِالْمَعْنَى: «تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ تَصِلُ اللَّيْلُ فَيُنَادِي مَنَادٌ...» فَذَكَرَهُ.

وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرِ فَرَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ فِي (كِتَابِ السُّنَنِ) وَأَبُو الشَّيْخِ ابْنُ حِبَّانٍ أَيْضاً فِي (كِتَابِ السُّنَنِ) مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَثَلِثَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: أَلَا عِيدٌ مِنْ عِبَادِي يَدْعُونِي فَأُجِيبَ لَهُ؟ أَلَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُقْتَرٌ عَلَيْهِ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلَا مَظْلُومٌ

١٩ - كتاب التَّهْلُوكِ / باب (١٤)

٢٨٩

يسمى بي فأنصره؟ ألا عان يدعوني فأفك عنه؟ فيكون ذلك مكانه حتى يضيء الفجر، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العليا على كرسيه» وهو حديث منكر، في إسناده محمد بن إسماعيل الجعفي، يرويه عن عبد الله بن سلمة بن أسلم، بضم اللام، والجعفي منكر الحديث، قاله أبو حاتم، وعبد الله بن سلمة ضعيف الدارقطني، وقال أبو نعيم: متروك.

وأما حديث عباد بن الصامت فرواه الطبراني في (المعجم الكبير) و(الأوسط) من رواية يحيى بن إسماعيل عن عباد، قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين ينقضي ثلث الليل، فيقول: ألا عباد من عبادي؟... الحديث نحو حديث جابر، وفي آخره: حتى يصبح الصبح ثم يعلو، عز وجل، على كرسيه، وفي إسناده فضيل بن سليمان التميمي، وهو وإن أخرج له الشيخان فقد قال فيه ابن معين ليس بثقة.

وأما حديث عتبة بن غرير فرواه الدارقطني من رواية يحيى بن أبي كثير عنه، قال: وأقمنا مع النبي ﷺ فقال: إذا مضى ثلث الليل، أو قال نصف الليل، ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي أحداً غيري، قال الدارقطني: وفيه نظر.

وأما حديث عمرو بن عبسة فرواه الدارقطني أيضاً في (كتاب السنة) من رواية جرير ابن عثمان، قال: حدثنا سليم بن عامر بن عمرو بن عبسة، قال: فأنبت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله... الحديث، وفيه: «إن الرب، عز وجل، ينزل من حوف الليل»، زاد في رواية الآخر: «فيغتر إلا ما كان من الشرك»، زاد في رواية: «والنهي والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس».

وأما حديث أبي الخطاب فرواه عبد الله بن أحمد في (كتاب السنة) بإسناده عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو الخطاب، أنه سأل النبي ﷺ عن الوتر، فقال: أحب إلي أن أوتر نصف الليل، إن الله يهب من السماء العليا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذب؟ هل من مستغفر؟ هل من داع؟ حتى إذا طلع الفجر ارتفع. قال أبو أحمد الحاكم وابن عبد البر أبو الخطاب، له صحة ولا يعرف اسمه.

ذكر معناه: قوله: «ينزل»، يلحق الياء، فعل مضارع: والله، مرفوع به، وقال ابن فورك: ضبط لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ﷺ بضم الياء من: ينزل، يعني: من الإنزال. وذكر أنه ضبط عن سمع منه من الثقات الضابطون. وكذا قال القرطبي: قد قده بعض الناس بذلك فيكون معدي إلى مفعول محذوف، أي: ينزل الله ملكاً، قال: والليل على صحة هذا ما رواه النسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله، عز وجل، يهبط حتى ينقضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناهياً فيقول: هل من داع؟ هل من مستغفر؟... الحديث، وصححه عبد الحق وحمل صاحب (المعجم) الحديث على النزول المعنوي على رواية مالك عنه عند مسلم، فإنه قال فيها: «ينزل ربنا، بزيادة» فقام بعد: «بالمضارعة» فقال: «كذا صححت الرواية عنه، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وبها يرد بعد: «بالمضارعة» فقال: «كذا صححت الرواية عنه، وهي ظاهرة في النزول المعنوي وبها يرد

الرابع: أن الجمهور سلكوا في هذا الباب الطريق الواضحة السالمة، وأجروا على ما ورد مؤمنين به منزهين الله تعالى عن التشبيه والكيفية، وهم: الزهري والأوزاعي وابن المبارك ومكحول ومسان التوري وسليمان بن عيينة والليث بن سعد وحمام بن زيد وحمام بن سلمة وغيرهم من أئمة الدين. ومنهم الأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد. قال البيهقي في (كتاب الأسماء والصفات): قرأت بخط الإمام أبي عثمان النصابي، عقب حديث النزول: قال الأستاذ أبو منصور - يعني الحمشاني - وقد اختلف العلماء في قوله: ينزل الله، فمثل أبو حنيفة فقال: لا كيف، وقال حماد بن زيد: ينزله إقباله. وروى البيهقي في (كتاب الاعتقاد) بإسناده إلى يونس بن عبد الأعلى، قال: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: لا يقال للأصل: لم ولا كيف، وروى بإسناده إلى الربيع بن سليمان، قال: قال الشافعي: الأصل كتاب أو سنة أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ أو إجماع الناس. قلت: لا شك أن النزول انتقال الجسم من فوق إلى تحت، والله عزه عن ذلك، فما ورد من ذلك فهو من التشابهات، فالعلماء فيه على قسمين: الأول: المفقوعة: يؤمنون بها ويقولون: تأويلها إلى الله، عز وجل، مع الجرم تنزيهه عن صفات النقائص. والثاني: المؤولة: يقولون: بها على ما يليق به بحسب المواطن، فأولوا بأن معنى: ينزل الله، ينزل أمره أو ملائكته، وأنه استعارة، ومعناه: التلطف بالداعين والإجابة لهم، ونحو ذلك. وقال الخطابي: هذا الحديث من أحاديث الصفات، مذهب السلف فيه الإيمان بها وإجرائها على مظاهرها ونفي الكيفية عنه: ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، وقال الفاضل البغدادي: لما ثبت بالقواطع العقلية أنه منزّه عن الحسية والنحو امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد من رخصته وقد روي: يهبط الله من السماء العليا إلى السماء الدنيا، أي: ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الألفة من الأزدال وفهر الأعداء والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الإكرام للرفقة والرحمة والعفو، ويقال: لا فرق بين الصحي والعمران والنزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنقلة التي هي تفريغ مكانه وشغل غيره، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنحو وصفه تعالى، فالنزل: لغة: يستعمل لعمان حسنة مختلفة: بمعنى الانتقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨). و: الإعلام ﴿يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَشْجَارَ﴾ (الشعراء: ٩٣). أي: أنزل به الروح الأمين محمدًا ﷺ، وبمعنى: القول ﴿يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَشْجَارَ﴾ (الأنعام: ٩٣). أي: سأقول مثل ما قال، والإنزال على الشيء وذلك مستعمل في كلامهم جار في عرفهم، يقولون: نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دليها، ونزل فلان فلان عند فلان إذا انخفض، وبمعنى: نزول الحكم، من ذلك قولهم: كنا في غير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان، أي: حكم، وذلك كله متعارف عند أهل اللغة: وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الرب، حل جلالة من النزل على ما يليق به من بعض هذه المعاني، وهو: إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستيفاء بالتذكير والتبسي الذي يليق في

تَقْسِيرُ الْقَشِيرِ المُسَمَّى لِطَائِفِ الْإِشَارَاتِ

تأليف
الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك
القشيري القيسابوري الشافعي
المتوفى سنة ٥٦٥ هـ

رُفِعَ مِرَاسِيَهُ وَتَعَفَّنَ عَلَيْهِ
عبد اللطيف هجر عبد الرحمن

المجلد الثالث

المطبعة
أول مرة الروم - آخر مرة القاهرة

مستورات
محمد علي بهمن
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

قوله جل ذكره: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

أي أرسلناهم مؤيدين بالخُجج الثلاثة والبراهين الواضحة، وأنزلنا العِلَّةَ لِمَنْ أَرَادَ سَلُوكَ الْحُجَّةِ الْمُثْلَى، ونشرنا السبيل على مَنْ أَتَى أَتْبَاعَ الْهُدَى. وأنزلنا معهم الْكِتَابَ الْمُنْتَزَّلَ، و﴿الْمِيزَانَ﴾: أي الْحُكْمَ بِالْقُرْآنِ، واعتبار الْعَدْلِ والنسوية بين الناس. ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: فلا يُظْلِمَ أَحَدٌ أَحَدًا.

قوله جل ذكره: ﴿وَأَنزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهِ نَاسٌ شَدِيدٌ مِّنْهُ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَتَذَكَّرُوا أَنَّهُمْ هَادُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهِ نَاسٌ شَدِيدٌ مِّنْهُ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَتَذَكَّرُوا أَنَّهُمْ هَادُونَ﴾.

ونصرة الله هي نصرة دينه، ونصرة الرسول بإتباع سنته.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: أقوى من أن يتنازعه شريك، أو يضارعه في الملْكِ مليك، وأعز من أن يحتاج إلى ناصر.

قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَحَمَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾.

أي: أرسلنا نوحًا، ومن بعده إبراهيم، وجعلنا في نسلهما النبوة والكتاب.

﴿فَتَبَيَّنَ لَّهُمُ الْهُدَى﴾.

أي: مستجيب.

﴿وَنَكَّرَ مِنْهُمْ أَسْمَاءَهُمْ﴾.

خرجوا عن الطاعة.

قوله جل ذكره: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا عَلَى مَرْيَمَ وَانفَكْنَا الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهَا رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

أي: أرسلنا بعدهم عيسى ابن مريم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

بين أنه لم يأمرهم بالرحمانية^(١) بل هم الذين ابتدعوها ثم قال:

﴿إِلَّا آتَيْنَاهَا إِسْرَارًا﴾.

(١) الرحمانية: مصدر الرابع، والاسم الرحمانية من الرحمة: الخول، فالنصارى كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملائعات، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهدها مشاقها، حتى أن منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه. (تساو العرب ١/ ١٣٧، ١٣٨ مادة: وهب).

نَفْسِ الْبَغْوِيِّ الْمُسَمَّى مَعَالِمَ التَّنْزِيلِ

لِلإِمَامِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَكِيمِ بْنِ مَسْعُودٍ
الْفَرَّاءِ الْبَغْوِيِّ الشَّافِعِيِّ
الْمُتَرَفِّعِ ١١٦ هـ

إِسْتَدَادَ وَتَحَقَّقَ
خَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَلَكِ
مَكْرُوَانُ سَكْرَار

الْمَجْزُءُ الرَّابِعُ

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الجزء السابع والعشرون

سَأْفُوا إِلَيَّ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةً عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي الْفَيْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِيَكُونَ
تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِخْلِ وَهُمْ يَتَوَلَّوْنَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ
وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ
لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَتَّبِعُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

﴿٢١﴾ سَأْفُوا : ساءعوا ، في إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، لو وصل بعضها
بعض ، في أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، في حين أن
أحدًا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله

﴿٢٢﴾ قوله عز وجل : في ما أصاب من مصيبة في الأرض ، في يعني لحظ المطر وقلة النبات ونقص الثمار ، في ولا
في أنفسكم ، في يعني الأمراض وقلة الأولاد ، في إلا في كتاب ، في يعني اللوح المحفوظ ، في من قبل أن
نبرأها ، في من قبل أن يخلق الأرض والانس ، قال ابن عباس : من قبل أن يسوا المصيبة ، وقال أبو
الغالب : يعني النسبة ، في إن ذلك على الله يسير ، في أي إثبات ذلك على كثره من على الله عز وجل ،

﴿٢٣﴾ في لكيلا تأسوا ، في تحزنوا ، في على ما فاتكم ، في من الدنيا ، في ولا تفرحوا بما آتاكم ، في قرأ أبو عمرو
يقصر الالف لقوله في فاتكم في فجعل الفعل له ، وقرأ الآخرون في آتاكم في بعد الالف ، أي : أعطاكم -
قال عكرمة - ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن جعلوا الفرح شكراً والحزن صراً ، في والله لا يحب كل
مفتال ، في متكبر بما أوتي من الدنيا ، في فخور ، في يفتخر به على الناس ، قال جعفر بن محمد الصفاق : يا
ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يبره إليك الموت ، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت .

﴿٢٤﴾ الذين يخلون ، في قيل : هو في محل الخفض على تمت المحتال . وقيل : هو رفع بالابتداء وخبره
فيما بعده ، في ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول ، في أي يحرض عن الإيمان ، في فإن الله هو الغني
الحميد ، في قرأ أهل المدينة والشام ، في فإن الله الغني ، في إسقاط هو وكذلك هو في مصاحفهم

﴿٢٥﴾ قوله عز وجل : في لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، في بالآيات والحجج ، في وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، في
يعني العدل . وقال مقاتل بن سليمان : هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال : في والسماء رفعها ، في
بأن وضع في الميزان ليقيم الناس بالقسط ، في ليتعاملوا بينهم بالعدل ، في وأنزلنا الحديد ، في روي عن ابن
عمر بنوفه : إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والبلع ، وقال أهل

٥٧- سورة الحديد

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آلِهِم بِرُسُلِنَا وَفَقَّيْنَا يَعْسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَوْهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَضْوَنِ اللَّهِ لَمَّا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾

المعاني معنى قوله : ﴿ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ : أَرْسَلْنَا وَأَرْسَلْنَا : أي أخرج لهم الحبل من الصلب وعلوهم مستغنى بوجهه . وقال قطرب : هذا من النزول لما يقال لنزل الأمير على فلان نزلًا حسنًا بمعنى الآية أنه جعل تلك نزلًا لهم . ومثله قوله : ﴿ وَنَزَّلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجَ ﴾ : ﴿ فِيهِ بَاسٌ شَدِيدٌ ﴾ : قوة شديدة يعني السلاح للحرب . قال مخاض : فيه حنك وسلاح يعني ثمة وآلة الضرب . ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ : مما يتفقون به في مصالحهم كالسكين والنفاس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صفة . ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ : أي أرسلنا رسلنا ونزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وأمرى الله : ﴿ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ : أي دينه . ﴿ وَرَسُولَهُ بِالْقَبْرِ ﴾ : أي قام بتبصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالقب . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ : قوي في أمره عزيز في ملكه .

٢٧- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ثم نفت على آلهم برسلنا وفقينا يعسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴿ : على دينه ﴾ : ﴿ رَأْفَةً ﴾ : وهي أشد الرقة . ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ : كانوا متواذيين بعضهم لبعض ، كما قال الله تعالى في وصف أصحابه النبي ﷺ : ﴿ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ : ﴿ وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَوْهَا ﴾ : من قبل أنفسهم وليس هذا يعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مفسر كأنه قال : ابتدأوا رهابية أي جاءوا بها من قبل أنفسهم ، ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا ﴾ : أي ما فرضناها ، ﴿ عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَضْوَانِ اللَّهِ ﴾ : يعني ولكلهم ابتغوا وضوان الله بذلك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع عن الطعام والمشرب والملبس والكنع والتعبد في الجبال . ﴿ لَمَّا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِنَا ﴾ : أي لم يرحو الرهبانية حق رعابيتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتصوروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهيب ، وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا به ، وذلك قوله تعالى : ﴿ قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ : وهم الذين آمنوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة . ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ : وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن حماد أنا أحمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا شيبان بن فروخ ثنا الصنع بن حرب عن عوف الجهمي عن أبي إسحاق عن سويد بن خلف عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : يا ابن مسعود اختلفت من كان قبلكم على النبي وسبعين فرقة ، أنا

زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ

لِلإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادِي

وُلِدَ ٥٠٨ هـ وَتَوَفَّى ٥٩٦ هـ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

الجزء الثامن

المكتب الإسلامي

وقرأ نافع وابن عامر ، فإن الله الغني الحميد ، ليس فيها « هر » وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة ، والشام .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

قوله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي : بالآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) بيان الشرائع ، والأحكام . وفي « الميزان » قولان . أحدهما : أنه العدل ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : أنه الذي يوزن به ، قاله ابن زيد ومقاتل . فعلى القول الأول : يكون المعنى : وأمرنا بالعدل . وعلى الثاني : ووضعنا الميزان ، أي : أمرنا به (ليقوم الناس بالقسط) أي : لكي يقوموا بالعدل .

قوله تعالى : (وأنزلنا الحديد) فيه قولان .

أحدهما : أن الله تعالى أنزل مع آتم السندان ، والتكيتين ، والمطروقة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن معنى « أنزلنا » : أنشأنا وخلقنا ، كقوله تعالى : (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) [الزمر : ٦] .

قوله تعالى : (فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) قال الزجاج : وذلك أنه يُمنَعُ به ، ويُجَارَبُ به (ومنافع للناس) في أدوائهم ، وما يتصفعون به من آية وغيرها^(١) .

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : (وأنزلنا الحديد فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) أي : وجعلنا الحديد رادعاً لمن أهدى وعانده بعد قيام الحجة عليه ، قال : ولهذا أقام رسول الله ﷺ بككة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة نوحس إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وييان

نَفْسِي الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

المحافظ

عَمَادُ الدِّينِ، أَبِي الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الدِّمَشْقِيُّ
المتوفى ٧٧٤هـ

المجلد السادس

دار مكتبة الهلال

بيروت - لبنان

يقول تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو النقل الصدق ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للأراء السقيمة كما قال تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وقال تعالى ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي طَفَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقال تعالى ﴿وَالسَّيِّئَاتِ رَقْعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ وهذا قال في هذه الآية ﴿يَقُومُونَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فإن الذي جئوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال ﴿وَوَعَدْتُ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدَلًا﴾ أي صدقاً في الإحسان وعدلاً في الأوامر والنواهي وهذا يقول المؤمنون إذا تسووا أعرف الحيات، والمسائل العاليات، والسرر المصنوعات بالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴿وقوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي وجعنا الحديد زائداً لمن أئى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه وهذا أقام رسول الله ﷺ حجة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيناً وإيضاح للتوحيد وبينات ودلائل، فلما قامت الحجة حل من خالف شرع الله المحجة وأمرهم بالقتال بالسيف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده. وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المهلب الجرمي الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمي، وجعل الدالة والصغار حل من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» وهذا قال تعالى ﴿فَلْيَبْئَسْ شَدِيدُ﴾ يعني السلاح كالسيف والخرب والسان والصلال والدروع ونحوها ﴿وَمَنَافِعِ لِلنَّاسِ﴾ أي في معاشهم كالسكة والفاس والقدم والناسر والأوميل والمجرة والآلات التي يستعان بها في الحرانة والحياكة والطبخ والحيز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك. قال علماء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبان والمقعة يعني المطرقة رواء ابن جرير وابن أبي حاتم. وقول تعالى ﴿وَلْيَعْلَمِ اللَّهُ مَن يَتَصَرَّ وَرَسُولُهُ بِالْقَبِيبِ﴾ أي من تبته في حل السلاح نصرة الله ورسوله فإن الله قوي عزيز أي هو قوي عزيز يتصر من نصرة من غير احتياج منه إلى الناس وإنما شرع الجهاد ليلو بعضكم بعض.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْحَكْمَ فَمِنْهُمْ مُّسَدِّدٌ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَسَيُؤْنَوْنَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ رُسُلَنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَءَايَتُهُ الْإِنْجِيلُ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتْبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا
عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسَيُؤْنَوْنَ ﴿١٧﴾

جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ
الْإِسْجَازِيُّ الشَّيْرَازِيُّ الشَّافِعِيُّ
الْمُتَوَفَّى ١٠٥٠ هـ

رَوَاهُ
حَاشِيَةُ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَزْنَوي
الْمُتَوَفَّى ١٢٩٦ هـ

تَمَقَّقَ بِهِ
الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْمَعِيزِ هَمْدَانِي
الْمُعْتَمِدُ عَلَى كِتَابَةِ الْقُرْآنِ - دَارُ الْفَلَاكِ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

الْمَحْشُورُ
مَسْأَلَةُ سُورَةِ الْغَاثَةِ - إِذْ أَمَرَ سُورَةُ الْغَاثَةِ

مَسْأَلَةُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْمُسْتَشْفِقُ الشَّافِعِيُّ وَالْمُعْتَمِدُ
دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ
بِغَزَّوَةِ - عَمَّانُ

نزل جبريل - عليه السلام - بالمران إلى نوح - عليه السلام -، وقال: مر قومك بزواجره،
 ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليتعاملوا بالعدل، ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: أنزلناه، وأحدثنا عن ابن
 عباس - رضي الله عنهما - ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكليتان والمطرقة^(١)،
 ﴿الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: هو القتال به مع من عاند الحق، ﴿وَمَنَافِعُ النَّاسِ﴾ إذ
 هو آلة لأكثر الصنائع، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: عطف على معنى فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ ومنافع فإنه
 حال يتضمن تعليلاً أي: أنزلناه للبأس وللنفع وللعلم وقيل: عطف على ليقوم الناس،
 ﴿مَنْ يَنصُرْهُ﴾ أي: دينه، ﴿وَرُسُلُهُ﴾: باستعمال آلات الحرب مع أعداء الله تعالى،
 ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غائباً عن الله تعالى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يصرونه ولا
 يصرونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: في أمره، ﴿عَزِيزٌ﴾: في ذاته لا يحتاج إلى نصرته ناصر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِيزْتُهُمُ
 مُّتَنَبِّئِينَ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ٥٥﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا
 بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأًى
 وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا
 حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ٥٦﴾
 بِأَتَائِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ
 لَكُمْ ثَوْرًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَهْلَ
 الْكِتَابِ إِلَّا يَتَذَكَّرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
 يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٥٨﴾

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢ وحيز.

حَاشِيَّة

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ زَادَةَ

مُحَمَّدُ بْنُ مُصَلِّحِ الدِّينِ مُصْطَفَى الْقَوَّجَوِيِّ الْحَنْفِيِّ
المتوفى سنة ٩٥١ هـ

عَلَى

تَفْسِيرِ الْقَاضِي أَبِيضَاوِي

المتوفى سنة ٦٨٥ هـ

مُصَبَّحَةٌ وَمُصَحَّحَةٌ وَخَرَجَ آيَاتُهَا
بِحَمْدِ عَبْدِ الْقَادِرِ شَاهِينِ

الجزء الثامن

المحتوى:

من أول سورة الشَّجَر - حق آخر سورة النَّاس

مفتوحات

محمد بن أبي بختين

دار الكتب العلمية

يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الأعداء كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإن آلات الحروب متخذة منه ﴿وَمَنْ لَّيْطُغُ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّهُ مَن يَصْرُمُ وَيُسَلِّمُ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار. والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلاً أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله

أنزله أسبابه. وقيل: الإنزال هنا بمعنى الإنشاء والهيئة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا لَكُمْ فِيهِ الْأَنْفَاقَ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الزمر: ١٦] وقيل: هو من باب علقها نثا وماء بارقاء. وتفسير الكلام: أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان. ويدل على صحة هذا الترجيح قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا رُوحَهُ فِي صُورٍ أَنبَأَكُمْ﴾ [الرحمن: ١٧] والميزان بوضع الأمر باستعماله. وروى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: من قومك يزنوا به. وقيل: المراد بالميزان العدل وبأنزله أنزال الأمر به. قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ جملة حالية من الحديد قيل: معناه فيه من خشية القتل خوف شديد. وقال مجيب السنة: فيه قوة شديدة في الحرب. وفي الصحيح: البأس العذاب والبأس الشدة في الحرب. قال مجاهد: فيه جنة وسلاح. والمعنى: إنه متخذ منه آتاك للحرب آلة الدفع وآلة الصرب. قال أهل الصغاني معنى ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ لحدته وإنشائه كما في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَرْوَاحٍ﴾ وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَنَازِلَ لِّلنَّاسِ﴾ [الاعراف: ١٢٦] وذلك أن أوامر الله تعالى وأحكامه تنزل من السماء. وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله عز وجل أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل النار والحديد والماء والطلع». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السندان والكليش والمقصعة والمطرقة والإبرة. السندان يروى بفتح السين وكسر ما يقال له بالتركي أورس. والكليش آلة يؤخذ بها الحديد المحمى. والمقصعة البرد وهو ما يحد به الحديد. والمطرقة آلة يضرب بها الحدادون الحديد المحمى يقال له بالتركي حكوخ. فعلى هذا الإنزال على حقيقته. وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ بعد قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ إشارة إلى أن خشية قوتهم الكتاب واستعمال ما يؤخذ به يتوقفان على إله صاحب سيف يقسم به أمر السياسة ويفهر به من تجاوز القسط وتعدي وظلم. فإن الظلم من شيم النفوس الأمارة بالسيف حجة الله تعالى على من تعدي وظلم. ثم قال: ﴿وَمَنْ لَّيْطُغُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى القيام بالسيف يحتاج أيضاً إلى ما يتوقف عليه التعايش من الصنائع وآلات المحرفة.

قوله: (والعطف على محذوف) يعني أن قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّهُ مَن يَصْرُمُ﴾ معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْ لَّيْطُغُ لِلنَّاسِ﴾ فإنه حال فيه معنى التعليق

نَقِيسِرُ الْخَطِيئَةِ الشَّرِيفَةِ

المُسَمَّى
السِّرَاجِ الْمُنِيرِ
فِي الْأَرْكَانِ
عَلَى مَعْرِفَةِ بَعْضِ مَعَانِي كَلَامِ رَبِّنَا الْحَكِيمِ الْخَمِيرِ

تَأْنِيهِ
الْإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَطِيبِ الشَّرِيفِ الْمَصْرِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٧٧ هـ

عَزَّ وَجَلَّ وَآلِهِ وَارْحَمَهُمُ اللَّهُ
إِبْرَاهِيمَ شَمْسُ الدِّينِ

الْمَجْتَمِعِ الْأَوَّلِ

الْمَحْصُوفِ :

مِنْهُ أَوَّلُ سُورَةِ الْقَامَةِ - إِلَى آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ

مَسْتَفَادَاتُ
مَنْ رَوَاهُ يَنْفَرُ
دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ
بِغَدَادَةِ

سورة آل عمران


٢٣٢

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ وَمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ إِلَّا نساءٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمَرْسَلِينَ خَالِدٌ وَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

﴿الَّذِينَ﴾ تمت للذين اتقوا أو للعباد أو بطل من الذين قبله ﴿يقولون﴾ يا ﴿ربنا﴾ إنا آثمنا ﴿أي﴾ صغرتنا ﴿فأغفر لنا ذنوبنا﴾ أي استرها علينا وتجاوز عنا ﴿وقنا عذاب النار﴾

تفسيره: في ترتيب سؤال المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجرد الإيمان دليل على أن مجرد الإيمان كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لأسبابها وأسباب ما عطف عليها وقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أي: على الطاعة وعن المعصية وعلى البأساء والضراء تمت ﴿والصَّادِقِينَ﴾ أي: في إيمانهم وأقوالهم قال قتادة: هم قوم سلكوا نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم فصدقوا في السر والعلانية ﴿والقَّانِينَ﴾ أي: المطيعين لله ﴿والمُتَّقِينَ﴾ أي: المتصقين ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ أي: أواخر الليل كأن يقولوا: اللهم اغفر لنا غصت بالذكر، لأنها وقت الغفلة وليلة النوم، وفي هذا كما قال البيضاوي: حصر المقامات السالك على أحسن الترتيب أي: التذكرى فإن معامتك مع الله إما توسل وإما طلب، والتوسل إما بالنفس وهو منها عن الرذائل وحسبها على الفضائل والمسير بطلبها، وإما بالبدن وهو إما قولاً وهو الصدق وإما فعلاً وهو القبول الذي هو ملازمة الطاعة، وإما بالمال وهو الإنفاق في سبيل الخير وإما الطلب فالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها انتهى.

وتوسط الواو بين الصابرين وما بعده للدلالة على استقلال كل واحد منها وكما لهم فيها أو لتغاير الموصوفين بالمقامات. وتنحصر الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب من الدعاء في غيرها إلى الإجابة لأن العبادة جنته أشق والنفس أضيق والعقل أجمع لمعاني الألفاظ التي ينطق بها لا سيما للمتجهدين قبل. إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون، وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا فيه الدعاء والاستغفار فذا نهارهم وعدا ليلاً ومن أبي حمزة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله إلى سماء الدنيا - أي: البراءة - كل ليلة حين ينفى ثلث الليل الأخير فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجب له

A decorative frame made of elegant, symmetrical scrollwork and flourishes, enclosing the central text. The frame has a central vertical axis and horizontal extensions at the top and bottom, with intricate swirls and loops.

بيان النقول الثابتة الصريحة من
نصوص أعلام الأئمة والمفسرين
وشُراح الحديث، من السلف والخلف،
والمذاهب الأربعة، في شرح وتأويل
حديث النزول بما يوافق عقيدة
الهدى والتوحيد، ويُبطل مزاعم
أهل التشبيه والتجسيم والضلال.

الْجَامِعُ الصَّحِيحُ
رَوَاهُ
سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ
لِابْنِ عِيْسَى مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى بْنِ سُوْرَةَ
٢٠٩ - ٢٧٩ هـ

تَحْقِيقٌ وَتَوْضِيحٌ وَتَعْلِيلٌ
عَادِمُ الْكَتَابِ وَالسَّنَةِ
مُحَمَّدُ فَوَادِ عُبَيْدُ الْبَاقِي

الْحِزْمَةُ الثَّالِثُ

دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ
بِירוْت. لُبْنَان

٥ - كتاب الزكاة

(٢٨) باب

(٦٦٢ و ٦٦١) حديث

قَالَ : وَرَى الْبَابُ عَنْ عَائِشَةَ ، وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، وَأَنْسَرٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ، وَحَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ ، وَعَمْرِو بْنِ الرَّحَنِ بْنِ هَوْفٍ ، وَبُرَيْدَةَ .
« قَالَ أَبُو عِيسَى : حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » .

٦٦٢ - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ . حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا عِيَادُ بْنُ مَنْصُورٍ . حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ . قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِمِجْنَتِهِ ، فَيُرِيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ مِرَّةً . حَتَّى إِنْ الْقَمَّةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أَحَدٍ » .

وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (أَلَمْ يَدْعُوا أَنْ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) وَ (يَخْبِتُ اللَّهُ الرُّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ) .

« قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » .

وَقَدْ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْوُهُ هَذَا .

وَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ وَهَبٍ وَاحِدٌ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا يُشِيرُ بِهِ هَذَا مِنَ الرُّوَايَاتِ مِنَ الصَّغَاتِ . وَنَزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالُوا : قَدْ تَنَبَّأَتِ الرُّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمِنُ بِهَا وَلَا يَتَوَعَّمُ ، وَلَا يُقَالُ ، كَيْفَ ؟ .

الحديث رقم ٦٦٢

تخرجه :

أصل المتن ثابت في الحديث السابق .

٥ - كتاب الزكاة (٢٨) باب (٦٦٣ و٦٦٤) حديث

هَكَذَا رَوَى عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: أَمْرُهَا بِإِلَّا كَيْفَ، وَهَكَذَا أَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الشُّعْرِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنكَرَتْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: الْيَدَ وَالشَّمْعَ وَالْبَصَرَ. فَتَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الْآيَاتِ فَتَسْرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ. وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدَيْهِ. وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ هُنَا الْقُوَّةُ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيْفَ أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمِعَ كَسَمِعَ أَوْ مِثْلُ سَمِعَ. فَإِذَا قَالَ: سَمِعَ كَسَمِعَ أَوْ مِثْلُ سَمِعَ فَهَذَا التَّشْبِيهُ.

وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَدٌ وَسَمِعَ وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمِعَ وَلَا كَسَمِعَ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيْهًا. وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

٦٦٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ - حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ مُوسَى عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «سُئِلَ النَّبِيُّ

الْحَدِيثُ رَقْمَ ٦٦٣

نَحْرِجُهُ:

لَمْ يَجْرِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ الشُّعْرِ، مَوْضِعَهُ.

سورة النساء الآيةين: ١٣، ١٤

٦٥

قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ حُدُودَ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٣﴾ وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ حُدُودَ اللَّهِ يَدْخُلْهَا نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٤﴾ وقوله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ حُدُودَ اللَّهِ﴾

قيل: فرائض الله التي أمركم بها من قسمة الميراث^(١)

ويحتمل ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: ما حد لنا حتى لا يجوز تجاوزها، وقد تقدم ذكرها في سورة البقرة. وذكر حدود الله، وقد يجوز أن يكون للخلق حدود، يقال: حدّ فلان، فإذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حدّ الخلق كيف فهم من قوله: ﴿أَسْتَوِي عَلَى السَّمْعِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و﴿أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ﴾ ما فهم من استواء الخلق^(٢) فإذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حدّ الخلق - لم يحز أن يفهم من استواء الله ما يفهم من استواء الخلق، وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق، ولا يفهم من مجيئه الخلق، ولا من نزوله نزول الخلق، على ما لم يفهم من قوله -تعالى- ﴿يُنَزِّلُ حُدُودَ اللَّهِ﴾ حدود المخلوق، إذ لا فرق بين هذا وبين الأول.

وقوله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ حُدُودَ اللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أوامره ونواهيه، وما حُرِّمَ وأُحِلَّ.

ويحتمل: حدود شيء من ذلك، فيرجع تأويل الأول إلى أنفس العبادات، والثاني: إلى نهايات العبادات.

والمعروف من الحدود التي تنسب إلى الخلق وجهان:

أحدهما: نهاية المنسوب إليه، وذلك حق حد الأعيان.

والثاني: الأثر الذي يضاف إليه، وذلك حد الصفات أن يقال: حد الفعل فعل كذا، وحد البصر والسمع، براد به الأثر الذي به يعرفه، أو هنالك ما ذكر، ثم لم تكن الحدود التي أضيفت إلى الله - سبحانه وتعالى - على واحد من الوجهين اللذين يضافا إلى الخلق، إذ قد ثبت بضرورة العقل وخجج السمع تعالىه عن المعاني التي هي معاني خلقه، فعلى ذلك ما أضيف إليه من طريق العقل من الاستواء، والمجىء، والمروية - لم يحز في ذلك تصوير المعنى الذي في إضافة ذلك إلى الخلق يكون بما في ضرورة العقل والسمع جلالة وكبريائه عن ذلك المعنى، وبالله العصمة.

(١) أخرجه بمعناه ابن جرير في تفسيره (١/٢٦٩) (٢٨٧٩) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر (٢/٢٢٧) وزاد نسبه لابن أبي حاتم عن ابن عباس وسعيد بن جبر.

الْأَعْنَافُ وَالْمُهَادِلَةُ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

لِلإِمَامِ الْحَافِظِ الْكَبِيرِ
أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٨ هـ

صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
كَامَلُ يُونُسَ الْجُوتِ
مَرْكَزُ الْخَدَمَاتِ وَالْبَحْثِ الثَّقَافِيَّةِ

عالم الكتب

النبي ﷺ، وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا، ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين: منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله، ووكل علمه إلى الله، ونفي الكيفية والتنشيه عنه، ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة، ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات^(١) في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب. وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا ممانعة لشيء من خلقه، لكنه مستوى على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنزلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها، وثقنا عنها التكيف، فقد قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٢) وقال: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾^(٣) وقال: ﴿هل تعلم له سمياً﴾^(٤).

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا محمد بن بشر بن مطر، ثنا الهيثم بن خارجة، ثنا الوليد بن مسلم قال: مثل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن يزيد، سمعت أبا يحيى البراء يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كل ما وصف الله من نفسه

الموطأ: في القرآن: باب ما جاء في الدعاء، وأبو داود في الصلاة: باب أي الليل أفضل.

(١) ص: ١١٩ وما بعدها

(٢) الثوري: ١٠

(٣) الاختصاص: ٥

(٤) مريم: ٦٥

من تراث الكوثري

(١٦)

كِتَابُ

الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ

لِلإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي
البيهقي

المؤلف سنة ٤٥٨ هجرية

قدم له وعلق عليه فضيلة أستاذنا العلامة

محمد زاهد بن الشيخ البكري

وكيل المخطبة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درهماً الأزهر - طبع في المطبع المasonic في القاهرة سنة ١٤٧٠ هـ

من الغمام والملائكة ﴿١﴾ يقول الملائكة يجيئون في ظلل من الغمام، والله عز وجل يجيء فيما يشاء، وهي في بعض القراءة ﴿٢﴾ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام ﴿٣﴾ وهي كقولهم ﴿٤﴾ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً ﴿٥﴾ قلت فصيح بهذا التفسير أن الغمام إنما هو مكان الملائكة ومركبهم، وأن الله تعالى لا مكان له ولا مركب، وأما الإتيان والجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلاً يسمى إتياناً ومجيئاً، لا بأن يتحرك^(١) أو ينتقل، فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء. وهذا كقوله عز وجل ﴿٦﴾ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿٧﴾ ولم يرد به إتياناً من حيث النقلة، وإنما أراد إحداث الفعل الذي به حرب بنيانهم وخر عليهم السقف من فوقهم، فسمي ذلك الفعل إتياناً، وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسمى نزولاً بلا حركة ولا نقلة، تعالى الله عن صفات المخلوقين.

«أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا أحمد بن سليمان النجاد قال قرئ على سليمان ابن الأشعث الأشجعي وأنا أسمع ثنا القعنبى عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ قال «ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له». «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا جعفر بن محمد بن الحسين ثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك فذكر بمعناه. رواه البخاري في الصحيح عن القعنبى ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى، ورواه أيضاً يحيى بن أبي كثير ومحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

(١) وإتيان الحركة والانتقال والجهة ونحوها لله سبحانه تسميم صريح بغير كتاب ولا سنة. وكذلك إثبات الحد والحلول والمساواة، تعالى الله عن ذلك. وإثبات النقلة والحركة له تعالى رغبة عن فلة إبراهيم عليه السلام وميل إلى أعدائه الضالقة عبدة الأجرام العلوية، وإن وقع في كلام حرب ابن إسحاق وحماد بن سعيد وغيرهما من قادة الخشونة، ونصوص كلماتهم مدونة في تكملة الرد على بونية ابن القيم.

« أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصائغ والعباس بن محمد الدروري قالا: ثنا محاضر ابن المورع ثنا بن سعيد أنا سعيد بن مرجانة قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « ينزل^(١) الله إلى السماء الدنيا لشطر الليل - أول ثلث الليل - الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له؟ أو يسألني فأعطيه؟ ثم يقول من يقرض غير عديم ولا قلول؟ رواه مسلم في الصحيح عن حجاج بن الشاعر عن محاضر بن المورع، وأخرجه أيضاً من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه أيضاً أبو جعفر محمد بن علي في آخرين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

« أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك أنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو عاود ثنا شعبة أنا أبو إسحاق قال سمعت الأغر يقول أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله عز وجل يهبط حتى يمضي ثلثا الليل ثم يهبط فيقول هل من سائل؟ هل من تائب؟ هل من مستغفر من ذنب؟ فقال له رجل حتى يطلع الفجر؟ فقال نعم « أخرجه مسلم في الصحيح من حديث غندر عن شعبة وقال: فينزل بدل قوله ثم يهبط، ومعهناه قاله منصور عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم ينزل^(٢) إلى السماء الدنيا.

(١) قد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المقعول أي ينزل ملكاً، ويقويه حديث النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد قال رسول الله ﷺ: « إن الله يهبط حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر نادياً يقول: هل من داع فيستجاب له؟ الحديث، وصححه عبد الحق، بل هذا الحديث يعين أن الإسناد حجازي في صنع الثلاثي من روايات الحديث فيخرج الحديث من أن يكون من الأحاديث المتشابهة، على أن شطر الليل وثلاثة مما يختلف باختلاف المظالم والغارب، كما يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه. فثبت أن ذلك فتح باب القول لأهل كل فن. وأما من جعل ذلك ثقلاً فقد جسر وشالف البرهان العقلي، والدليل الشرعي وضورة الحس، راجع الفصل لآمين حزم وشرح البخاري للبدر العيني.

(٢) قال البدر العيني في شرح البخاري: إذا أضيف الضم والابتداء والنزول إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنفلة التي هي تغير مكانه وشغل غيره، ويحمل على ذلك، وإذا أضيف إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بعبته وصبغته تعالى، فالنزول لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة: بمعنى الانتقال كما في قوله تعالى (وانزلنا من السماء ماء مطهراً) وبمعنى الإعلام نحو قوله تعالى (نزل به الروح الأمين)

* أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ شَيْبَانَ الشَّاهِدُ بِهِمَا أَنَّ ثَنَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَاضِي ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَرْزٍ أَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ ح. وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكْرِيَا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَقِيهَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى الْوَاسِطِيُّ ثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّيَالِسِيُّ ثَنَا حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ نَافِعِ بْنِ جَبْرِ عَنْ مَطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثَلَاثِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبُ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأُغْفِرُ لَهُ؟ قَالَ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ». لَفْظُ حَدِيثِ الْوَاسِطِيِّ وَهُوَ أَتَمُّ، وَقَدْ رَوَى فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَرَفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ وَجَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعِثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَعَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَى فِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأُمِّ سُلَيْمَةَ وَغَيْرِهِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

* أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ وَأَبُو سَعِيدٍ بْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالَا: ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاعِنِيُّ أَنَا سَلِمُ بْنُ قَادِمٍ ثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ قَالَ قَالَ لِي عِبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ: قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْدُ نَحْوِ مَنْ خَمْسِينَ سَنَةً، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنْ عِنْدَنَا قَوْمًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ يَنْكُرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، قَالَ فَحَدَّثَنِي بِنَحْوِ مِنْ عَشْرَةِ أَحَادِيثَ فِي هَذَا، وَقَالَ: أَمَا نَحْنُ فَقَدْ أَخَذْنَا دِينَنَا هَذَا عَنْ التَّابِعِينَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَمُّ عَمَّنْ أَخَذُوا؟

* أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا زَكْرِيَا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرَوِّيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ قَاضِيًا^(١) فَارِسَ يَقُولُ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْه:

«أَيُّ أَهْلِ بَيْتِ الرُّوحِ الْأَمِينِ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَمَعْنَى الْقَوْلِ نَحْوُ (سَائِلُ مِثْلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) أَيْ سَائِلُ مِثْلُ مَا قَالَ. وَمَعْنَى الْأَقْبَالِ عَلَى الشَّيْءِ، وَمَعْنَى نَزُولِ الْحُكْمِ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مُتَعَارِفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ، وَإِذَا كُنَّا مُشْتَرِكَةً فِي الْمَعْنَى وَجَبَ حُجْلُ مَا وَصَفَ بِهِ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنَ التَّوَلُّدِ عَلَى مَا يُلْحِقُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْعَائِلَةِ، وَهُوَ إِقْبَالُهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِالرَّحْمَةِ أَه. رَاجِعْ عَمْدَةُ الْقَارِي (٦٢٣-٣) ز.

(١) وَهُوَ مَجْهُولٌ ز.

دخلت يوما على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له: ويقدر، فسكت عبد الله. قال أبو العباس أخبرني الثقة من أصحابنا قال سمعت إسحاق بن راهويه يقول: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب تقول إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت: أيها الأمير إن الله تعالى بعث إلينا نبيا نقل إلينا عنه أخبار بها تحلل الدماء، وبها تحرم، وبها تحلل الفروج، وبها تحرم، وبها تبيح الأموال وبها تحرم، فإن صح ذا، وإن بطل ذا، وإن بطل ذا، قال فأمسك عبد الله. وأخبرنا أبو عبيد الله الحافظ قال سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هاتئ يقول سمعت أحمد بن سلمة يقول سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم ابن أبي صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال إبراهيم: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء. قال فرضي عبد الله كلامي وانكر على إبراهيم. هذا معنى الحكاية.

* وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا زكريا العنبري يقول سمعت أبا العباس يقول سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: دخلت يوما على طاهر بن عبد الله بن طاهر وعنده منصور بن طلحة، فقال لي: يا أبا يعقوب إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت له تؤمن به؟ فقال طاهر: ألم أنهك عن هذا الشيخ، ما دعاك إلى أن تسأله عن مثل هذا؟ قال إسحاق فقلت له إذا أنت لم تؤمن أن لك ربا يفعل ما يشاء، لست تحتاج أن تسألني. قلت فقد بين إسحاق بن إبراهيم الحنظلي في هذه الحكاية أن النزول عنده من صفات الفعل، ثم إنه كان يجعله نزولا بلا كيف، وفي ذلك دلالة على أنه كان لا يعتقد فيه الانتقال والنزول.

* أخبرنا أبو بكر بن الحارث القتيبي أنا أبو محمد بن حبان أبو الشيخ الأصميهاني قال وفيما أجازني جدي - يعني محمود بن الفرج - قال قال إسحاق بن راهويه سألني ابن طاهر عن حديث النبي ﷺ - يعني في النزول - فقلت له النزول بل كيف.

* قال أبو سليمان الخطابي: هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث

في الصفات كان مذهب السلف فيها الإيمان بها، وإجراءها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها، وذكر الحكاية التي أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه أنا أبو محمد ابن حبان ثنا الحسن بن محمد الدارمي ثنا أبو زرعة ثنا أبو مصفى ثنا بقية ثنا الأوزاعي عن الزهري ومكحول قال أمضوا الأحاديث على ما جاءت.

• أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالوية ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا الهيثم بن خارجة ثنا الوليد بن مسلم قال سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا: أمرؤها كما جاءت بلا كيفية.

• قال أبو سليمان: وقد روي عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً قال له، كيف ينزل فقال له بالفارسية كدخدای^(١) كما روي عن كثر بن عوف كما يشاء.

• أخبرنا أبو عثمان ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل ثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي ثنا جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن محبوب ثنا أحمد بن حنبل ثنا أبو عبد الرحمن العتكي ثنا محمد بن سلام قال: سألت عبد الله بن المبارك فذكر حكاية قال فيها فقال الرجل يا أبا عبد الرحمن كيف ينزل؟ فقال عبد الله بن المبارك كدخدای كما روي عن كثر بن عوف كما يشاء. قال أبو سليمان رحمة الله: وإنما يتكرر هذا وما أشبهه من الحديث من يفسر الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو نزول من أعلى إلى أسفل، وانشقاق من فوق إلى تحت، وهذا صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متشعبة فيه، وإنما هو خبير عن قدرته ورأفته بعنايته، وعطفة عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم، بفعل ما يشاء، لا يتوجه على

(١) يعني ليكن تحدثك عن العمل نفسك، وتزعمك وإشرافك عليها فقط. ولست بتشرف على أفعال الله سبحانه. وكدخدای بمعنى صاحب البيت المشرف على شرفه، وهي الكلمة المستعملة في لغة مصر بلفظ كدخدای.

وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْحَرَكَةِ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسَّكُونَ يَتَعَايَنَانِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالْحَرَكَةِ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالسَّكُونِ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَعْرَاضِ الْخَدَثِ، وَأَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَعَالٍ عَنْهُمَا، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. فَلَوْ جَرَى هَذَا الشَّيْخُ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَلَمْ يَدْخُلْ نَفْسَهُ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ بِهِ الْقَوْلُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ الْفَاحِشِ. قَالَ: وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا لِكَيْ يَتَوَفَى الْكَلَامُ فِيهَا كَمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّوعِ، فَإِنَّهُ لَا يَشْمُرُ خَيْرًا وَلَا يَفْغِدُ رُشْدًا، وَنَسِمَالُ اللَّهِ الْعَصَصَةُ مِنَ الضَّلَالِ، وَالْقَوْلُ بِمَا لَا يَجُوزُ مِنَ الْفَاسِدِ وَالْمَحَالِّ.

❖ وَقَالَ الْقُشَيْبِيُّ: قَدْ يَكُونُ النَّزُولُ بِمَعْنَى إِقْبَالِكَ عَلَى شَيْءٍ بِالْإِرَادَةِ وَالنِّيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْهَبُوطُ وَالْأَرْتِفَاعُ وَالْبُلُوغُ وَالْمَصِيرُ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، وَذَكَرَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: وَلَا يَرَادُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا انْتِقَالُ يَعْنَى بِالذَّاتِ، وَإِنَّمَا يَرَادُ بِهِ الْقَصْدُ إِلَى الشَّيْءِ بِالْإِرَادَةِ وَالْعَزْمِ وَالنِّيَّةِ.

❖ قُلْتُ وَفِيمَا قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَفَايَةً، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى مَعْنَاهُ الْقُشَيْبِيُّ فِي كَلَامِهِ، فَقَالَ: لَا نَحْتَمُّ عَلَى النَّزُولِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَكِنَّا نَبَيِّنُ كَيْفَ هُوَ فِي اللُّغَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ.

❖ وَقُرَأَتْ بِخَطِّ الْأَسْتَاذَةِ أَبِي عِثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ عَقِيبَ حَدِيثِ النَّزُولِ قَالَ الْأَسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ يَعْنِي الْحَمَّاشَانِي عَلَى إِيَّائِهِ

النَّصُوصِ وَالْأَثَارِ عَلَى التَّجْلِيَّاتِ الْمَصْطَلَحِ عَلَيْهَا قَبِيصًا بِمَعْنَى عَهْدِ النَّزُولِ بِذَهْوِ اسْتِعْمَالِهَا فِي حَقَائِقِهَا؟ وَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَقَدْ زَاغَ عَنِ مَنَهِجِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ، وَتَسَكَّبَ سَبِيلَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَمَسَلَّتْ أَمَّةُ أَصُولِ الدِّينِ، وَنَابَذَ لُغَةَ التَّخَاطُبِ، وَهَجَرَ طَرِيقَةَ أَهْلِ النَّقْدِ فِي الْجَرَحِ وَالْتِعْذِيلِ، وَالتَّقْوِيمِ وَالتَّعْلِيلِ، وَجَانِبَ أَصْفِيَاءِ الصُّوْفِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِالتَّوْحِيدِ الشَّهْوِيِّ، بَلْ حَادَّ عَنْ فِرْقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ جَمْعَاءَ، غَيْرَ الْحُلُولِيَّةِ مِنْ طَوَائِفِ الشُّبُهَةِ، قَعَقَاتِ هَذَا الْحَائِذِ عَقَبَاتِ دُونَ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقَائِقِ. وَهَكَذَا تَكُونُ وَيَلَاقِي الشَّدُوذَ عَنِ الْجَمَاعَةِ. وَقَدْ أَطْلَقَ اللَّهُ سَخَانَهُ تَارِفَةً وَفَنَ جَدَّهُ، وَطَلَمَا اتَّهَمْتَ طَوَائِفَ مِنْ أَصْفِيَاءِ أَهْلِ بِلَادِهِمَا. وَلَنَا عَوْدَةٌ إِلَى بَسْطِ مَا لِلْحَقِيقَةِ وَالْخَدِّ مِنْ وَجْهِهِ الشَّهَاقَةِ وَالْإِشْرَافِ عَنِ الصُّوَابِ فِي جَرِّهِ خَاسِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، نَحْذَرُ لِأَخَوَانِنَا الْأَصْفِيَاءِ الْمُتَّقِينَ. وَأَسْفُ جَدِّ الْأَسْفِ أَنْ يَرْجُحَ اللَّفْظَ وَالِدَوْرَانَ وَالْكَلَامَ الْمُبْهَرَجَ الَّذِي لَا مَعْنَى تَحْتَهُ عَلَى الْإِهْلَاقِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِمْ مَنَهِجَهُمُ الْقَوِيمَ. وَإِحْسَانُ الظَّنِّ بِالْبَاقِ فِي الشُّبُوحِ مَوْقِعٌ فِي شِكَاكِ الزَّمْعِ نَسَالُ اللَّهُ السَّلَامَةَ. ز.

الخبر. وقد اختلف العلماء في قوله ينزل الله فسلل أبو حنيفة عنه فقال: ينزل بلا كيف. وقال حماد بن زيد: نزوله إتياله، وقال بعضهم ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف. من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بالتجلى والتعالى، لأنه جل جلاله منزّه عن أن تكون صفاته مثل صفات الخلق، كما كان منزّه عن أن تكون ذاته مثل ذات الغير، فمحيته وإتياله ونزوله على حسب ما يليق بصفاته، من غير تشبيه وكيفية. ثم روى الامام رحمه الله عقيب حكاية ابن المبارك حين سئل عن كيفية نزوله، فقال عبيد الله: كدخاى كرخوش كنزىزل كيف يشاء. وقد سبقت منه هذه الحكاية بأسانده، وكنتها حيث ذكرها أبو سليمان رحمه الله.

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْزِيَّ يَقُولُ: حَدِيثُ النَّزُولِ قَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَجْهِ صَحِيحَةٍ، وَوَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ مَا يُصَدِّقُهُ وَهُوَ قَوْلُ تَعَالَى (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) وَالْحَيُّ وَالنَّزُولُ صِفَتَانِ مُنْفِيتَانِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ طَرِيقِ الْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، بَلْ هُمَا صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا تَشْبِيهِ، جَلَّ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْمُعْطَلَةُ لِمُفَاغَاتِهِ وَالْمُشَبَّهَةِ بِهَا عُلُوًّا كَبِيرًا.

« أخبرنا أبو عبد الله الحافظ: أن أبا عبد الله بن يعقوب ثنا محمد بن عمرو الحرشي ثنا القعني ثنا يزيد بن إبراهيم التستري عن عبد الله بن أبي ملكية عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب)» قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سعى الله عز وجل فاحذرهم». رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن القعني.

(باب ماری فی الثقب والإتيان والهرولة)

اخبرنا ابو عبد الله الحافظ ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا

هذا الراوي، إذ منائر الراوة يقولون «إذا تقرب مني ذراعاً تفريت منه ياغا» ويقولون في تمام الحديث «وإذا اتاني بمشي آتيته أهروا» والباع والبوع مستقيمان في اللغة جاريتان على سبيل العربية، والأصل في الحروف الواو فقلبت الواو ألفاً للفتحة .

ثم الجهمية وأصناف القدرية وأخفاف المعتزلة المجترئة على رد أخبار الرسول بالمزيف من المعتقد، لما ردوا إلى حولهم وأحاط بهم الخلدان واستولى عليهم بخدائعه الشيطان، ولم يعصمهم التوفيق ولا استنقذهم التحقيق، قالوا: الهرولة لا تكون إلا من الجسم المنقل، والحيوان المهرولة، وهو ضرب من ضروب حركات الإنسان كالهرولة المعروفة في الحج، وهكذا قالوا، في قوله: تفريت منه ذراعاً، تشبيه إذ يقال ذلك في الأشخاص المتقاربة والأجسام المتدانية، الحاملة للأعراض، ذوات الأيساط والانتقاض، فاما القديم المتعالي عن صفة المخلوقين، وعن نعوت المقتربين، فلا يقال عليه ما ينشلم به التوحيد ولا يسلم عليه التمجيد فأقول إن قول الرسول ﷺ موافق لقضايا العقول إذ هو سيد الموحدين من الأولين والآخرين، ولكن من نبت الدين ورأه وحكم هواه وآراه، ضل عن سبيل المؤمنين، وباء بسخط رب العالمين، تقرب العبد من مولاه بطاعته وإراداته وحركاته وسكناته سراً وعلناً، كالذي روى عن النبي ﷺ «ما تقرب العبد مني بمثل ما تقرب من آذاه ما اقترضته عليه، فلا يزال يقترب إلى بالنوافل حتى أكون له سمعاً وبصراً» وهذا القول من الرسول ﷺ من لطيف التمشيل عند ذوي التحصيل، البعيد من التشبيه، المكين من التوحيد، وهو أن يستولى الحق على المتقرب إليه بالنوافل حتى لا يسمع شيئاً إلا به، ولا ينطق إلا عنه، نشرأ لآلائه، وذكرأ لنعمائه، وأخباراً عن منته المستغرقة للمخلق، فهذا معنى قوله يسمع به وينطق ولا يقع نظره على منظور إليه إلا رآه بقلبه موحداً، وباطائف آثار حكيمته ومواقع قدرته من ذلك الموقن المشاهد، يشهده بعين التدبير وتحقيق التقدير، وتصديق التصوير .

« وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد .

« فتقرب العبد بالأحسان، وتقرب الحق بالامتثال، يزيد أنه الذي أدناه، وتقرب العبد إليه بالتوبة والأتابة، وتقرب الباري إليه بالرحمة

والمغفرة، وتقرب العبد إليه بالسؤال، وتقربه إليه بالتوَال، وتقرب العبد إليه بالسر وتقربه إليه بالبشر، لأن من حيث توهمته الفرقة المضلة الأعمال والمتغاية بالاعثار.

• وقد قيل في معناه إذا تقرب العبد إلى بما به تعبدته، تقربت إليه بما له عليه وعدته. وقيل في معناه إنما هو كلام خرج على طريق القرب من القلوب دون الحواس، مع السلامة من العيوب، على حسب ما يعرفه المشاهدون، ويجده العابدون، من أخبار تنو من يدنو منه، وقرب من يقرب إليه، فقال على هذه السبيل وعلى مذهب التمثيل ولسان التعليم بما يقرب من الشفهم، إن قرب الباري من خلقه يقربهم إليه بالخروج فيما أوجبه عليهم، هكذا القول في الهرولة، إنما يخبر عن سرعة القبول، وحقبة الاقبال ودرجة الوصول، والوصف الذي يرجع إلى المخلوق مصروف على ما هو به لائق، ويكونه متحقق، والوصف الذي يرجع إلى الله سبحانه وتعالى يصرفه لسان التوحيد، وبيان التجريد، إلى تعوته المتعالية، واسمائه الحسنی ولولا الاملال احلده وأخشاه، لقلت في هذا ما يطول ذكره، ويصعب ملكه، والذي أقوله في هذا الخسر وأنشأه من أخبار الرسول ﷺ المنقولة على الصحة والاستقامة بالرواء الاثبات العدول، وجوب التسليم، ولفظ التحكيم، والانقياد بتحقيق الطاعة، وقطع الريب عن الرسول ﷺ وعن الصحابة النجباء الذين اختارهم الله تعالى له وزراء وأصفياء وخلفاء، وجعلهم سفراء بيننا وبينه ﷺ، عن حق عداه أو عدوه، وصدق تجاوزه، والناس ضربان مقلدون وعلماء، فالذين يقلدون أئمة الدين سبيلهم أن يرجعوا إليهم عن هذه الموارد، والذين منحوا العلم ورزقوا الفهم هم الأنوار المستضاء بهم، والأئمة المقتدى بهم، ولا أعلمهم إلا الطائفة السنية والحمد لله رب العالمين.

• أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروضباري ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمود العسكري بالبصرة ثنا أبو عبيد الرحمن النسائي أحمد

السُّنَنِ الْكُبْرَى

لِإِمَامِ الْمُحَدِّثِينَ الْكَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ
ابْنِ عَلِيٍّ الْبَيْهَقِيِّ "٤٥٨ هـ".

وَفِي ذَيْلِهِ

الْجَوْهَرُ النُّقِيُّ

لِلْعَلَمِ الْعَلَّامِ الرَّبِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ الْمَدِينِيِّ
السَّجَرِيِّ "بَابُ الْتَرْكَايَ" الْمُرْتَقَى ٧٤٥ هـ.

وَفِيهِ

فَهْرَسْتُ الْأَعْلَافِ

أَعْلَافُ

الذِّكْرِ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعِشْرِ

الْمَجْرُءُ الثَّالِثُ

حَادِثُ الْمَعْرِفَةِ

بَيْرُوت - لُبْنَانُ

لَبَابُ النُّشُولِ فِي أَصُولِ الدِّينِ

تأليف
إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
الجويني الشافعي
المتوفى سنة ٥٧٨ هـ

وضع حواشيه
عبد الله محمد محمد عمر

مفتوحات
محمد علي بيضري
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ،
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا
يَذَكِّرُ إِلَّا أُولَؤُلَ الْأَلْبَابِ ﴿١﴾. أَيَّ آمَنَّا بِهِ جَمِيعاً مُحْكَمِهِ
وَمُتَشَابِهِهِ، لَكِنْ إِيْمَانُهُم بِالْمُتَشَابِهِ لَا يَنْقُضُ إِيْمَانَهُم بِالْحُكْمِ الَّذِي
هُوَ الْأَصْلُ، فَهُمْ لَا يَشْبَهُونَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، بَلْ يَكُونُ الْعِلْمُ
بِمَعْنَى الْمُتَشَابِهِ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، مُعْتَقِدِينَ أَنَّ لَهُ مَعْنَى
شَرِيفاً يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَلَا هُمْ بِالْمُعْطَلِّينَ لِلنُّصُوصِ وَلَا هُمْ
بِالْمُشْبَهِينَ، وَمَذْهَبُهُمْ وَسْطُ بَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الشَّاذَّيْنِ عَنْ
سَبِيلِ أَهْلِ الْحَقِّ، وَهِيَ الْمُعْطَلَّةُ وَالْمُشْبَّهَةُ.

وَعَلَى هَذَا دَرَجَ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنْ صَحَابَةٍ وَتَابِعِينَ
وَتَابِعِيهِمْ، وَلَوْ ذَهَبَتْ أَسْرَدُ لِكَ كَلِمَاتِهِمْ فِي هَذَا، لَطَالَ فِي
النُّقُولِ وَامْتَدَّ الْكَلَامُ.

لَكِنْ لَمَّا ظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ، وَتَطَلَّعَتْ رُؤُوسُ أَهْلِ الزَّيْغِ،
وَصَارُوا يَشْوِشُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عِقَائِدَهُمْ، خَشِيَ عُلَمَاءُ
الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْعِقَائِدِ أَنْ يُلْحَقَهَا لَوُثٌ وَفَسَادٌ، فَاعْتَمَدُوا
تَأْوِيلَ النُّصُوصِ الْمُتَشَابِهَةِ فِي إِطَارِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَضَمَّنَ سُورَ
الشَّرِيعَةِ، فَأُولَؤُلَ الْأَسْتِوَاءِ بِالْأَسْتِغْلَاءِ مِثْلًا مُسْتَأْنَسِينَ بِقَوْلِ
الْعَرَبِيِّ:

قَدْ اسْتَوَى بَشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سِفِّ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

الإشامل / كتاب التوحيد

٣٢١

يجب انقضائها في القطعيات.

وذهب الأستاذ أبو إسحاق إلى أن الحديث المدون في الصحاح الذي لم يعترض عليه أحد من أهل الجرح والتعديل، وهو ما يقضي به في القطعيات، وليس من أصله أنه يبلغ مبلغ التواتر، إذ لم يبلغه، لأوجب العلم الضروري، ولكنه ما يوجب العلم استدلالاً ونظراً. والصحيح في ذلك طريقة القاضي، فإن الحديث - وإن رواه الإثبات ونقله بالثقات - فلم يجمع أهل الصنعة على صحته؛ على معنى أنه منقول عن الرسول ﷺ قطعاً، وإنما انكف أهل التعديل عن التعرض للحديث الذي نقلوه من حيث لم يظهر لهم ما يتضمن قطعاً وقديحاً في النقلة، وهم مع ذلك يجوزون على رواية الخبر أن يؤولوا ويخلطوا، ولا يوجبون لهم العصمة. وسيلهم كسبل العدول المرضين، إذا شهدوا على حكومة في مفصل القضاء. ويشرح القاضي إلى إيراد القضية بشهادتهم، فلا يتضمن ذلك قطعاً تصديقهم، ولكنه حكم في ذلك بما تقتضيه الظواهر، فكذلك سبل الإخبار. وقد تقسنا القول في ذلك في الأصول، وأوضحنا أن الأمة لو اجتمعت على العمل بخبر من أخبار الآحاد، فإجماعهم على العمل به لا يوجب القطع بصحته. ثم لو قبلنا والتزمنا التأويل، فمسلكتك سهول المدرك، قريب المنازل في ذلك، لأن النزول ليس من ضرورة معناه ومقتضاه أن ينسب من التحول والانتقال، وشغل الجهات والزوال عن أمثالها، إذ قد يطلق النزول فيما يستحيل فيه الزوال والانتقال، يقال: نزل بالناس نازلة. ولا يراد بذلك انتقال شيء إليهم من قطر إلى قطر، والآيات المشتملة على إنزال القرآن تجري هذا المجرى، وليس المراد بإنزاله نقله من موضع إلى موضع.

هذا ما صار إليه أهل التحصيل، ولا أكثرات بقول الجبهة الحشوية في اعتقادهم أن الكلام ينقل من جهة إلى جهة، فإن أهل التحصيل على مذهبي: لمعهم من حكم بقدم الكلام، وهم الذين صاروا إلى أنه صفة قديمة، فائدة بذات الرب، يستحيل عليها الزوال والانفصال. ومن حكم بحدث الكلام، منع انتقاله أيضاً من حيث كان عرضاً، فقد وضح أن النزول يطلق فيما يستحيل فيه الانتقال والزوال. وقد قامت الدلالة القاطعة على استحالة الانتقال على القديم، وأقرب الناس إلى التزام الكفر السراج من جؤر على الرب الانتقال فإن من أوضح دلالات حديث الجواهر، جواز انتقالها، فإذا حمل النزول فيما قامت الدلالة على استحالة انتقاله لأعوانين على غير انتقال، فيجب حمل النزول في الحديث على غير الانتقال، ثم السبل فيه أن يقال: المعنى بالنزول ظهور أحكام الله تعالى في السماء الدنيا، واستيفاضه آيات الرحمة. كما أن المعنى بنزول القرآن إلى أهل السموات والأرض تنبئ الإلهام لهم، وتخصيصهم بالعلم. والذي يحقق ذلك أن المقصد من الحديث، اختصاص

٣٢٢

الشامل / كتاب التوحيد

بعض ساعات الليل وآياته برحمة الله ووفاءه وتوقع إجابته الدعوات فيه. فهذا مقصد الحديث ومسايقه. والرب سبحانه وتعالى موضوع للاختصار على ذلك من غير تقدير انتقال ولو قدر زائغ انتقالاً، فلا أثر له فيما هو مقصد الحديث، والمكتسب من مساقه.

والذي يوضح ما قلناه: اتفاق المسلمين على أن المعنى بقوله ﷺ: «إن الله تعالى يقول إذا تقرب العبد مني ذراعاً، تقربت منه بأعاً، وإذا أذنت يمشي، آتته الهول»^(١) محمود على غير الانتحال والنوال. وإنما المراد به إزالات الدرجات، والتسكع بما فيه مرضاة الله من الطاعات. والمراد بقرب الله إحسانه، وتفضله، وقبوله الطاعات من أولياته. ولم يحمل أحد من أهل التحصيل هذا الحديث على ظاهره. فسيل التأويل في النزول يفاني ذلك؛ بل ما قلناه في النزول أظهر منه في المشي والهولة، والقرب المقيد بالفراخ والباع.

وعلى قريب من ذلك، حمل المسلمون ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يوطئ المؤمن المسجد إلا ينشئ الله به، كما ينشئ أهل الغائب بمقدمه^(٢)، فهو محمود على وقوع ذلك من العبد موقع الرضا. ومن تدبر موارد هذه الأحاديث، ألفها متقاربة في المعنى، راجعة إلى تقرب الرضا، ورفع الدرجات.

فهذه أوجه ظاهرة في تأويل النزول. وقال بعض أهل التأويل: المعنى نزول الله نزول ملائكته المشيرين، الحافين حول العرش، وتضمن الحديث بتفسيهم من حيث ذكر اسم الله تعالى، وحذف ذكر الملائكة. وسيل ذلك، كما تقدم في قوله: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» [المائدة: ٣٣]. وقوله: «والذين يؤذون الله ورسوله» [الأحزاب: ٥٧]. وهذا الوجه حسن في التأويل أيضاً.

ونذكر بعض المحصلين وجهاً آخر في التأويل فقال: المراد بالنزول اسقاط رحمة الله في هذا الوقت المعلوم، وتعظيم أقدار عبده وتفضله التمهة فيهم، وتخصيصه إياهم بالفاضة. ولو أطلق النزول في حقوقيه، لأتينا عن التواضع والانسلاخ عن التكبر والاعتزاز. إذ قد يقول القائل إذا تواضع الملك: قد نزل إلى الدرجة الدنيا. والمراد تواضعه. وإذا ذكر ذلك في صفات الله عز وجل فالمراد بذلك الطاعة ووفاءه. وهذا واضح أيضاً، جار في مذاهب الكلام.

(١) أخرجه البخاري (توحيد ٥٠/١٥)، ومسلم (ذكر ٢٠، ٢١، ٢٢)، (نوبة، ١)، والترمذي (دعوات ١٣١)، وابن ماجه (آداب، ٢٨)، وأحمد بن حنبل ٢-١٣٥٠، ١٣٦٠، ١٣٧٠، ١٣٨٠، ١٣٩٠، ١٤٠٠، ١٤١٠، ١٤٢٠، ١٤٣٠، ١٤٤٠، ١٤٥٠، ١٤٦٠، ١٤٧٠، ١٤٨٠، ١٤٩٠، ١٥٠٠، ١٥١٠، ١٥٢٠، ١٥٣٠، ١٥٤٠، ١٥٥٠، ١٥٦٠، ١٥٧٠، ١٥٨٠، ١٥٩٠، ١٦٠٠، ١٦١٠، ١٦٢٠، ١٦٣٠، ١٦٤٠، ١٦٥٠، ١٦٦٠، ١٦٧٠، ١٦٨٠، ١٦٩٠، ١٧٠٠، ١٧١٠، ١٧٢٠، ١٧٣٠، ١٧٤٠، ١٧٥٠، ١٧٦٠، ١٧٧٠، ١٧٨٠، ١٧٩٠، ١٨٠٠، ١٨١٠، ١٨٢٠، ١٨٣٠، ١٨٤٠، ١٨٥٠، ١٨٦٠، ١٨٧٠، ١٨٨٠، ١٨٩٠، ١٩٠٠، ١٩١٠، ١٩٢٠، ١٩٣٠، ١٩٤٠، ١٩٥٠، ١٩٦٠، ١٩٧٠، ١٩٨٠، ١٩٩٠، ٢٠٠٠، ٢٠١٠، ٢٠٢٠، ٢٠٣٠، ٢٠٤٠، ٢٠٥٠، ٢٠٦٠، ٢٠٧٠، ٢٠٨٠، ٢٠٩٠، ٢١٠٠، ٢١١٠، ٢١٢٠، ٢١٣٠، ٢١٤٠، ٢١٥٠، ٢١٦٠، ٢١٧٠، ٢١٨٠، ٢١٩٠، ٢٢٠٠، ٢٢١٠، ٢٢٢٠، ٢٢٣٠، ٢٢٤٠، ٢٢٥٠، ٢٢٦٠، ٢٢٧٠، ٢٢٨٠، ٢٢٩٠، ٢٣٠٠، ٢٣١٠، ٢٣٢٠، ٢٣٣٠، ٢٣٤٠، ٢٣٥٠، ٢٣٦٠، ٢٣٧٠، ٢٣٨٠، ٢٣٩٠، ٢٤٠٠، ٢٤١٠، ٢٤٢٠، ٢٤٣٠، ٢٤٤٠، ٢٤٥٠، ٢٤٦٠، ٢٤٧٠، ٢٤٨٠، ٢٤٩٠، ٢٥٠٠، ٢٥١٠، ٢٥٢٠، ٢٥٣٠، ٢٥٤٠، ٢٥٥٠، ٢٥٦٠، ٢٥٧٠، ٢٥٨٠، ٢٥٩٠، ٢٦٠٠، ٢٦١٠، ٢٦٢٠، ٢٦٣٠، ٢٦٤٠، ٢٦٥٠، ٢٦٦٠، ٢٦٧٠، ٢٦٨٠، ٢٦٩٠، ٢٧٠٠، ٢٧١٠، ٢٧٢٠، ٢٧٣٠، ٢٧٤٠، ٢٧٥٠، ٢٧٦٠، ٢٧٧٠، ٢٧٨٠، ٢٧٩٠، ٢٨٠٠، ٢٨١٠، ٢٨٢٠، ٢٨٣٠، ٢٨٤٠، ٢٨٥٠، ٢٨٦٠، ٢٨٧٠، ٢٨٨٠، ٢٨٩٠، ٢٩٠٠، ٢٩١٠، ٢٩٢٠، ٢٩٣٠، ٢٩٤٠، ٢٩٥٠، ٢٩٦٠، ٢٩٧٠، ٢٩٨٠، ٢٩٩٠، ٣٠٠٠، ٣٠١٠، ٣٠٢٠، ٣٠٣٠، ٣٠٤٠، ٣٠٥٠، ٣٠٦٠، ٣٠٧٠، ٣٠٨٠، ٣٠٩٠، ٣١٠٠، ٣١١٠، ٣١٢٠، ٣١٣٠، ٣١٤٠، ٣١٥٠، ٣١٦٠، ٣١٧٠، ٣١٨٠، ٣١٩٠، ٣٢٠٠، ٣٢١٠، ٣٢٢٠، ٣٢٣٠، ٣٢٤٠، ٣٢٥٠، ٣٢٦٠، ٣٢٧٠، ٣٢٨٠، ٣٢٩٠، ٣٣٠٠، ٣٣١٠، ٣٣٢٠، ٣٣٣٠، ٣٣٤٠، ٣٣٥٠، ٣٣٦٠، ٣٣٧٠، ٣٣٨٠، ٣٣٩٠، ٣٤٠٠، ٣٤١٠، ٣٤٢٠، ٣٤٣٠، ٣٤٤٠، ٣٤٥٠، ٣٤٦٠، ٣٤٧٠، ٣٤٨٠، ٣٤٩٠، ٣٥٠٠، ٣٥١٠، ٣٥٢٠، ٣٥٣٠، ٣٥٤٠، ٣٥٥٠، ٣٥٦٠، ٣٥٧٠، ٣٥٨٠، ٣٥٩٠، ٣٦٠٠، ٣٦١٠، ٣٦٢٠، ٣٦٣٠، ٣٦٤٠، ٣٦٥٠، ٣٦٦٠، ٣٦٧٠، ٣٦٨٠، ٣٦٩٠، ٣٧٠٠، ٣٧١٠، ٣٧٢٠، ٣٧٣٠، ٣٧٤٠، ٣٧٥٠، ٣٧٦٠، ٣٧٧٠، ٣٧٨٠، ٣٧٩٠، ٣٨٠٠، ٣٨١٠، ٣٨٢٠، ٣٨٣٠، ٣٨٤٠، ٣٨٥٠، ٣٨٦٠، ٣٨٧٠، ٣٨٨٠، ٣٨٩٠، ٣٩٠٠، ٣٩١٠، ٣٩٢٠، ٣٩٣٠، ٣٩٤٠، ٣٩٥٠، ٣٩٦٠، ٣٩٧٠، ٣٩٨٠، ٣٩٩٠، ٤٠٠٠، ٤٠١٠، ٤٠٢٠، ٤٠٣٠، ٤٠٤٠، ٤٠٥٠، ٤٠٦٠، ٤٠٧٠، ٤٠٨٠، ٤٠٩٠، ٤١٠٠، ٤١١٠، ٤١٢٠، ٤١٣٠، ٤١٤٠، ٤١٥٠، ٤١٦٠، ٤١٧٠، ٤١٨٠، ٤١٩٠، ٤٢٠٠، ٤٢١٠، ٤٢٢٠، ٤٢٣٠، ٤٢٤٠، ٤٢٥٠، ٤٢٦٠، ٤٢٧٠، ٤٢٨٠، ٤٢٩٠، ٤٣٠٠، ٤٣١٠، ٤٣٢٠، ٤٣٣٠، ٤٣٤٠، ٤٣٥٠، ٤٣٦٠، ٤٣٧٠، ٤٣٨٠، ٤٣٩٠، ٤٤٠٠، ٤٤١٠، ٤٤٢٠، ٤٤٣٠، ٤٤٤٠، ٤٤٥٠، ٤٤٦٠، ٤٤٧٠، ٤٤٨٠، ٤٤٩٠، ٤٥٠٠، ٤٥١٠، ٤٥٢٠، ٤٥٣٠، ٤٥٤٠، ٤٥٥٠، ٤٥٦٠، ٤٥٧٠، ٤٥٨٠، ٤٥٩٠، ٤٦٠٠، ٤٦١٠، ٤٦٢٠، ٤٦٣٠، ٤٦٤٠، ٤٦٥٠، ٤٦٦٠، ٤٦٧٠، ٤٦٨٠، ٤٦٩٠، ٤٧٠٠، ٤٧١٠، ٤٧٢٠، ٤٧٣٠، ٤٧٤٠، ٤٧٥٠، ٤٧٦٠، ٤٧٧٠، ٤٧٨٠، ٤٧٩٠، ٤٨٠٠، ٤٨١٠، ٤٨٢٠، ٤٨٣٠، ٤٨٤٠، ٤٨٥٠، ٤٨٦٠، ٤٨٧٠، ٤٨٨٠، ٤٨٩٠، ٤٩٠٠، ٤٩١٠، ٤٩٢٠، ٤٩٣٠، ٤٩٤٠، ٤٩٥٠، ٤٩٦٠، ٤٩٧٠، ٤٩٨٠، ٤٩٩٠، ٥٠٠٠، ٥٠١٠، ٥٠٢٠، ٥٠٣٠، ٥٠٤٠، ٥٠٥٠، ٥٠٦٠، ٥٠٧٠، ٥٠٨٠، ٥٠٩٠، ٥١٠٠، ٥١١٠، ٥١٢٠، ٥١٣٠، ٥١٤٠، ٥١٥٠، ٥١٦٠، ٥١٧٠، ٥١٨٠، ٥١٩٠، ٥٢٠٠، ٥٢١٠، ٥٢٢٠، ٥٢٣٠، ٥٢٤٠، ٥٢٥٠، ٥٢٦٠، ٥٢٧٠، ٥٢٨٠، ٥٢٩٠، ٥٣٠٠، ٥٣١٠، ٥٣٢٠، ٥٣٣٠، ٥٣٤٠، ٥٣٥٠، ٥٣٦٠، ٥٣٧٠، ٥٣٨٠، ٥٣٩٠، ٥٤٠٠، ٥٤١٠، ٥٤٢٠، ٥٤٣٠، ٥٤٤٠، ٥٤٥٠، ٥٤٦٠، ٥٤٧٠، ٥٤٨٠، ٥٤٩٠، ٥٥٠٠، ٥٥١٠، ٥٥٢٠، ٥٥٣٠، ٥٥٤٠، ٥٥٥٠، ٥٥٦٠، ٥٥٧٠، ٥٥٨٠، ٥٥٩٠، ٥٦٠٠، ٥٦١٠، ٥٦٢٠، ٥٦٣٠، ٥٦٤٠، ٥٦٥٠، ٥٦٦٠، ٥٦٧٠، ٥٦٨٠، ٥٦٩٠، ٥٧٠٠، ٥٧١٠، ٥٧٢٠، ٥٧٣٠، ٥٧٤٠، ٥٧٥٠، ٥٧٦٠، ٥٧٧٠، ٥٧٨٠، ٥٧٩٠، ٥٨٠٠، ٥٨١٠، ٥٨٢٠، ٥٨٣٠، ٥٨٤٠، ٥٨٥٠، ٥٨٦٠، ٥٨٧٠، ٥٨٨٠، ٥٨٩٠، ٥٩٠٠، ٥٩١٠، ٥٩٢٠، ٥٩٣٠، ٥٩٤٠، ٥٩٥٠، ٥٩٦٠، ٥٩٧٠، ٥٩٨٠، ٥٩٩٠، ٦٠٠٠، ٦٠١٠، ٦٠٢٠، ٦٠٣٠، ٦٠٤٠، ٦٠٥٠، ٦٠٦٠، ٦٠٧٠، ٦٠٨٠، ٦٠٩٠، ٦١٠٠، ٦١١٠، ٦١٢٠، ٦١٣٠، ٦١٤٠، ٦١٥٠، ٦١٦٠، ٦١٧٠، ٦١٨٠، ٦١٩٠، ٦٢٠٠، ٦٢١٠، ٦٢٢٠، ٦٢٣٠، ٦٢٤٠، ٦٢٥٠، ٦٢٦٠، ٦٢٧٠، ٦٢٨٠، ٦٢٩٠، ٦٣٠٠، ٦٣١٠، ٦٣٢٠، ٦٣٣٠، ٦٣٤٠، ٦٣٥٠، ٦٣٦٠، ٦٣٧٠، ٦٣٨٠، ٦٣٩٠، ٦٤٠٠، ٦٤١٠، ٦٤٢٠، ٦٤٣٠، ٦٤٤٠، ٦٤٥٠، ٦٤٦٠، ٦٤٧٠، ٦٤٨٠، ٦٤٩٠، ٦٥٠٠، ٦٥١٠، ٦٥٢٠، ٦٥٣٠، ٦٥٤٠، ٦٥٥٠، ٦٥٦٠، ٦٥٧٠، ٦٥٨٠، ٦٥٩٠، ٦٦٠٠، ٦٦١٠، ٦٦٢٠، ٦٦٣٠، ٦٦٤٠، ٦٦٥٠، ٦٦٦٠، ٦٦٧٠، ٦٦٨٠، ٦٦٩٠، ٦٧٠٠، ٦٧١٠، ٦٧٢٠، ٦٧٣٠، ٦٧٤٠، ٦٧٥٠، ٦٧٦٠، ٦٧٧٠، ٦٧٨٠، ٦٧٩٠، ٦٨٠٠، ٦٨١٠، ٦٨٢٠، ٦٨٣٠، ٦٨٤٠، ٦٨٥٠، ٦٨٦٠، ٦٨٧٠، ٦٨٨٠، ٦٨٩٠، ٦٩٠٠، ٦٩١٠، ٦٩٢٠، ٦٩٣٠، ٦٩٤٠، ٦٩٥٠، ٦٩٦٠، ٦٩٧٠، ٦٩٨٠، ٦٩٩٠، ٧٠٠٠، ٧٠١٠، ٧٠٢٠، ٧٠٣٠، ٧٠٤٠، ٧٠٥٠، ٧٠٦٠، ٧٠٧٠، ٧٠٨٠، ٧٠٩٠، ٧١٠٠، ٧١١٠، ٧١٢٠، ٧١٣٠، ٧١٤٠، ٧١٥٠، ٧١٦٠، ٧١٧٠، ٧١٨٠، ٧١٩٠، ٧٢٠٠، ٧٢١٠، ٧٢٢٠، ٧٢٣٠، ٧٢٤٠، ٧٢٥٠، ٧٢٦٠، ٧٢٧٠، ٧٢٨٠، ٧٢٩٠، ٧٣٠٠، ٧٣١٠، ٧٣٢٠، ٧٣٣٠، ٧٣٤٠، ٧٣٥٠، ٧٣٦٠، ٧٣٧٠، ٧٣٨٠، ٧٣٩٠، ٧٤٠٠، ٧٤١٠، ٧٤٢٠، ٧٤٣٠، ٧٤٤٠، ٧٤٥٠، ٧٤٦٠، ٧٤٧٠، ٧٤٨٠، ٧٤٩٠، ٧٥٠٠، ٧٥١٠، ٧٥٢٠، ٧٥٣٠، ٧٥٤٠، ٧٥٥٠، ٧٥٦٠، ٧٥٧٠، ٧٥٨٠، ٧٥٩٠، ٧٦٠٠، ٧٦١٠، ٧٦٢٠، ٧٦٣٠، ٧٦٤٠، ٧٦٥٠، ٧٦٦٠، ٧٦٧٠، ٧٦٨٠، ٧٦٩٠، ٧٧٠٠، ٧٧١٠، ٧٧٢٠، ٧٧٣٠، ٧٧٤٠، ٧٧٥٠، ٧٧٦٠، ٧٧٧٠، ٧٧٨٠، ٧٧٩٠، ٧٨٠٠، ٧٨١٠، ٧٨٢٠، ٧٨٣٠، ٧٨٤٠، ٧٨٥٠، ٧٨٦٠، ٧٨٧٠، ٧٨٨٠، ٧٨٩٠، ٧٩٠٠، ٧٩١٠، ٧٩٢٠، ٧٩٣٠، ٧٩٤٠، ٧٩٥٠، ٧٩٦٠، ٧٩٧٠، ٧٩٨٠، ٧٩٩٠، ٨٠٠٠، ٨٠١٠، ٨٠٢٠، ٨٠٣٠، ٨٠٤٠، ٨٠٥٠، ٨٠٦٠، ٨٠٧٠، ٨٠٨٠، ٨٠٩٠، ٨١٠٠، ٨١١٠، ٨١٢٠، ٨١٣٠، ٨١٤٠، ٨١٥٠، ٨١٦٠، ٨١٧٠، ٨١٨٠، ٨١٩٠، ٨٢٠٠، ٨٢١٠، ٨٢٢٠، ٨٢٣٠، ٨٢٤٠، ٨٢٥٠، ٨٢٦٠، ٨٢٧٠، ٨٢٨٠، ٨٢٩٠، ٨٣٠٠، ٨٣١٠، ٨٣٢٠، ٨٣٣٠، ٨٣٤٠، ٨٣٥٠، ٨٣٦٠، ٨٣٧٠، ٨٣٨٠، ٨٣٩٠، ٨٤٠٠، ٨٤١٠، ٨٤٢٠، ٨٤٣٠، ٨٤٤٠، ٨٤٥٠، ٨٤٦٠، ٨٤٧٠، ٨٤٨٠، ٨٤٩٠، ٨٥٠٠، ٨٥١٠، ٨٥٢٠، ٨٥٣٠، ٨٥٤٠، ٨٥٥٠، ٨٥٦٠، ٨٥٧٠، ٨٥٨٠، ٨٥٩٠، ٨٦٠٠، ٨٦١٠، ٨٦٢٠، ٨٦٣٠، ٨٦٤٠، ٨٦٥٠، ٨٦٦٠، ٨٦٧٠، ٨٦٨٠، ٨٦٩٠، ٨٧٠٠، ٨٧١٠، ٨٧٢٠، ٨٧٣٠، ٨٧٤٠، ٨٧٥٠، ٨٧٦٠، ٨٧٧٠، ٨٧٨٠، ٨٧٩٠، ٨٨٠٠، ٨٨١٠، ٨٨٢٠، ٨٨٣٠، ٨٨٤٠، ٨٨٥٠، ٨٨٦٠، ٨٨٧٠، ٨٨٨٠، ٨٨٩٠، ٨٩٠٠، ٨٩١٠، ٨٩٢٠، ٨٩٣٠، ٨٩٤٠، ٨٩٥٠، ٨٩٦٠، ٨٩٧٠، ٨٩٨٠، ٨٩٩٠، ٩٠٠٠، ٩٠١٠، ٩٠٢٠، ٩٠٣٠، ٩٠٤٠، ٩٠٥٠، ٩٠٦٠، ٩٠٧٠، ٩٠٨٠، ٩٠٩٠، ٩١٠٠، ٩١١٠، ٩١٢٠، ٩١٣٠، ٩١٤٠، ٩١٥٠، ٩١٦٠، ٩١٧٠، ٩١٨٠، ٩١٩٠، ٩٢٠٠، ٩٢١٠، ٩٢٢٠، ٩٢٣٠، ٩٢٤٠، ٩٢٥٠، ٩٢٦٠، ٩٢٧٠، ٩٢٨٠، ٩٢٩٠، ٩٣٠٠، ٩٣١٠، ٩٣٢٠، ٩٣٣٠، ٩٣٤٠، ٩٣٥٠، ٩٣٦٠، ٩٣٧٠، ٩٣٨٠، ٩٣٩٠، ٩٤٠٠، ٩٤١٠، ٩٤٢٠، ٩٤٣٠، ٩٤٤٠، ٩٤٥٠، ٩٤٦٠، ٩٤٧٠، ٩٤٨٠، ٩٤٩٠، ٩٥٠٠، ٩٥١٠، ٩٥٢٠، ٩٥٣٠، ٩٥٤٠، ٩٥٥٠، ٩٥٦٠، ٩٥٧٠، ٩٥٨٠، ٩٥٩٠، ٩٦٠٠، ٩٦١٠، ٩٦٢٠، ٩٦٣٠، ٩٦٤٠، ٩٦٥٠، ٩٦٦٠، ٩٦٧٠، ٩٦٨٠، ٩٦٩٠، ٩٧٠٠، ٩٧١٠، ٩٧٢٠، ٩٧٣٠، ٩٧٤٠، ٩٧٥٠، ٩٧٦٠، ٩٧٧٠، ٩٧٨٠، ٩٧٩٠، ٩٨٠٠، ٩٨١٠، ٩٨٢٠، ٩٨٣٠، ٩٨٤٠، ٩٨٥٠، ٩٨٦٠، ٩٨٧٠، ٩٨٨٠، ٩٨٩٠، ٩٩٠٠، ٩٩١٠، ٩٩٢٠، ٩٩٣٠، ٩٩٤٠، ٩٩٥٠، ٩٩٦٠، ٩٩٧٠، ٩٩٨٠، ٩٩٩٠، ١٠٠٠٠، ١٠٠٠١، ١٠٠٠٢، ١٠٠٠٣، ١٠٠٠٤، ١٠٠٠٥، ١٠٠٠٦، ١٠٠٠٧، ١٠٠٠٨، ١٠٠٠٩، ١٠٠١٠، ١٠٠١١، ١٠٠١٢، ١٠٠١٣، ١٠٠١٤، ١٠٠١٥، ١٠٠١٦، ١٠٠١٧، ١٠٠١٨، ١٠٠١٩، ١٠٠٢٠، ١٠٠٢١، ١٠٠٢٢، ١٠٠٢٣، ١٠٠٢٤، ١٠٠٢٥، ١٠٠٢٦، ١٠٠٢٧، ١٠٠٢٨، ١٠٠٢٩، ١٠٠٣٠، ١٠٠٣١، ١٠٠٣٢، ١٠٠٣٣، ١٠٠٣٤، ١٠٠٣٥، ١٠٠٣٦، ١٠٠٣٧، ١٠٠٣٨، ١٠٠٣٩، ١٠٠٤٠، ١٠٠٤١، ١٠٠٤٢، ١٠٠٤٣، ١٠٠٤٤، ١٠٠٤٥، ١٠٠٤٦، ١٠٠٤٧، ١٠٠٤٨، ١٠٠٤٩، ١٠٠٥٠، ١٠٠٥١، ١٠٠٥٢، ١٠٠٥٣، ١٠٠٥٤، ١٠٠٥٥، ١٠٠٥٦، ١٠٠٥٧، ١٠٠٥٨، ١٠٠٥٩، ١٠٠٦٠، ١٠٠٦١، ١٠٠٦٢، ١٠٠٦٣، ١٠٠٦٤، ١٠٠٦٥، ١٠٠٦٦، ١٠٠٦٧، ١٠٠٦٨، ١٠٠٦٩، ١٠٠٧٠، ١٠٠٧١، ١٠٠٧٢، ١٠٠٧٣، ١٠٠٧٤، ١٠٠٧٥، ١٠٠٧٦، ١٠٠٧٧، ١٠٠٧٨، ١٠٠٧٩، ١٠٠٨٠، ١٠٠٨١، ١٠٠٨٢، ١٠٠٨٣، ١٠٠٨٤، ١٠٠٨٥، ١٠٠٨٦، ١٠٠٨٧، ١٠٠٨٨، ١٠٠٨٩، ١٠٠٩٠، ١٠٠٩١، ١٠٠٩٢، ١٠٠٩٣، ١٠٠٩٤، ١٠٠٩٥، ١٠٠٩٦، ١٠٠٩٧، ١٠٠٩٨، ١٠٠٩٩، ١٠١٠٠، ١٠١٠١، ١٠١٠٢، ١٠١٠٣، ١٠١٠٤، ١٠١٠٥، ١٠١٠٦، ١٠١٠٧، ١٠١٠٨، ١٠١٠٩، ١٠١١٠، ١٠١١١، ١٠١١٢، ١٠١١٣، ١٠١١٤، ١٠١١٥، ١٠١١٦، ١٠١١٧، ١٠١١٨، ١٠١١٩، ١٠١٢٠، ١٠١٢١، ١٠١٢٢، ١٠١٢٣، ١٠١٢٤، ١٠١٢٥، ١٠١٢٦، ١٠١٢٧، ١٠١٢٨، ١٠١٢٩، ١٠١٣٠، ١٠١٣١، ١٠١٣٢، ١٠١٣٣، ١٠١٣٤، ١٠١٣٥، ١٠١٣٦، ١٠١٣٧، ١٠١٣٨، ١٠١٣٩، ١٠١٤٠، ١٠١٤١، ١٠١٤٢، ١٠١٤٣، ١٠١٤٤، ١٠١٤٥، ١٠١٤٦، ١٠١٤٧، ١٠١٤٨، ١٠١٤٩، ١٠١٥٠، ١٠١٥١، ١٠١٥٢، ١٠١٥٣، ١٠١٥٤، ١٠١٥٥، ١٠١٥٦، ١٠١٥٧، ١٠١٥٨، ١٠١٥٩، ١٠١٦٠، ١٠١٦١، ١٠١٦٢، ١٠١٦٣، ١٠١٦٤، ١٠١٦٥، ١٠١٦٦، ١٠١٦٧، ١٠١٦٨، ١٠١٦٩، ١٠١٧٠، ١٠١٧١، ١٠١٧٢، ١٠١٧٣، ١٠١٧٤، ١٠١٧٥، ١٠١٧٦، ١٠١٧٧، ١٠١٧٨، ١٠١٧٩، ١٠١٨٠، ١٠١٨١، ١٠١٨٢، ١٠١٨٣، ١٠١٨٤، ١٠١٨٥، ١٠١٨٦، ١٠١٨٧، ١٠١٨٨، ١٠١٨٩، ١٠١٩٠، ١٠١٩١، ١٠١٩٢، ١٠١٩٣، ١٠١٩٤، ١٠١٩٥، ١٠١٩٦، ١٠١٩٧، ١٠١٩٨، ١٠١٩٩، ١٠٢٠٠، ١٠٢٠١، ١٠٢٠٢، ١٠٢٠٣، ١٠٢٠٤، ١٠٢٠٥، ١٠٢٠٦، ١٠٢٠٧، ١٠٢٠٨، ١٠٢٠٩، ١٠٢١٠، ١٠٢١١، ١٠٢١٢، ١٠٢١٣، ١٠٢١٤، ١٠٢١٥، ١٠٢١٦، ١٠٢١٧، ١٠٢١٨، ١٠٢١٩، ١٠٢٢٠، ١٠٢٢١،

الْعُبَيْدُ فِي أَصُولِ الدِّينِ

تأليف
أبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري
المعروف بالمتولي الشافعي
المتوفى سنة ٤٧٨ هـ

تحقيق الشيخ
عبد القادر أحمد حيدر
مركز الدراسات والبحوث

مؤسسة الكتب الثقافية

وَمِنْ صَارَ إِلَى ^(١١) الْوَقْفِ عَلَى ^(١٢) قَوْلِهِ «وَالرَّاسِحُونَ فِي الْعِلْمِ» فَيَكُونُ
مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ وَالرَّاسِحُونَ فِي الْعِلْمِ أَيْضاً يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ ^(١٣)
صَارَ إِلَى التَّأْوِيلِ.

وَلَكِنَّ الطَّرِيقَ فِي الْجَوَابِ مَعَهُمْ أَنَّ تَعَارُضَهُمْ بَيِّنَاتٌ تَخَالِفُ ظَوَاهِرَهَا
ظَوَاهِرَ ^(١٤) هَذِهِ الْآيَاتِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ^(١٥)
إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ^(١٦) «هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا» وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ^(١٧) «هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» وَمَوْجِبِ الْآيَتَيْنِ حُلُولُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَقَالَ تَعَالَى: «إِلَّا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» ^(١٨) وَمُقْتَضَى ظَاهِرِهَا أَنَّهُ مُّحِيطٌ
بِالْعَالَمِ.

فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنْ تَأْوِيلِ ^(١٩) هَذِهِ الْآيَاتِ مَعَ الْإِيمَانِ بِظَوَاهِرِهَا
وَالْإِعْتِقَادِ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَأَنَّهُ غَيْرُ مُّحِيطٍ بِالْعَالَمِ أَعْرَضُوا نَحْنُ
عَنِ التَّأْوِيلِ وَنَسَبُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِمَا وَرَدَ مَعَ الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى مُنَزَّهٌ
عَنِ الْمَكَانِ، وَإِنْ صَارُوا إِلَى التَّأْوِيلِ وَقَالُوا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «هُوَ مَعَكُمْ
أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» بِالْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِلَّا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُّّحِيطٌ» يَعْنِي بِالْعِلْمِ ضَرْباً إِلَى التَّأْوِيلِ.

وَقُلْنَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ^(٢٠) «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» بِالْقُدْرَةِ
فَإِنْ قِيلَ إِذَا حَمَلْتُمْ عَلَى الْقُدْرَةِ لَمْ يَكُنْ لِنَحْتَصِيفِ الْعَرْشَ فَائِدَةً.
قُلْنَا فَائِدَتُهُ ^(٢١) أَنَّ الْعَرْشَ أَعْظَمَ الْمَخْلُوقَاتِ فَإِذَا قُدِّرَ عَلَيْهِ عِلْمٌ مِنْ
طَرِيقِ التَّشْبِيهِ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا هُوَ ^(٢٢) دُونَهُ عَلَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا يُلْزِمُهُمْ فِيمَا قَالُوا

- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) فِي ب - (مَادَّةُ أَد) - | (٨) فِي ب - نَقَصَ (تَعَالَى) |
| (٢) فِي ب - حُدَّ | (٩) أَخَذَ بِلَا ٤ |
| (٣) فِي ب - نَقَصَ (يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ) | (١٠) فَصَلَتْ ٤ = |
| (٤) فِي ب - نَقَصَ (ظَوَاهِرُ) | (١١) فِي ب - التَّأْوِيلُ |
| (٥) فِي ب - تَكَلَّفَ | (١٢) فِي ب - (يَهْلِكُ) (تَعَالَى) |
| (٦) فِي ب - وَهُوَ، وَالْجَوَابُ (هِيَ) | (١٣) فِي ب - نَقَصَ فَائِدَتَهُ |
| (٧) الْحَادِثَةُ - ٧ | (١٤) فِي ب - نَقَصَ (هِيَ) |

بأن الله تعالى عالم بكل مخلوق غير بني آدم فإذا حملوا على العلم لم يكن لتخصيص بني آدم فائدة .

فإن قالوا خص بني آدم تشريفاً لهم .

قلنا وخص العرش بذلك تشريفاً له .

فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقتضي منازعة سابقة وذلك محال في وصفه، قلنا: والاستواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والانزعاج^(١) وذلك محال في وصفه .

وأما قوله تعالى ﴿وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ﴾^(٢) معناه إلى كرامتي ورحمتي .

وقوله : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٣) معناه يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذاباً من فوقهم^(٤) وإنما خص جهة فوق لأن الله تعالى أجرى سببه أن ينزل العذاب من فوق .

وأما قوله عليه السلام وينزل الله في^(٥) كل ليلة إلى سماء الدنيا^(٦) والعراد^(٧) به أنه^(٨) يبعث ملكاً إلى سماء الدنيا^(٩) حتى ينادي على ما ورد في الخبر، ثم أضاف نزول الملك إلى نفسه كما يقال نادى الأمير في البلد إذا أمر بالنداء ويقال قتل الأمير فلاناً والقاتل غيره، ويضاف إلى الأمير من حيث إنه هو الأمر به .

(١) في ب : واضعاج .

(٢) في ب : (والى متوفيك ورائك إلي) .

(٣) التحق : ٥٠ .

(٤) في ب : فوق .

(٥) في ب : نقص (إي) .

(٦) في ب : السماء .

(٧) في ب : فالراد .

(٨) في ب : أن .

(٩) في ب : السماء .

فَإِنْ اسْتَدَلُّوا بِمَعْرِفِ النَّاسِ وَرَفَعُ^(١) أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ^(٢) الدُّعَاءِ، فَرَفَعَ الْيَدَ إِلَى السَّمَاءِ لَيْسَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي مَكَانٍ وَلَكِنْ لِأَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةُ^(٣) الصَّلَاةِ^(٤) فِي حَالِ الْقِيَامِ، وَالْأَرْضَ قِبْلَةً فِي حَالِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

وَلْيَعْلَمْ^(٥) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ فِي الْكَعْبَةِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ اسْتَدَلُّوا بِقِصَّةِ الْمَعْرَاجِ وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٦) حَمَلَ إِلَى جِهَةِ فَوْقَ وَيَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٧) فَلَيْسَ فِيهَا حُجَّةٌ لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمِعَ الْكَلَامَ عَلَى الطُّورِ وَكَانَ مِيعَادُهُ الطُّورَ وَلَمْ يَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى الطُّورِ.

وَقَالَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾^(٨) وَكَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى الشَّامِ وَلَمْ يَكُنِ الْبَارِئُ تَعَالَى فِي الشَّامِ فَيُطْلَقُ قَوْلُهُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فَذَلِكَ دَنُو كَرَامَةِ لَا^(٩) مُجَاوِرَةٍ كَقَوْلِهِ ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(١٠).

مَسْأَلَةٌ

الْبَارِئُ تَعَالَى لَا يَشْبَهُ شَيْئًا وَلَا يَنْشَبِهُ شَيْءٌ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَتَبَيَّنُ

(١) فِي ب : رَفَعَ

(٢) فِي ب : زِيَادَةُ (السُّؤَالِ)

(٣) فِي ب : مَكَانٌ قَبْلُ

(٤) فِي ب : فِي الصَّلَاةِ

(٥) فِي ب : تَعْلَمُ

(٦) فِي ب : نَقَصَ (سَمِعَ)

(٧) النِّجْم : ٨

(٨) الْمُنَكِّيَات : ٢٦

(٩) فِي ب : زِيَادَةُ : دَنُو

(١٠) الْعُلُقُ : ١٩

مَجَالِسُ الْكَلَامِ

تأليف

الشيخ الإمام مميون بن محمد النسفي

(الشهير بابي المعين النسفي)

المتوفى سنة

٥٠٨ هـ

دراسة وتعليق

الدكتور ولي الدين محمد صالح المفرور

مكتبة دار الفرقان

المبحث الخامس المجيء والذهاب والنزول

ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالمجيء والذهاب ؛ لأن المجيء والذهاب من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين ، وهما صفتان متفيتان عن الله تعالى ، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام كيف استدل بالمنتقل من مكان إلى مكان أنه ليس برب حيث قال : ﴿ قُلْنَا أَفَلَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَذَلِكُمْ ﴾^(١) ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(٢) أي أمر ربك .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَتْهُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٌ ﴾^(٣) أي جاء بهم عذاب الله من حيث لم يحتسبوا ، يعني قيل : كعب بن الأشرف^(٤) .

(١) من سورة الأنعام آية ٧٦ .

(٢) من سورة الفجر آية ٢٢ .

(٣) من سورة الحشر آية ٢ .

(٤) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني تيهان شاعر جاهلي ، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية ، وكان سيداً في أخواله يقيم في حصن له قرب المدينة ما زالت بقاياها إلى اليوم ، يبيع فيه التمر والطحام ، أدرك الإسلام ولم يسلم وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم والنشيب بسائلهم وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها ، وحض على الأخذ بثأرهم . وعاد إلى المدينة وأمر النبي ﷺ قتله ، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه . وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة . انظر أعلام الزركلي ٥ / ٢٢٥ .

المبحث الخامس: المجيء والذهاب والنزول ١١١

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ بُنِينَكُمْ مِنْكَ الْقَوَاعِدُ﴾^(١) يعني استهلكهم ، واستأصلهم فلم يبق منهم نافع ناز ولا ساكن ديار ، نزلت في غزو نمرود بن كنعان^(٢) لعنه الله .

ومعنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنْ

(١) من سورة النمل آية ٢٦ .

(٢) النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح قاله: مجاهد . وقال غيره نمرود بن فالج بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وقال مجاهد وغيره: كان أحد ملوك الدنيا . وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة ، وكان قد طغى وغطى وتجرعنا وأثر الحياة الدنيا ، ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حملته الجهل والفضال وطول الآمال على انكار الصانع ، فحاج الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية ، فلما قال الخليل ربي الذي يحيي ويميت ، قال: أنا أحبي وأميت ، قال قتادة والسدي ومحمد بن اسحاق: يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم فتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وغفل عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر . وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا معارضة بل هو تشييب محض .

فإن الخليل عليه السلام استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها ضرورة عدم قيامها بنفسها .

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضروا وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ أَنْتَ إِلَهُي يَا أَتَشْكِرُ قَالَ بَلَىٰ مِنْ كَثِيرٍ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٥٨ . أي: فإن كنت كما تزعم قافعيل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت فانقطع النمرود وسكت ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ .

انظر البداية والنهاية ١/ ١٧٠ وما بعدها .

١١٢

المبحث الخامس: المجيء والذهاب والتزول

الْعَمَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَفِي الْأَمْرِ قَوْلُ اللَّهِ تَجْعَلُ الْأُمُورَ ﴿١١﴾ يعني بعدما أثبتنا من الدلائل أنه لا شبيه له ولا شريك له ولا مجيء له ينظرون إتيانه في ظلل من الغمام ويعتقدون هذا ليؤمنوا به ، وهذا في صفات الله تعالى محال .

ومعنى الخبر: «يتزل الله تعالى كل يوم وليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيقول: هل من قاتب فيناب عليه»^(١).

قلنا: التزول من الله تعالى الاطلاع والإقبال على عباده ، يعني ينظر إلى عباده بالرحمة . هكذا نقل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه^(٢).

كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٣) ولم يرد به حقيقة التزول معناه علمناه وفهمناه كذلك ههنا .

فإن قيل - لو قلنا بأن الله تعالى جسم مركب ليس يضرنا .

قلنا: يضركم لأن الجسم عبارة عن مركب ومؤلف ، فإذا أثبت الأبعاد فقد قلتم بأنه لا يكون إلهاً واحداً .

وقال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ كُفًى لَهُ إِنَّهُ وَجِدَ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤)

(١) من سورة البقرة آية ٢١٠ .

(٢) أحاديث التزول في كل ليلة قد ثبت تواترها . أما حديث ليلة النصف من شعبان فأخرج معناه ابن ماجه في السنن عن علي رضي الله عنه برقم ١٣٨٨ .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) من سورة الحجر آية ٩ .

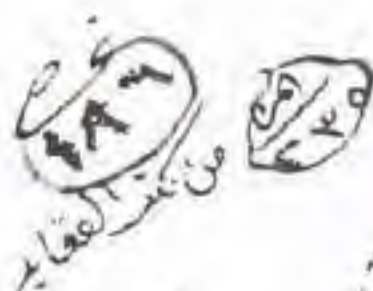
(٥) سورة البقرة آية ١٦٣ .

إن هذه الآية - على ما اعتقد - غير مناسبة للاشهاد على نفي الأبعاد لأن

شرح الـ : في الحروف المتحركة

44

مدرسة الباشا والمعهد


$$\frac{25}{10^2}$$


ما لي بهذا الام بيان يعني ما لي بقدرة وقال جل وعلا بل بواه مسوئلتان قال
ابن الحسن والقاضي المراد باليدن في هذه الآية القدرة واجمع اهل التصوف على ان المراد
باليدى في قوله تعالى ولم ير وانا خلقنا لهم ما عملت ابرسا انما ما القدرة والذي يمتنع
ما قلناه ان الذي ذكره شيخنا ابن الحسن والقاضي ليس موصل الى الوهم بانها ست
صعيقان زائدان على ما عداها من الصفات ونحن وان لم يكن في قصتنا العقل صفة
سمعية ولا يدل منسحق العقل عليها وانما يتوصل اليها سمعا فيشترط ان يكون السمع
مقطوعا به وليس مما استدركه الاصحاح قطع والطوار المحتملة لا توجب العلم واجمع
المسلمون على ما في قدر صفة بحدتها لله تعالى لا يتوصل اليها بغير العقل والسمع و
ليس في اليدن على ما قاله شيخنا نص لا يمتثل لنا ويل ولا استطاع ولا فطنة عقليته فيجب
تفريق ذلك على ما قلناه وانما هو من انظار السدين جعلها على جارحين كان استحال جعلها
على ذلك لا بد من جعلها على القدرة او السعة او الملاقاة فالقول بانها محولة على صفتين
اثنين على ما عداها من الصفات تحكم بحض ما قلنا قولهم لا معنى للحمل
اليدن على القدرة لان في الحمل عليها ابطال التخصيص فلقائل ان يقول ان الله الظاهر ما
اشتركتا فانما الحسن والقاضي وكل محقق منطبقون على ان المخلق والاختراع
لا منع الا بالقدرة فنقول للقاضي ما معنى قوله تعالى خلقت يدي ولا منع المخلق الا بالقدرة
عندك فان حوكم على طريق من التأويل لم يكن فسادا به باولي من غير انزال الظاهر
بوجه آخر بل كان ما يتدبره الخصم مهودون ما يحتاج اليه القاضي في قطع المخلق عن
القدرة واحضنا على ان القدرة التي مستقلة بكل متدور وخلق آدم عليه السلام
منه وخلق غيره فاما معنى تخصيص آدم بالمخلق بغير القدرة وما يوصي ما قلناه ان
المحصلين مجمعون على ان المخلوق باليد لا يستلزم لصفة السحق لاجلها ان سجود
كيف ومن مذهبتنا ان وجوب عبادة الله تعالى لا يدرك الا سمعا وانما هو السجود
اتباعا لامر الله تعالى كما قيل يا ايها الذين آمنوا استمعوا لآمر من امر الله فاستمع
بان السجود لم يكن للخلق اياه باليدن ولم يستحق السجود لذلك وظاهر الآية
يفتضي اقتضاء السجود لا اختصاصا بآدم عليه السلام بل يقتضي الآية فانما ظاهر
متروك اذا والعقل جازم بان الذي يمتنع المخلق بالقدرة لا يمتنع ثم لا بعد في تكويم

بعض العباد بالتحقق بالذكر كما سرف عماده المخلصين بأصنافهم إلى الله وان
كانت الكفرة كالملخصين في أنهم عباد الله تعالى وهذا سبيل تخصيص البيت
والنافذة وفريقا من المشرقات بأصنافها إلى الله تعالى وقد أضاف روح آدم وعيسى
عليهما السلام إلى الله والاضافة تنقسم إلى اثنان فصلة واصافة ملك واصافة
تشريف فمنعت هذه الجملة ان معنى الآية ما مذهبك ان سجودا فاوليت خلقه ابتداء
من غير اصل سبق ولا على مثال تقدم كما يقول القائل لغيره لم كسرت العلم الذي ورثته
بيدك وفي قريب من هذا المعنى قوله تعالى ولم يردنا انا خلقنا لهم ما علمت ايدينا
انطاعوا ويقال للملأمة ومن نحي كونه في انه العقل يدل على انشاء صفة يقع بها الاصطفا
بالخلق قد واعتنا على ان الذوات كلها لما تقع الالاء القدرة ولست من القائلين
بالاحوال فيمكن ان اسد الى وجه وتسمي الاصطفا به وتقول انها صفة تحصل
باليد دون القدرة كما صار اليه القاضي في احد قوله في معنى الكسب على ان ذلك مطرح
فان القاضي لم يقصد اثبات تلك الوجه مصانفا الى القدرة الحاصلة الاما عارضة معلولة
القدرة في قولهم ان القدرة لا تؤثر الا في انشاء حال من هذا وغايبا على اننا
للقاضي القول بالمال فقد اعتقنا على ان آدم عليه السلام لم يمتد عمره من الارض و
المخلوقين حال هي من اثر اليد دون القدرة فهذا وجه القول في الدين واما العيان
والوجه فقد اختلف جوابان يخفيا الى الحق حمله في ذلك فقال مرة محاصفتان
على نحو ما قال في الدين وقال مرة العيان محمولتان على البصر وهذا الظاهر قوله وعليه حمل
الاعين في قوله عز وجل يجرى بعيننا اي يجرى السيف بواقي مناه وقيل بخلقنا وجل الوهم
على وجود البصر تعالى واسند الى ذلك بقوله تعالى وسبق وجه ربك والباقي بعد انشاء
المخلوق هو الله تعالى وقال الاستاذ ابو منصور الا في ذلك ان جعل الوهم على البصر والى
واكثر اصحابنا صار والى حمل العين على البصر وقال بعضهم ان هذا بالوجه كونه التي يرد بها
التميز بالي الله تعالى فينبغي ان فعلت هذا الوجه له معناه لجهة امتثال الامر الله تعالى
قال معنى الآية ان كل ما لم يرد به وجهه محيط قلت وقول في كنه في ان الوجه صفة
رائدة على الوهم بظهور وقوله في العيين ان المراد بذلك البصر بظهور قال الامام
ومن سوغ من اصحابنا اثبات الصفا بظواهر هذه الايات الزائدة من كلامه ان يجعل

الاستواء والمجيء والنزول والجذب من الصفات التي لا يملكها الظواهر وإن لم يبعدوا عنها
فيما يتفق عليه لم يبعدوا عن طريق التأويل فيها ذكرناه هذا ما قاله رحمه الله وقد رآه
في بعض كتب الاستبصار إلى ما سمعنا أنه قال وما ثبت من الصفات بالشرح الاستواء
على العرش والمجيء يوم القيمة لقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله وجاء ربك
والملك صفا صفا قال وما ثبت بالأخبار الصحيحة النزول إلى السماء الدنيا لكل ليلة
حقة وقوله أنا عند ظن خلقهم يومها شاة ومن تقرب إلى شبرا تقرب إليه ذراعا
المحسب قال واجمع أهل النقل على قول هذين المخرجين وما هذا وصدا كما خرجا
للعلل ومقبولا في مسائل القطع هذا ما ذكره الأستاذ في هذا الكتاب قال الأعلام
وكنّا على الأثراب على الكلام على الظواهر وإذا اعترض فسنشير إلى جملتها في الكتاب و
السنة قد مرى بالاستدراج إليها المخرجة وأصحاب الظواهر قالوا راجع المصلون
على منوع تغدير صفة جهنم فيها لله عز وجل لا يوصل فيها إلى قطع مغل أو منوع
واجمع المحققون على أن الظواهر يصح تخصيصها أو تركها بما لا يستطيع به من أخبار
الأحاد والأسمه وما نزل لا يما يعطى به كذا مقطع به قلت ولاطن بالأساد
إننا اعتقد أن النزول والمجيء والاتيان من صفات ذات الاله سبحانه فإنه سبحانه
لا يوصف بهذه الأوصاف في أدله وسجل قيام حادث خاتمة كما حكينا عنه أنه
قال وما ثبت من الصفات بالسبح كذا وكذا فيجمل أنه إذا بدلت صفات الأفعال
ويجمل أنه أراد به الصفات المنحصره التي لا سان لها أكبر ما ورد به الخبر وقد قال
الأستاذ أبو بكر رحمه الله من أصحابنا من قال الاستواء أمر خبري لا مجال للمقلد وكذلك
التوقف والواجبان يتوقف في ذلك إلى أن يرد فعنا خبر وهذا مذهب أئمة
السلف فقد روي عن أئمة رضي الله عنهم أنها قالت الاستواء ثابت بما كيف هو
هذا قول مالك بن أنس والأوزاعي وغيرهما من الأئمة وحكي شيخنا أبو الحسن قولين
لا صحابنا في الاستواء أحدهما أنه صفات ذات والثاني أنه من صفات الأفعال فصار
إلى من صفات الذات اختلصوا فيه قصار الأكرهون منهم إلى أن الاستواء على العرش
هو العلو عليه من جهة القبر والعلية والانظر إلى شعوت الجلال وهذا المعنى أن
كان مدركا بالعقل ولكن تسميته بالاستواء مستفاد من الخبر قال أبو الحسن

من قال الاستواء صفة الذات فإنه يسمى الله تعالى به حين خلق العرش لا قبله لا استواء
بمعنى مضاف إليه سوى عليه وليكن في الازل غير الله تعالى فلم يكن تسميته به
وقال بعض المتأخرين من اصحابنا ويمكن ان يقال لم يزل كانت لصفة الاستواء
مطلقا بمعنى على صفة يصح لها الاستواء على العرش اذا علقته كما تقول لم يزل الله
تعالى قادرا وان كان يخلق القدرة بالاحداث كما هو حال المحدث وصار آخرون
الى ان الاستواء صفة حرة موقوفة في محالها الى ان يرد خبرها بها او يكتفي بالعام
ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل رحمه الله عن جماعة من ائمة السلف نحو علي بن عاصم
وسنين بن عيينة ومحمد بن يوسف القزويني وسعيد بن حرب ووكيع بن الجراح و
يزيد بن هرون وحماد بن سعيد واحمد بن خالد الرضائي وعبد الرحمن بن مهدي
والوليد بن مسلم القزويني وكثير بن هشام وداود بن الجراح واسحق بن راهويه
وعامة اصحاب عبد الله بن المبارك وغيرهم وذكر بيان السمعين هؤلاء الى ان
قال فان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ولا يخلو من العرش ولا يقال
لله تعالى كيف لانه خلق كيف لا يشغل عما يفعل وهم يسئلون وقد ذكر هذا
عن هؤلاء المتأخرين عند المنذرين امير المؤمنين جعفر ومحمد بن علي بن سفيان الثوري
ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا بلا نقلة وبكدار واه غيره متأكد وهذا ايضا
قول محمد بن كعب ومحمد بن المنكدر وغيره ونحوه قال حماد بن زيد وحماد بن سلمة
وما لك من انس وتابيت البتاني والاحسن وابن مهران والحماد وكثير بن نوح
مستفيين على هذا الاصل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك واتفقوا
على نفي النقلة والنزول عن الله عز وجل وهذا ايضا قول ابي ربيعة رحمه الله قال
نزل الرب تعالى حتى بلغ نقلة ولا يزال ولا كيف وهو على العرش وهو مع ذلك
بكل شيء محيط واحتج على ذلك بقول ابراهيم عليه السلام لا احب الاقين والافول
هو الانشغال وهو لا ائمة اصحاب الحديث وهذا الذي ذكرنا مستقدهم وهو
الجمع بين نفي الكيفية واعتقاد التعظيم وادانفت ذلك من هؤلاء الائمة
وهو القدوة فلا يكفر بقول المجتمة المحشوة اذا راوا حلا الاستواء
على الاستمرار وحل النزول على الانشغال وحل اليمين والقدم على الجارية

وما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال استوى معناه
استقر فغير صحيح وهو في ذلك غير موثق به فان الصحاح وعطاء ومجاهد
وغيرهم من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما يرون عنه خلاف ذلك ولو كان
ذلك صحيحا لما حاله ائمة السلف الذين ذكرناهم ومن يجوز الانتقال
والاستمرار على القديم سبحانه فقد اعتقد التحميم ومن خالف في جوار ذلك عليه
هو صحتهم على اعتقاد التحميم وكلا ذلك عدول عن اعتقاد ائمة السلف وإذا
أزيل الظاهر فلا بُد في حله على محل قويم في الشريعة مستقيم عند أهل اللغة وقد علمنا
أن الاستواء إذا لم يكن تمكنا بالذات وتخصيصا ببعض الجهات فلا بُد أن يرجع
إما إلى معنى العلو والعظمة وإما إلى معنى القهر وإما إلى العقد في فعل من الأفعال
ووجه التخصيص بالعرش لأنه أعظم المخلوقات وتدبيره أن يكون الاستواء على
العرش عبارة عن النظام أم السموات والأرض وما بينهما فان الملوك في أشياء
أغما سألهم الاستواء على السرير إذا انتظم لهم أمور الملكة نحو طبنا على ما سألهم
والذي يريد ذلك أنه سبحانه قال في مواضع خلق السموات والأرض في ستة أيام
ثم استوى على العرش والذي يعضد ما ذكرنا أنه قال استوى على العرش
يدبر الأمر وهو معنى المحال يعني مدبراً لأمر الخلق وهذا ما اختاره الصفاق
أشأشي والذي يدل على صحة هذه التاويلات التي نحن فيها وأمثالها
ما يؤيدهم الاختصاص بالمجتهد قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله تعالى أنه
بكل شيء محيط وقوله تعالى ونحن أقرب إليه منكم معنى الذي اشترط على الموت
وكن لا تبصرون وقوله تعالى ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله
وقول الخليل عليه السلام إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وقول
نبيينا صلى الله عليه وسلم إذا كنت في الصلاة فلا تبصق تجاه القبلة فإن الله
قبل وجه المصلي وهذه الآيات تدل بظاهرها على أن سبحانه بكل مكان
وإذا استحال ذلك واستبان تعارضها وليس بعضها ما يتكلم به أولى من
سفسط الاحتجاج بها فاما التاويل وبل وإما الموقوف فاما التحكم
بالأخذ بما يؤيدهم ظاهر التليم فلا وجه له وقد ذكرنا في مواضع أن

كتاب صلاة المسافرين / باب التَّزْهِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ ٩٩

٢٤ - بَابُ التَّزْهِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ

١٦٨ - (٧٥٨) - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ، وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا - حِينَ يَنْتَهِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ - فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

١٦٩ - (...) - وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي - عَنْ سُقَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ - حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ - فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَرَاهُ كَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِيَ الْفَجْرُ».

حديث النزول

قال الإمام: قوله: «يُنْزَلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ»: قيل: معناه: «يُنْزَلُ مَلِكُ رَبِّنَا» على تقدير حذف مضاف، كما يقال: فعل السلطان كذا - وإن كان الفعل وقع من أتباعه، ومضاف الفعل إليه لما كان عن زمره ويحتمل أن يكون عبر بالنزول عن تقريب الباري تعالى للداعين حيث استجابته لهم، وخاطبهم ﷺ بما جرت به عادتهم ليفهموا عنه وكان المتقرب منا إذا كان في بساط واحد مع من يريد الدنو منه يخبر عنه بأن يقال: جاء وأنى، وإذا كان في علو قيل: نزل وتجلى، وقد ورد في الكتاب والسنن جاء وأنى ونزل وتجلى.

قال القاضي: على هذين الطريقين اختلف تأويل السلف في الحديث، بل قد جاءت مفسرة فيه، فجاء في حديث الأعرابي مسلم الذي ذكره مسلم عنه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَمُهِلُ، حَتَّى إِذَا ذُهِبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ يُنْزَلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ...» الحديث رواه الأعمش عن السلمي عن أبي مسلم يمتنع، وذكر مكان «يُنْزَلُ»: «ثُمَّ يَأْمُرُ مَتَابِعًا ينادي يقول: هَلْ

١٠٠ كتاب صلاة المسافرين / باب التَّزْوِيلِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ

١٧٠ - (...) - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُعَيْرَةِ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، نَزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، يَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُغْفَرُ، هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الطُّبْحُ».

١٧١ - (...) - حَدَّثَنِي حُجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَوْزِعِ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَرْجَانَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَزَلَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ - أَوْ ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ - يَقُولُ: مَنْ يَذْهُبُنِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يَقْرِضُنِي غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ».

قَالَ مُسْلِمٌ: ابْنُ مَرْجَانَةَ هُوَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَرْجَانَةُ أُمُّهُ.

(...) - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْبَلِيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادَ: «ثُمَّ يَسْطُرُ يَدِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: مَنْ يَقْرِضُنِي غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ».

من دواعي الحديث: أخرجه النسائي^(١) فهذا مفسر لأحد التأويلين - وهو من معنى المروي عن مالك في تفسير هذا الحديث: ينزل أمره ورحمته، وعلى التأويل الآخر قول الأوزاعي فيه: يفعل الله ما يشاء - وإليه الإشارة في الحديث نفسه بقوله: «ثم يسطر يديه» عبارة عن نشر رحمته واستعارة بكثرة عطائه وإجابته وإسباغ نعمته، ولا يعترض على هذا بأن أمره ونهيه وأفعاله في كل حين لا يختص بوقت دون وقت فقد يكون المراد بالأمر هنا في هذه القضية يختص لقائم الليل، وكما يختص برمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة نصف شعبان - وغيرها من الأوقات بأوامر من أوامره، وقضايا من قضاياها لا تكون في سائر الأوقات، كما جاء في كتاب الله وحديث نبيه ﷺ. وقبل: يكون

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ١/١٢١ - ح ١٠٣٩٦.

كتاب صلاة المسافرين / باب التزيين في الغناء والدُّخْر في آخر الليل والإجابة فيه ١٠١

١٧٢ - (١٠٠) - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ وَالْأَبُو بَكْرِ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ - قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ - عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَعْمَشِ أَبِي مُسْلِمٍ - بِزَوِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي مُرْقِيَةَ - قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُسْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ لَزَلِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ قَاعٍ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».

(١٠٠) - وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ - قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ - حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ مَنْصُورٍ أَثَمَ وَأَكْثَرُ.

النزول بمعنى القول كقوله: «سَأَلْتُ بِشْرَ بْنَ أَبِي رَافٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ [الأنعام: الآية ٩٣]، وبمعنى الإقبال على الشيء ﷺ، فيكون النزول إظهار ذلك وتبليجه إلى أهل السماء الدنيا، أو إقباله على عباده المؤمنين كما في الحديث: «وذلك من أفعاله كما تقدم» أو يفعل فعلا يظهر به لطفه لهم، كما جاء في الحديث الآخر: «أن العرش يهتز حينئذ»^(١).

وقوله: «حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول»: في بعض الروايات «وشطره» في بعضها، والصحيح الرواية الأخرى: «حين يفي ثلث الليل الآخر» قال شيخ أهل الحديث: وهو الذي تتظاهر الأخبار بمعناه ولفظه، وقد يحتمل الجمع بين الحديثين أن يكون النزول الذي أراده النبي ﷺ وعناه، والله أعلم بحقيقته عند مضي الثلث الأول، والقول: «من يدعوني» إلى آخره في الثلث الآخر.

(١) أخرجه البخاري [١٣٨١/٣ - ١٣٨٢/٣]، ومسلم [١٩١٤/٣] - ح [١٢٣ - ١٢٤]

كِتَابُ أُصُولِ الدِّينِ

لِلشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَعِيدِ الْغَزْنَويِّ الْحَنْفِيِّ

(... - ٥٩٣ هـ)

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ

الدُّكْتُورُ عَمْرُو فَيْقُ الدَّاعِقُ

مُدَرِّسُ الْعَقِيدَةِ فِي قِسْمِ أُصُولِ الدِّينِ
بِكُلِّيَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ - دِمَشقَ

(النزول)

[١٧] **فصل:** نزوله إلى السماء الدنيا^(١)، تفصل ورحمة لا تقلة

(١) أحاديث النزول كثيرة منها ما رواه الشيخان وأصحاب السنن واللفظ للبخاري بسنده عن (أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)، صحيح الإمام البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل ص ١٤، وفي صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء ١٦٨ - ١٧٠.

ومنها: (إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه، من ذا الذي يسئرنفسي فأرزقه حتى يتنجس الفجر)، أخرجه الإمام أحمد ٣، ٢٥٨، ٥٢١.

(وقد مثل أبو حنيفة - رحمه الله عما ورد في شأن النزول فقال: ينزل بلا كيف... فيجب أن يجري على ظاهره، ويفوض أمر علمه إلى قائله، ويتز به الباقي عن الجراحة ومثابة الصفات المحدثات)، شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص ٦٠.

لكن عندما استعمل أمر أهل الغواية والزندقة ممن أراد النيل من عقائد الأمة، حين بدأت رؤوس المجسمة بالظهور، متمسكة بظواهر التصوُّص، وظهر خطرهما على العوام، اتهم أهل السنة للذب عن دين الله تعالى خاصة بعد أن فسروا النزول =

وحركة^(١١) لما ذكرنا.

[١٨] **فصل:** وله يدان هما صفته^(١٢) يخلق بهما ما يشاء وهما يد خلق

(١) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَأَذْهَبَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ فَجْوَتِهِ وَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقوله: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مُنْذِرًا﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ كُلَّ يَوْمٍ يَخْلُقُ نَسَبًا﴾ [يس: ٨٣]، وقوله: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى شَيْءٍ مُنْذِرًا﴾ [الملك: ١].

إلى غير ذلك من الآيات، وقد شرح الملا علي القاري قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: (ولكن يده صفته بلا كيف) أي بلا معرفة كيفية كعجزنا عن معرفة كنه بَيِّنَةٍ صفاته فضلاً عن معرفة كنه ذاته. قال فخر الإسلام: إثبات اليد والوجه حق عندنا لكنه معلوم بأصله متشابه بوصفه، ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن الوصف بالكيف، وإنما ضلت المعتزلة في هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول فصاروا معطلة. وكذا ذكر شمس الأئمة السرخسي، ثم قال: وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص أي بالآيات القطعية اليقينية، وتوقفوا فيما هو متشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك، كما وصف الله به الراسخين في العلم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، شرح الفقه الأكبر ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) هذه العبارة فيها إثبات للنص دون الخروج عنه ونفي ما قد يتوهم من التشبيه والتجسيم، فالله تبارك وتعالى منزّه عن مشابهة خلقه، وإمعاناً في تنزيهه تعالى فقد ذهب الأشاعرة إلى تأويل اليد وحملها على سبيل المجاز. وذلك لما رأوا الناس يخوضون في الكيفيات، وهذا ما أدى بهم إلى صرف اللفظ عن الظاهر متعاً من الوقوع في التشبيه.

يقول الفخر الرازي: (اعلم أن لفظ اليد حقيقة في هذه الجارحة المخصوصة، إلا أنه يستعمل على سبيل المجاز في أمور غيرها، فالأول: أنه يستعمل لفظ اليد في القطرة. يقال يد السلطان فوق يد الرعية. أي قدرته غالبية، والسبب في حسن هذا =

دَفْعُ شُبُهَةِ النَّشِيبِ بِأَكْفِ النَّثَرِ

تَأَلَّفَ الْإِمَامُ الْمُحَافِظُ
أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَوَازِيِّ الْهَنْبَلِيُّ
الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٥٩٧ هـ

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
حَسَنُ السَّقَافِ

مَدَارُ الْأَمَامِ النَّوَوِيِّ

قلت: وقد روى حديث النزول عشرون صحابياً، وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والثقل والتغير. فيبقى الناس رجلين، أحدهما: المتأول له بمعنى: أنه يُقَرَّبُ رحمته (١٢٩)، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾

الحديد: ٢٥

بعض الأوقات والساعات، وصفات الرب - سبحانه - يجب اتصافها بالقدم، وتزويجها عن الحدوث والتجدد بالزمان (١٣٠).

أقول: وأما حديث عثمان بن أبي العاص الذي فيه «قناد مناد» - الذي صححه المحدث ١١ المتأقضى ١ في «صحيفته» برقم (١٠٧٣) والظر كتابنا (التناقضات) ص (١٨٩) - ففيه أيضاً إثبات أن النزول هو ملك من ملائكة الله سبحانه بأمرة، ولا يحتمل أن المراد به «مناد» هو الله سبحانه البتة، لأن النبي ﷺ لا يقول عن ربه سبحانه «مناد» ولأن الله سبحانه لا يمكن أن ينزل بذاته كما تخيل المجسمة إلى السماء الدنيا لأن في ذلك حلول الخالق في المخلوق وهو كفسر بواج، ويقول من قال: «ينزل لا كنزلنا» كلام فلسفي متناقض لا معنى له، لأننا نقول له: إما أن تقول ينزل بذاته فتكون مجسماً حلولياً وإما أن تنزه الله عن ذلك وتقول ما في هذه الأحاديث الصحيحة المفسرة المبينة لمعنى قوله في الحديث الآخر «ينزل الله» مع أن بعض المشايخ ضبط هذه اللفظة بضم الياء فقال: «ينزل» كما أشتاعا في المتن الذي أورده الحافظ ابن الجوزي وكما جاء ذلك في كلام الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٠/٣) فاستيقظ وتنبه.

«ملاحظة»: وهناك ثمت ملاحظة مهمة جداً، وهي أن عقيدة «نزل الله» بذلك إلى السماء الدنيا في شطر الليل الآخر» بامثلة بصريح المعقول عند جميع العقول السليمة - وذلك لأن شطر الليل الآخر مشرق على وجه الكرة الأرضية طوال الأربع والعشرين ساعة، وهو منتقل من جزء من الأرض إلى الجزء الذي يليه، فعلى هذا متى يجلس معبود المجسمة على عرشه (١١٢)

نسأل الله التوفيق والسلامة في المعتقد والدين.

(١٢٩) ومن أول حديث النزول نزول رحمته سبحانه الإمام مالك بن أنس - رحمه

وإن كان معدنه بالأرض وقال: ﴿وأنزلنا لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ الزمر ٦

ومن ثم يعرف كيف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيل هذه الجمل . ١٩

والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه (١٣٠). روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم

الله تعالى - وهو من أئمة السلف، فيما رواه عنه الحافظ ابن عبد البر في كتابه «التمهيد» (١٤٣/٧)، وفي «سير أعلام النبلاء» (٦٠٥/٨)

وقال ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى أمرؤه، فأما هو فدائم لا يزول. قال صالح: فذكرت ذلك لبحر بن بكير، فقال: حسن والله، ولم أسمع من مالك.

قلت: وفي هذا أن مالكاً يترؤ الله عن الحركة، ولا يقول إنه ساكن، سبحانه رب العظم الأعلی.

(١٣٠) وهم السلف الذين يشنون النزول ويقولون: «أمرؤها كما جاءت» مع اعتقادهم تنزيه الله من الحلول في السماء وبذلك يفارقهم المجسة الذين يقولون ينزل بذاته

قال الحافظ ابن حبان في صحيحه (١٣٦/٢) عقب روايته لحديث النزول «ينزل بلا آلة ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان»

فهذا مذهب السلف وهو خلاف مذهب الحراني بتشديد الراء الذي يشن الحركة للمولى سبحانه، عما يقول في موافقه (٤/٢) ويشهها للسلف زوراً والله المستعان عليه وعلى مقلديه

وهذا الحراني ينقل في مواضع أخرى عن السلف: «زوراً أنهم اختلفوا عند نزول معبوده هل يخلو منه العرش أم لا؟ وهذا مع أنه هذيان فارغ يدل على أن الرجل غارق في التجسيم إلى شحمته أدنيه معتقد بحديث «الأصابع الأربعة» فتنهوا حفظكم الله.

قَالُوا: أُمُورُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بِلَا كَيْفٍ (١٣١).

قلت: والسَّوَابِجُ عَلَى الْخَلْقِ اعْتِقَادُ التَّثْوِيهِ وَامْتِنَاعُ تَجَوُّزِ الثَّقَلَةِ (١٣٢)، وَأَنَّ النُّزُولَ الَّذِي هُوَ انْتِقَالُ مَنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ يَفْتَقِرُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَجْسَامٍ: جِسْمٍ عَالِيٍّ، وَهُوَ مَكَانُ السَّاكِنِ، وَجِسْمٍ سَافِلٍ، وَجِسْمٍ يَنْتَقِلُ مِنْ غَلْوٍ إِلَى أَسْفَلٍ، وَهَذَا لَا يَحُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى قَطْعاً.

فَإِنْ قَالَ الْعَامِي: قَمَا الَّذِي أَرَادَ بِالنُّزُولِ؟ قِيلَ: أَرَادَ بِهِ مَعْنَى يَلِيقُ بِجَلَالِهِ لَا يُلْزَمُكَ التَّفَتُّيشُ عَنْهُ (١٣٣)، فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ حَدَّثَ بِمَا لَا أَفْهَمُهُ؟ قُلْنَا: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّازِلَ إِلَيْكَ قَرِيبٌ مِنْكَ، فَاقْتَنِعْ بِالْقُرْبِ وَلَا تَفْظَنْهُ كَقُرْبِ الْأَجْسَامِ.

(١٣١) ذَكَرَ ذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَةِ (٦٩٢/٤) وَقَالَ بَعْدَهُ: «وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ أَنَّ تَرَوِي هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كَمَا جَاءَتْ وَيُؤْمِنُ بِهَا وَلَا تُنْكَرُ وَلَا تُنْهَى وَلَا يُقَالُ كَيْفَ...» اهـ. قلت: وَالْمَجْسَمَةُ تَوَهَّمُوا لَهَا كَيْفًا وَهُوَ الْحَرَكَةُ فَاعْتَقَدُوا أَنَّ اللَّهَ يَتَحَرَّكُ فَعَالَمُوا السَّلَفَ وَنَسَبُوا عَقِيدَتَهُمْ إِلَى السَّلَفِ كَمَا قَعَلَ الْحَرَّانِيُّ فِي مُرَافَقَتِهِ (٤/٢) فَلَا حَيَّاهُمْ اللَّهُ وَلَا بَيَّاهُمْ.

(١٣٢) قَالَ الْحَافِظُ السَّيْهِيُّ فِي سَنَةِ الْكِبَرِيِّ (٣/٣): «وَالنُّزُولُ وَالْمَجِيءُ سَفَتَانِ مُتَبَيَّنَتَانِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ طَرِيقِ الْحَرَكَةِ وَالانْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ...» اهـ.

قلت: وَمَنْ أَثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى صِفَةَ النُّزُولِ وَتَمَنَّى عَنْهُ الْحَرَكَةَ مُصِيبٌ بِلَا شَكٍّ، لَكِنَّ مَا ذَعَبْنَا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ نَزُولَ الْمَلَكِ بِأَمْرِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ هُوَ الْأَصُوبُ وَالْأَحْسَنُ وَالْآتِبِعُ لِلْسَّنَةِ عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرَادَ أَوَّلُكَ الْأَلَمَةَ مَا ذَعَبْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى، وَخُصُوصاً أَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ تَقْتَضِي أَوْ تَقْبَلُ هَذَا كَمَا يُقَالُ غَزَا الْمَلِكُ الْبَلَدَ الْغَلَايَةَ وَهُوَ لَمْ يَبْرَحْ قَصْرَهُ لِيَكُونَ هُوَ الْأَمْرُ بِذَلِكَ.

(١٣٣) قلت: الْأَصُوبُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: مَعْنَاهُ يَنْزِلُ مَلَكًا وَتُسَرَّدُ لَهُ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ فِي نَزُولِ الْمَلَكِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي حَيْرَةٍ.

قال ابن حامد (المجسم): هو على العرش بذاته، مماس له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول ويستقل.

قلت: وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.

وقال القاضي أبي يعلى (المجسم): النزول صفة ذاتية، ولا نقول بزوله انتقال.

قلت: وهذه مغالطة. ومنهم من قال: «يتحرك إذا نزل». ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق.

وقد حكوا عن أحمد ذلك وهو كذب عليه (١٣١). ولو كان النزول صفة لذاته، لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة كذاته.

(١٣٤) وقد كذب الحنابلة على الإمام أحمد كثيراً وامتروا على لسانه أشياء هو بريء منها كما أنهم نسبوا إليه مصنفات لم يصنفها!! فلا يقبل منهم ما ينقلونه عنه وخصوصاً الشيخ الحراني، وقد مر في تعليق سابق أنهم دسوا في «مسند» أحمد كذا في «لسان الميزان» (٣٢/٤) دار الفكر) وهذا الذهبي يثبت ذلك في «سير أعلام النبلاء» (٢٨٦/١١) ويطلع في رسالة الاضطحري التي وضعها الحنابلة ونسبها للإمام أحمد، ورسالة الاضطحري هذه مذكورة بشماها في طبقات الحنابلة (٢٤/١) ولها من العبارات ما يخالف ما عليه السلف.

الْأَسْمَاءُ

فِي شَرْحِ
أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ

تَأَلَّفَ

الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد
ابن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ حَدِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
الشيخ عريان بن سليم العشاحشونة
الدمشقي

المكتبة العصرية
سنة ١٤٠٠ هـ

قال القاضي: باب فإن قال قائل: فإن هو لا قيل: له الأمر سؤال عن المكان وليس هو ممن يحويه مكان ولا يحيط به أقطار، غير ألا نقول: إنه على عرشه لا على معنى كون الجسم على الجسم ملاصقة ومحاوره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قلت: وهذا قول أبي عمر بن عبد البر وأبي عمر الظلمتكي وغيرهم من الأئمة فمن تأول على أبي عمر بن عبد البر وفهم من كلامه في كتاب «التمهيد» «والاستدكار» أن: الله تعالى مستقر على عرشه استقرار الجسم على الجسم فقد أعطاه وتقول عليه ما لم يقل وحسبه الله.

قال أبو عمر - رحمه الله - قال نعم بن حماد: ينزل بذاته وعلى كرسيه وهذا ليس بشيء عند أهل العلم من أهل الشئ، لأن هذه كقصة وهم يفرغون منها لأنها لا تصلح إلا لهما بخاط به عياناً وقد حل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، واحتج بأن الله تعالى فوق عرشه من غير تمهيد ولا محارسة ولا تكليف، بآيات وأخبار احتج بها قبله الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتاب «الموجز» قال بعدها.

وقد زعمت المعتزلة بأن الله في كل شيء، فلزمها قول النصارى وأكثر وأخذ بردها على المعتزلة، ثم ذكر قولين في معنى استوى على العرش، أحدهما: إن قال قائل: فما الاستواء عندكم؟ قلنا: هو فعل كان به مستوياً على عرشه، ثم ذكر قولاً ثانياً. ثم قال أبو الحسن: وجوابي [على الأول]: وهو أن الله سبحانه مستوٍ على عرشه وأنه فوق الأشياء وأنه بائن منه، بمعنى أنه لا تحله ولا يحلها ولا تماسها.

وقال أبو الحسن في آخر الفصل بعد كلام كثير مع المعتزلة وعلى الآيات ومما يدل على أن الله فوق الأشياء وأنه مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه عن نفسه: أن المسلمين يشيرون بالدعاء إلى السماء وإلى جهة العلو ولا يشيرون إلى جهة الأرض وهذا إجماع منهم. قلت: هذا كلام الشيخ أبي الحسن وهو الذي نقله أبو عمر واحتج به غير واحد من العلماء أن: الله فوق عرشه كما ذكرنا، وإنما جئني على ذكر هذا لأن كثيراً من الأصوليين وجهلة للشفهين يتأول على أبي عمر أنه حشوي قاعد ومحم فاسع. حتى إن بعض أخصائي أخصني عن لقيه أنه كان يقول ينبغي أن تقطع تلك الأوراق من كتبه أو تظلمه.

دَقَائِقُ الْإِشَارَاتِ إِلَى مَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

إِخْتِصَارُ
الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِلْبَيْهَقِيِّ

تَأليفُ
الشيخ عبد الله بن محمد الأنصاري

تحقيق الشيخ عماد الدين حيدر
مركز الخدمات والأبحاث الثقافية

مؤسسة
الكتب الثقافية

دار الجنان
للطباعة والنشر والتوزيع

ثم ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفاً كساقية الله وبيت الله ومسجد الله وغير بعضهم عنه بأنه سبحانه ابتداء صورة آدم لا على مثال سبق ثم اخترع من بعده على مثاله فخصص بالإضافة .

وعلى هذا يحمل قوله ﷺ : « لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن »^(١) . إن صحت هذه وقيل إن الراوي رواه على ما وقع في قلبه من معناه .

وأما حديث الرؤية في الجنة وقوله ﷺ : « فهل تمارون في القمر ليلة البدر »^(٢) الحديث .

قال الخطابي : تمارون أصله تمارون وأما قوله « فيأتيهم الله » إلى تمام الفصل قال : هذا موضع يحتاج فيه الكلام إلى تأويل وتخريج وليس ذلك من أجل أنا نكرر رؤية الله سبحانه وتعالى بل ثبوتها ولا من أجل أنا تدفع ما جاء في الكتاب والأخبار من المجيء والإتيان غير أنا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانطلاقاً كمجيء الأشخاص من ذلك من معصية الحدث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ويجب أن نعلم أن الرواية التي هي ثواب للأولياء وكرامة لهم في الجنة غير الرؤية المذكورة في مقامهم يوم القيمة فإن هذه في الموقف امتحان من الله تعالى ليقع بها التمييز بين من

(١) ذكره الشيخ الهندي في كتبه العمال ، في لوائح كتاب الإيمان ، وقال أخرجه الدارقطني في الصفات عن ابن عمر رضي الله عنهما

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿مَنْ جَاهِلٌ بِمَا يُعْبَدُ فاعْبُدْهُنَّ﴾ إلى ربه ناظرة ثم عن أبي الهيثم وأخرجه أيضاً في كتاب الأذان ، باب فضل السجود ، عن عطية بن زيد ، وأخرجه أيضاً في كتاب الرقاق ، باب الصراط يسرجهم عن الزهري . وأخرجه أيضاً في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة النساء ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، عن أبي الهيثم . وأخرجه أيضاً في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، عن أبي سعيد الخدري .

عبد الله سبحانه وبين من عبد الشمس والغمر والطواغيت فيبع كل معبوده وليس ننكر أن يكون الامتحان إذ ذاك بعد قائماً وحكمه على الخلق جازياً حتى يفرغ الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من ثواب أو عقاب ثم ينقطع إذا حقت الحقائق ، واستقرت أمور العباد قرارها . ألا ترى قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾^(١) . فامتنحوا هناك بالسجود .

وفي الحديث : « ان المؤمنون يسجدون وتبقى ظهور المنافقين طليقاً واحداً »^(٢) .

وقال : وتخريج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يشهدهم رؤيته ليتبينوا فتكون معرفتهم له في الآخرة عياناً كما كان اعترافهم سرهية في الدنيا علماً واستدلالاً ويكون طروء الرؤية بعد أن لم يكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه فيه .

قيل : ويشبه والله أعلم إنما حجبتهم عن تحقيق الرؤية في الكرة الأولى حتى قالوا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجورون ، فلما تميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عندما رأوه أنت ربنا وقد يحتمل أن يكون ذلك قول المنافقين .

ويجب على كل مسلم أن يعلم أن ربنا ليس بلذي صورة ولا هيئة فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية وقد يتناول معناها

(١) القلم : ١٢ .

(٢) أخرجه الطبري بحقه في تفسيره ٢٩/٢١ ، ٢٥ ، سورة القلم : ٤٢ . من عبد الله من معبود رضي الله عنه .

ودكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٥٧ ، سورة القلم : ٤٢ بحقه .

نَفْسِ الْجَنَانِ

المُسْتَعَى

لَبَابُ التَّأْوِيلِ فِي مَعَانِي التَّنْزِيلِ

تَأْلِيفُ

عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَالْفَيْمِ الْبَغْدَادِيِّ

الشَّهِيرُ بِالْحَازِنِ

الْمُتَرَفِّقِ سَنَةِ ٧٢٥ هـ

ضَبْطُهُ وَصَحْفُهُ

عَبْدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ عَلِيُّ شَاهِينِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

المحتوى

سورة الفاتحة - سورة النساء

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

٢٢٢

سورة آل عمران/الآيات: ١٩، ٢٠

فيما رواه الصلاة لولا قلت نعم فقد يستغفر ويدعو حتى يعطي الصبح - (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يتزل ربنا ببارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يناديني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له. وفي لفظ مسلم فيقول: أما الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني أجبني وله في رواية أخرى يقول: هل من سئيل؟ فيعطى هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له حتى ينقصر الصبح؟ هذا الحديث من أحاديث الصفات والمعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الإجماع به وإجماله على ظاهره وتعي الكيفية عنه، والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات. قال أبو سليمان الخطابي: إنما ينكر هذا الحديث من يفسر الأمور على ما يشاهد من التزول الذي هو نقل من أعلى إلى أسفل. وانتقال من فوق إلى تحت وهذا صفة الأجسام، فأما تزول من لا تستوي عليه صفات الأسماء فإن هذه الصفات غير متوجهة إليه، وإنما هو حر من قدرته وراثة بعباده وعطائه عليهم واستجابته دعائهم، ومقدرته لهم بدليل ما يشاء لا يتوجه على صفته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس شكله شيء وهو السبح البصير، وقيل في قوله: والمستغفرين بالأسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك لشدة خوفهم ورجلهم أنهم يستغفرون بالأسحار. ويروي أن لقمان قال لابنه: يا بني لا تكن أعجز من الذبك فإنه بصوت بالأسحار وأنت لائم الحنة. قوله عز وجل:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ
يَسْتَعِينُونَ وَمَنْ يُكْفَرْ فَلَا يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْهِ حِسَابٌ

﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ قال الكلبي: نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام والمنى: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في سورة محمد ﷺ ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ يعني بيان الله وصفته في كتبهم. وقال الربيع: إن موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلاً من عباد بني إسرائيل وأودعهم التوراة واختلف يوضع بين تواتره فلما مضى القرن الأول والثاني والثالث ولقت الفرقة والاختلاف بينهم، وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أمدوا الدماء ووقع الشر والاختلاف، وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الأحكام ﴿فبعثنا بينهم﴾ أي طلباً بينهم الملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة. وقيل: نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الإنجيل واختلفهم كان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وما ادعوا به من الإلهية إلا من بعد ما جاءهم العلم، يعني بأن الله تعالى راسد أحد وأن عيسى عبده ورسوله فبعثنا بينهم يعني المعادلة والمخالفة. ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ قوله عز وجل:

فَإِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ سَيَقُولُنَّ اللَّهُ وَمَنْ يُعْلِمُ الْغَيْبُ فَلَا يَشَاءُ أَنْ يَسْأَلَ الْإِنْسَانَ شَيْئاً فَيَكْتُمُ لَهُ الْغَيْبَ شَيْئاً مِنْهُ سَيَجْعَلُ لَكَ صَرْجاً سَيَعْلَمُ أَنَّكَ سَأَلْتَهُ بِشَيْءٍ مِنْ غَيْبِ الْمُبِينِ
فَلْيَسْأَلْهُمْ رَبُّهُمْ أَمْ لِلنَّاسِ الْكَلِمَةُ وَاللَّهُ يَعْزِمُ بِالْحَقِّ

﴿فإن حاسوكم﴾ أي حاسموكم يا محمد، في الذين، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا: لنا على ما سمعنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الإسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ أن يستجيب عليهم بأنه أتبع أمر الله الذي هم يقولون به بقوله: ﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾ أي انتقلت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي، وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف جوارح الإنسان الظاهرة إذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل: أراد بالوجه العمل أي خضعت عملي لله وقصدت بعبادتي الله ﴿ومن أتبعني﴾ يعني ومن أسلم كما

شرح الطيبي على مشكاة المصابيح

المُسمَّى
الكَارِيفُ عَنْ مَقَاتِلِ الشُّنَنِ

تأليف
الآيما مشرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله الطيبي
المتوفى سنة ٧٤٣ هـ

اعتق به وعلق عليه
أبو عبد الله محمد بن عماري

الجزء الثالث

مستور است
مؤرخ إلى برهان
شركة الشريعة والعلوم
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

٤ - كتاب الصلاة / (٣٣) باب التحريض على قيام الليل ————— ١٢٥

١٢٢٣- (٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مضاف عليه.

والاستقبال في «يا رب كاسية» في الدنيا عارية يوم القيامة «وقد اجتمع المضي والاستقبال فيما حكى الكسائي من قول بعض العرب بعد الفطر لاستكمال رمضان «وب [كاسية] صائفة لن يصومه» ورب قائمة لن يقوم» والجواب أن قول سيويه مثول «فإنه يجوز أن يراد منه المصنوع واحد بحسب حمل النقيض على النقيض» وذلك شائع في كلامهم «فلا يكونان مترادفين» وما أدراه أن سيويه وغيره ما سلخوا هذا المسلك؛ فإن اللفظ إذا وجدوا إلى الجواز سبيلاً تشعبته النكتة لا يعدلون عنه إلى الحقيقة؛ فخلوها عنها «ومما اختص به هذا الحديث من الفائدة» هي تشعبه برأيهم «وقلة مبالاتهم بالأمر الخطير» وعدم اكترائهم بما هو أولى بهم «كقوله تعالى: ﴿وَنَحْسِبُوهُ هِيقًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]».

«شف»: أي كاسية من ألوان الثياب «عارية من أنواع الثواب» وقيل: عارية من شكر النعم «وقيل: هذا نهي عن ليس ما يشق من الثياب» وقيل: هو نهي عن التبرج «أقول قوله: «رب كاسية» كالبیان لوجب استيقاظ الأزواج للصلاة، أي لا ينبغي لهن أن يتخالفن عن العيادة «ويعتمدن على كونهن أهالي رسول الله ﷺ كاسيات خلعة نسبة أزواجه مشرقات في الدنيا بها» فهن عاريات عنها في الآخرة «فلا ينفعهن ولا ينجيهن من عذاب الله» إذا لم يضمنها مع العمل «كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] وقال: ﴿وَأَنْذَرْتُكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]» والحديث الوارد فيه مشهور. وهذا الحديث وإن خص بأزواج رسول الله ﷺ «لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السب» فالتقدير: «فرب نفس أو نسمة كاسية في الدنيا عارية في الآخرة» والله أعلم.

الحديث الخامس من أبي هريرة قوله: «يُنْزَلُ رَبُّنَا» قدس «لما ثبت بالقواطع

١٢٢٣ - أخرجه ذلك المؤلف (١٤٩) وأصح (٢٦٦/٢) (٢٦٧/٢) والدارمي (١٤٨٧) والبيهقي (٢/٢٦٦) و (٨٨/٨) ومسلم (١٧٥/٢) وأبو داود (١٣١٥) «(٢٧٣٣) وابن حبان (١٣٦٦) والترمذي (٣١٩٨) والسنائي في اليوم والليلة (١٨٠) من طرق عن ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة وأبي عبد الله الآخر عن أبي هريرة مرفوعاً به.

١٢٦ ————— ٤ - كتاب الصلاة / (٣٣) باب التحريض على قيام الليل

وفي رواية لمسلم : « ثم ييسط يديه ويقول : من يقرض غير عديم ولا ظلوم ؟ حتى يشجر العجر » .

العقلية والتقليدية أنه [تبارك وتعالى] منزّه عن الجسمية ، والشحير ، والحلول ، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، بل المعنى به على ما ذكره أهل الحق تنوّل رحمة ، ومنه لطفه على العباد ، وإجابة دعوتهم ، وقبول معذرتهم ، كما هو ديدن الملوك الأكرام ، والسادة الرحماء ، إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ، ملهوفين [فقرأه] ^(١) مستغنيين . وقد روي : « يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا » أي يتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الألفة من الأرفال ، وعدم المبالاة ، وقهر العداة ، والانتقام من العصاة ، إلى مقتضى صفات الإكرام المقتضية للرأفة والرحمة ، وقبول العذرة ، والتلطف بالمحتاج ، واستعراض الخوائج ، والمساهلة والتخفيف في الأوامر والنواهي ، والإغضاء عما يسدو من المعاصي . انتهى كلامه .

وقوله : « تبارك وتعالى » جملتان معترستان بين الفعل وفرفه ، لما أسد ما لا يليق إسناده بالحقيقة إليه ، أن بما يدل على التزيه معترضاً ، كقوله تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » [النحل : ٥٧] له : « تخصبها بالليل وبالثلاث الأخير منه ، لأنه وقت التهجد ، وغفلت الناس عن تعرض لنفحات رحمة الله . وعند ذلك تكون النية خالصة ، والرغبة إلى الله تعالى وافرة ، وذلك مظنة القبول والإجابة . » [من] ^(٢) يقرض غير عديم ولا ظلوم أي من يقرض غنياً لا يعجز عن أداء حقه والوفاء بعهده ، عادلاً لا يظلم المقرض بتقص دينة ، وتأخير الأداء عن وقته . والله تعالى غير عديم ، لاستغناؤه عن غيره ، وإفئاده غيره إليه : وغير ظلوم ، لأنه يضاعف أضماؤه كثيرة ، قال الله تعالى : « فمن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » [البقرة : ٢٤٥] . وإنما وصف نفسه تعالى بالوصفين المذكورين هنا ، لأنهما اللتان غالباً عن الإقراض . أقول : إخراج العمل مخرج القرض تمثيل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه ، وإيقان بكونه واجب الأداء بسبب الوعد ، كالدين .

(٢) ما نقل من الطبري

(١) ما نقل من الطبري .

إِنَّ الزُّبُرَ الشُّبُهَاتِ

عَنْ آيَاتٍ وَأَحَادِيثِ الْمَتَشَابِهَاتِ

تَأْلِيفَ

الْأَيَّامِ الْحَافِظِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ

ابْنِ اللَّبَّانِ الشَّافِعِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٩ هـ

وَرِثَتَهُ وَتَحْقِيقَهُ وَتَعْلِيلَهُ

الْقَدِيرِ

لِلدِّرَاسَاتِ وَالْبَحْثِ

أَيَّامَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَابِرِ الْجَوِيِّ عَمْرٍو وَمُصْطَفَى الْوَرْدَانِيِّ

دار البيان العربي

القاهرة

أن روحه الباهر ما زایل قلبه، لم يحش، ولو خلف حالف أنه ما زایل عينه لم يحش، كذلك لم يلزم من ردة روحه إليه لرد سلام المسلم عليه، أن لا تكون (باقية) ^(١) عند ربها، ولا من بقائها عنده أن تكون مردودة إلى تيهه ^(٢)، والله أعلم.

تبصرة:

إذا سمعت: «ينزل ربنا كل ليلة» ^(٣) الحديث، فلا يكن حظك منه النزول في عالم الحس، واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره إلى سماء قلبك ألا تراه كيف تنبهك على هذا بقوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا» ^(٤) رسولاً ^(٥) الآية، ثم قال بعده «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» ^(٦) الآية فبدأ بآيات نزول ذكره قبل آيات نزول أمره تنبيهاً على الاهتمام بالأول، وقال في الأول «لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» ^(٧) وقال في الثاني «لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ^(٨) وذلك يقتضى أن نزوله «ينزل» ^(٩) الذكر، ينصر النور والهداية، وأن الله تعالى يشول إخراج العبد من (ظلمته) ^(١٠)، ولا يكله إلى نفسه، وأن نزوله بروح الأمر ينصر (الدلالة) ^(١١) والتكليف بالعلم، وكم بين من دلّ، وبين من تورّ، وبين من حمل وأخرج (وبين من حمل) ^(١٢) وكلف.

تنبيه:

اختصاص نزوله في الثلث الأخير من الليل له ظاهري وباطني:

(١) كذا في ك: وفي الأصل (فيه).

(٢) الحديث: أخرجه البخاري، كتاب أبواب التهميد - باب الدعاء والصلاة من آخر الليل... (١١٤٥) ومسلم كتاب صلاة المسافرين... باب السجود في الدعاء والذكر آخر الليل (٧٥٨).

(٣) في ك: (بروح).

(٤) في ك: (ظلمة).

(٥) في ك: (لولاة).

(٦) من ك: وغير موحدة بالأصل.

الرسائل السبكية

في التدرج على
ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية

للإمام الحجة
نقي الدين علي بن عبد الكافي الشبكي الكبير
المتوفى سنة ٨٧٥٦ هـ

عالم الكتب

وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

(إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً فيقول هل من داع يستجاب له؟، هل من مستغفر يغفر له؟، هل من سائل يعطى؟) - صححه أبو محمد عبد الحق -، وهو يرفع الاشكال ويوضح كل احتمال، وإن الأول من باب حذف المضاف، أي يتزل ملك ربنا فيقول الخ... وقد روى يتزل بضم الياء وهو بين ما ذكرنا اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في فتحه في كتاب (التهجد) ما نصه: استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلوه، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال وأفاض في ذكرهما ثم قال وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي يتزل ملكاً، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: (إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول هل من داع فيستجاب له؟ - الحديث -).

وفي حديث عثمان بن أبي العاص: (ينادي مناد هل من داع يستجاب له؟ - الحديث -)، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الاشكال اهـ.

زعم أن جمهور الخلف على أن الله تعالى فوق العالم

(١٨)- وفي آخر هذه الصحيفة زعم: (أن جمهور الخلف على أن الله تعالى فوق العالم) وهو كذاب أشرف على أي واحد من الخلف سواء فضلاً عن جمهورهم، كما هو كذاب أشرف على السلف في كل ما ينسبه إليهم من العقائد.

روضُ الرِّاحِيْنَ فِي حِكَايَاتِ الصَّالِحِيْنَ
المَلَقَّبُ
نَزْهَةُ الْعِيُونِ النَّظَرِ وَتَحْفَةُ الْفُلُوقِ الْخَوَاصِرِ
فِي حِكَايَاتِ الصَّالِحِيْنَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَكَابِرِ

تأليف

عفيف الدين ، أبي السعادات
عبد الله بن أسعد الياقعي البغدي ثم المكي
(٦٧٨ - ٧٦٨ هـ)

وبتدبير صفحاته

عمدة التحقيق ، في بشارات آل الصديق
للشيخ إبراهيم العبدى المالكي

مؤسسة عماد الدين
قبرص

- ١٩٥ -

هذا القدر منها إذ استيعابها بطول . وهذه عقيدة الشيخ الخليل الإمام الخليل شرف العارفين وإمام المعرفين ، قنوة المرادين وسرّ عباد الله المرئيين ، عالي المقامات وغال الكرامات ، الحبيب السبب أي عبد الله محمد بن أحمد القرشي الهاشمي ، قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه ونفعا والمسلمين ببركته آمين ، وقد أجمع على فضلها كل من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحققين والعلماء الفاضلين المدققين ، قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه : الحمد لله الذي تقدّمت عن حجة حدوث ذاته . وتفرّعت عن التشبيه بالمحدثات صفاته ، ودلت على وجوده محدثاته ، وشهدت بوحديته آياته ، الأول الذي لا بداية لأزليته ، الآخر الذي لا نهاية لمرمديته الظاهر الذي لا شك فيه ، الباطن الذي ليس له شبيه ، الحى الذي لا يموت ، ولا يفنى القادر الذي لا يعجز ولا يعيا . المريد الذي أضلّ وهنى وأقرّ وأعنى ، السميع الذي يسمع السرّ وأخفى ، البصير الذي يترك ديب أهل على الصفا . العالم الذي لا يقل ولا يبنى . المتكلم الذي لا يشبه كلامه كلام موسى ، كلم موسى بكلامه القديم المزد عن التأخير والتقديم ، لا بصوت يقرع ، ولا ينداء يسمع ، ولا بحروف ترجع ، كل الحروف والأصوات والنداء محدث بالنهاية ، لا ابتداء . جلّ ربنا وعلا ، وتبارك وتعالى ، له العظمة والكبرياء ، وله القدرة والثناء ، وله الأسما الحسى والصفات العلى ، حياته ليس لها بداية ، فالبداهة بالمعدم مسبوقة ، قدرته ليست لها نهاية ، فالنهاية بالتخصيص محارقة ، إرادته ليست بمحدثة ، فالحدثة بالأضداد مطروقة ، سمعه ليس بمحارحة ، فالمحارحة محروقة ، بصره ليس بمحدقة ، فالمحدقة مشقوقة ، علمه ليس بكسبي ، فالكسب بالتأمل والامتثال يعلم ، ولا بضرورة فالضرورة على الإلزام والإلزام تلزم كلامه ، ليس بصوت فلا أصوات توجد وتعدم ، ولا بحروف فالحروف توخر وتقدم ، جلّ ربنا عن التشبيه بخلقه ، وكل خلقه عاجز عن القيام بكنه حقه ، بل هو القديم الأزلى . والدائم الأبدي ، الذي ليس لذاته قد ، ولا لوجهه خد ، ولا ليده زند ، ولا له قبل ولا بعد ، ليس بجوهر ، فالجوهر بالتعريف معروف ، ولا بعرض ، فالعرض باستحالة البقاء موصوف . ولا بجمع ، فالجمع بالجهة محظوف ، هو خالق الأجسام والنفس ، ورازق أهل الجرد واليوس . ومقدر السعد والنحوس ، ومدبر الأفلاك والشموس ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، على العرش استوى من غير تمكّن ولا حلو من ، لا العرش له من قبل القوار ، ولا التمكن من جهة الاستقرار ، العرش له حد ومقدار والرب لا تمركه الأبصار ، العرش تكيفه خواطر العقول وتصله بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول ، والقديم لا يحول

حقق الله الإجابة في الجميع ، فقام بالشكر أتم قيام ، وعمل من العمل الصالح . ويق شىء آخر . وهو أن الشكر عرف بأنه صرف اليد جميع ما أنعم الله به عليه من جمع وبصر وظهرها إلى ما خلق لأجله . قال العلامة شيخنا الشيخ عبد المعطى الضرير المالكي : وحالة الشكر لله يقوم بها العبد حالة الصلاة التامة ، فإنه يصرف فيها جميع حواسه الباطنة والظاهرة إلى طاعة الله تعالى انتهى . فخصّل الأعمال في الشكر والطف بالراو يقتضى المغابرة ،

- ٢٩٦ -

ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوارب وأركان ، وكان الله ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، ليس له تحت يقطعه ، ولا فوق يقطعه ، ولا جوارب فعله ، ولا أمام يحدّه ، ولا خلف يفسده ، جل عن التحديد والتكليف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والتشبيه والتظهير (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وصل الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، قلت لجميع هذا الذي ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقربين ، أهل العلوم الدينية والأخبار الساطعة ، ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين ، أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة ، وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يحول مجدهم ، وقد ذكرت جماعة من الفريق الأول ، وأما الفريق الثاني ، فعقائدهم معروفة لا تجهل ، وهي في منصفاتهم مذكورة ، وفصائلهم في العلم والدين مشهورة ، مثل الإمام أبي الحسن الأشعري ، والإمام أبي إسحق الإسفراييني ، والإمام أبي بكر الباقلاني ، والإمام أبي بكر ابن قورك ، والإمام أبي المعالي إمام الحرمين ، والإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، والإمام فخر الدين الرازي ، والإمام ناصر الدين البياضوي ، والإمام عز الدين أمين عبد السلام ، والإمام عبي الدين التتوي وغير هؤلاء العشرة الأئمة ممن لا يحصى من علماء الأمة من السلف والخلف من أهل السنة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، لكن بعضهم تكلم في تأويل الظواهر ، وبعضهم اعتقده خلاف الظواهر ولم يتكلم في التأويل وعن حكى ذلك عنهم الإمام عبي الدين التتوي رضي الله تعالى عنه ، مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين ، حكاه في شرح صحيح مسلم في الحديث الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : يزول بنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستعصر فأطرق له ، الحديث ، قال عبي الدين المذكور : هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهب مشهور أن العلماء ، ومختصرهما أن أحدهما : وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقا غير مراد ولا تنكح في تأويلها مع اعتقادنا تزيه الله تعالى عن صفات الخلق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق . والثاني : مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو يحكي عن مالك والأوزاعي رضي الله تعالى عنهما أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواضعها ، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث بتأويلين : أحدهما : تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره معناه : يزول رحمت تبارك وتعالى وأمره أو ملائكته ، كما يقال فعل السلطان كذا

فعله تعالى (وأن أحمل صالحاً قرضاً) بعد قوله (أو زعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت) يفيد أن المراد بالشكر الشكر المعنوي الذي هو الكشف الخاص باللسان . والعمل بغيره له قال الناصر الثاني : الشكر هو فعل ينفي عن تعظيم النعم بسبب كونه متعمداً على الحامد أو غيره . قال في شرح المطالع : تحقيق ما هبتهما ، أعني الحمد والشكر ، أن الحمد ليس عبارة عن قول القائل الحمد لله ، بل هو فعل ينفي عن تعظيم النعم بسبب كونه متعمداً ، وذلك الفعل إما فعل

كشف المشكل الامم الحوزي

عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

وَمَعَهُ

التَّنْقِيقُ لِأَلْفَاظِ الْجَمَاعِ الصَّحِيحِ

سيد الرئيس محمد بن عبد الله الشاذلي الملقب بـ ٧٩٩

ومعه

حواشی الحافظ ابن حجر العسقلانی

عَلَامَاتُ تَنْقِیْحِ الزَّرَكَشِيِّ

تعمدات

مَحْرُوسَةٌ مَعَهُ حَسْبُهُ أَيُّهَا عَمِيلُ

المجلد الثاني

مؤلفه على الكتب التالية :

الفئة: صلاة المأثور - العمود: الترتيب - الاستخدام: الكسوف

سَمَاءُ الْقَارِءِ - تَقَعُ الْقَارِءَةُ فِي سَمَاءِ الْقَارِءِ فِي سَمَاءِ الْقَارِءِ

انتم في الله واليه المرجع والمآب.

وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ

میں نے

[illegible]

مسجد ما (بالقرية) ثم نزلوا فخلقوا من كبره منيونا بالقرية المذكورة ، ثم حوّلوا إلى القرية المذكورة

معرفة بالعلماء والفقهاء وأصحاب القلوب الحقة معرفة بالعلماء

مفتحوں

۴۰ رکعتیں پڑھیں

نشر حطب الشك والاحتمال

- لالك وعلامة

دار الكتب العلمية
بيروت، لبنان

١١١ كتاب التَّحْفَةِ

١٣ - بَابُ إِذَا نَامَ وَلَمْ يُصَلِّ بِأَلِ الشَّيْطَانِ فِي أَذْنِهِ

١١٤٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَتَصُورٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: نَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ».

١٤ - بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنْ آلِ مَنْ يَهْتَمُونَ﴾ أَيُّ مَا يَسْمُونَ: ﴿وَوَالَّذِينَ هُمْ يَسْتَفْتُونَ﴾ [الذَّارِيَاتُ ١٧ - ١٨]

١١٤٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْمَرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَسْرُلُ رَحْمَتُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

(ز) (١١٤٤) فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَجْهَانِ:

أحدهما: أَنْ يَحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَنكَحُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَهُهُمْ قَبْلَهُمْ وَلَا جِئَانَهُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦]، وَقَالَ: ﴿الْمُتَحَدِّثِينَ وَطَرِيقَهُ﴾ [الْكَهْفُ: ٥٠] وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَلَا يَتَنَحَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَوْلٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا يَظْهَرُ لِلْحَسَنِ.

والثاني: أَنَّهُ مِثْلُ مُضْرُوبٍ، شَبَّهَ هَذَا الْعَاقِلُ عَنِ الصَّلَاةِ لِمُتَأَنِّهِ فِي نَوْمِهِ بِمَنْ وَقَعَ الْبَوْلُ فِي أُذُنِهِ فَتَقَلَّ سَمْعُهُ وَفَسَدَ حِسُّهُ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمِثْلَ بِمِثْلِ هَذَا، قَالَ الرَّاجِزُ:

نَالَ سُهَيْلٌ فِي الْقَضِيخِ قَلَسًا وَطَابَ أَثَرُ الْقَضِيخِ وَبُرُكٌ

وَأَرَادَ: طَلَعَ سُهَيْلٌ، فَجَعَلَ طَلُوعُهُ فِي إِسْقَادِ الْقَضِيخِ بِمِثْلَةِ الْبَوْلِ فِيهِ.

(١١٤٥) أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِذَا بَقِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» كَذَلِكَ قَالَ الْقَزَمَلِيُّ

[٤٤٦] وَحَدِيثُ النَّزُولِ قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ

(ك) بَابُ ١٣ - ج/ ١١٤٤ - (بَالَ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ) لَا إِحَالَةَ فِي ظَاهِرِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ

صُرْفُهُ عَنْ سَمَاعِ الصَّارِخِ بِمَا يَفْرَهُ فِي أُذُنِهِ حَتَّى لَا يَنْتَبِهَ، فَكَأَنَّهُ أَتَى فِي أُذُنِهِ بَوْلُهُ فَمَاتَ سَمْعُهُ

بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنْ اسْتِغْثَالِهِ وَجَعَلَ أُذُنَهُ كَالْحُلِيِّ الَّذِي يَنَالُ فِيهِ.

بَابُ ١٤ - ج/ ١١٤٥ - (يَسْرُلُ) يَفْتَحُ أَوَّلَهُ «يُفْرِغُ لَزُولَ مَعْنَى غَفَضَ رَحْمَتَهُ وَمَرَدَ لَفْظُهُ

عَلَى تَعَادُلِهِ، وَقِيلَ: بَعْضُهُمْ بِسَمِ أَوَّلَهُ مِنْ أَنْزَلٍ مَيَّكُونُ مُتَعَدِّ إِلَى مَفْعُولٍ مَحْذُوفٍ أَبِي

كتاب التَّحْوِيلِ ١١٤٦

١٥ - باب مَنْ نَامَ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَخْبَا آخِرَهُ

وَقَالَ سَلْمَانَ لِأَبِي الشَّرْقَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ثُمَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانٌ».

١١٤٦ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح وَحَدَّثَنِي سَلْمَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَتَنَامُ أَوَّلَهُ، وَيَقُومُ آخِرَهُ، فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذِنَ الْمُؤَدِّدُ وَتَبَّ، فَإِنْ كَانَ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ.

(١) مسعود، وأبو الشَّرْقَاءِ، وأبو هريرة، وحماد بن مطعم، ورفاعة الجهمي، والنَّوَّاسُ بن سَعْدَانَ، وأبو تَعْلَةَ الجهمي، وعثمان بن أبي العاصِ، وعائشة في آخرين، وقد ذكرت فيما تقدم أنه في مثل هذه المسألة يجب علينا أن نعرف ما يجوز على الله سبحانه وما يستحيل، ومن المستحيل عليه الحركة والقفلة والتعب، فبقي ما يروى في هذا قاله في قوله: «صَدَقَ سَلْمَانٌ».

والثاني: التَّأْوِيلُ، فهو يحتملها على ما ترجمه لغة اللغة، لعلمه بأن ما ينصحه التَّزْوِيلُ من الحركة مستحيل على الله سبحانه وتعالى، ولقد قال الإمام أحمد: «وَجَاءَ رَسُلُهُ [البحر: ٢٦] أَيْ جَاءَ تَعْرِفُ».

(٢) «لَكُمْ» الرواية الأولى محذوفة عنها على حذف مصروف كقولهم: «وَأَسْأَلُ الْقُرْبَةَ» (ابن جرير، ٨٩) ويأتي رواية السَّائِرِ «أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِعَادِي» قال صاحب المفهم: وهذا يرتفع الإشكال قلت: لكن روى ابن حبان في صحيحه «يُنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عَادِي غَيْرِي».

(حتى لا يبقى لك الليل الآخر) يضم الآخر صفة للثلاث. (فأستجيب له) قال أبو القاء: الجيد نصب هذه الأفعال لأنها حوالت الاستفهام كقوله تعالى: «فَقِيلَ لَنَا مِنْ شَعْدَاءِ فَيُشْفَعُوا لَنَا فِي [الأعراف: ٥٣] وَنَجُوزَ عَلَى تَقْدِيرِ مِثْلِهِ أَيْ: قَانَا أَعْلَيْهِ، قَانَا أَيْ: قَانَا».

باب/١٥ - ح/١١٤٦ - (ولب) بفتح: نهض.

فَرِيدُ الْعَمَلِ فِي تَحْقِيقِ وَأَفْرَاجِ
كِتَابِ التَّوْضِيحِ
فِي
دَارِ الْفَسَاحِ
الْفَيَّومِ

بِإِشْرَافِ خَالِدِ الْمُحَمَّدِ لِلرَّبَّاطِ
بِجَمْعَةِ فَتَحَى عَبْدِ الرَّحِيمِ

التَّحْقِيقُ وَالْمَقَابَلَةُ وَالتَّعْلِيلُ

وَالِإِمَامِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ	أَحْمَدُ فَوْزِي إِبْرَاهِيمَ
حَسَامُ كَمَالِ تَوْفِيقِ	خَالِدُ مُصْطَفَى تَوْفِيقِ
عَصَامُ حَمْدِي مُحَمَّدِ	عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَدُ فَوَادِ
رَبِيعُ مُحَمَّدِ عَوْضِ اللَّهِ	أَحْمَدُ رُؤُوفِي عَبْدِ الْعَظِيمِ
أَحْمَدُ عَوَيْسِ جَنِيدِ	هَامِي مُضْطَّانِ هَاشِمِ

مُتَزَكِّةٌ بَابُ رَسْفٍ - سَامِعٌ مُنْعِيذٌ - سَمْعَةٌ عَزِيْزَةٌ عِيْذٌ
عَادِلٌ أَحْمَدُ مَحْمُودٌ - مَلَّةٌ مُصْطَفَى لَيْثٌ - عَامِرٌ عَطْفَى سَامِيَةٌ
مُتَعَبِّلَةٌ لَقَاءٌ عَابَتِ - مَرْحُومَةٌ لَزْزَكٌ - مَطْنِيٌّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

الفصل :

وقوله في الحديث الثالث: «رجل جراد من ذهب» الرجل: الجماعة الكثيرة من الجراد خاصة، وهو جمع على لفظ الواحد، ومثله: صوار: لجماعة البقر، ويخط: لجماعة (النعام)^(١)، وعانة: لجماعة الحمير^(٢).
وقوله: «فجعل يحثي» يقال: حثا يحثو ويحثنى.

فصل ۱

وقوله في الرابع: («ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة ») سلف
تأويله، ويروي: «في ليلة النصف من شعبان»^(٣).

(١) في الأصل: (الغنم)، والحديث من (ص: ١).

(٢) أنظر: «السان العرب» ١٦٠٠/٣، مادة (حَل).

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٧٣٩) كِتَابُ: الصِّيَامِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الصُّومِ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي مِنْ شَعْبَانَ لِحَالِ رَمَضَانَ، مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٣٨٩) كِتَابُ: إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَأَحْمَدُ ٢٣٨/٦، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ فِي «مُسْنَدِهِ» ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ (٨٥٠) وَ٣/ ٩٧٩ (١٧٠٠)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي «الْمُتَخَبَّرِ» ٢٣٣/٣ (١٥٠٧)، وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي «مَعْجَمِ شَيْخُوهِ» ٤١٠/١، وَاللَّيْثِيُّ فِي «تَرْغِيبِ الْأَرْوَاحِ» ٤٩٦/٣ - ٤٩٧ (٧٦٤)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٨٣٨)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ (١٢٦/٤) (٩٩٢). قَالَ التِّرْمِذِيُّ عَقِبَ هَذَا الْحَدِيثِ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا -أَيَّ الْبُخَارِيِّ- يَضْعِفُ هَذَا الْحَدِيثَ. أَهـ

وَرَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمَعْلَلِ الْمُنْتَهِيَةِ» ٦٦/٢ (٩١٥) مُضَعِّفًا لَهُ، وَقَالَ: قَالَ الدِّرَاقُطِيُّ: قَدْ رَوَى مِنْ وَجْهِهِ وَإِسْنَادِهِ مُقْطَرِبٌ غَيْرُ ثَابِتٍ أَهـ. هَذَا وَحَدِيثُ عَائِشَةَ قَدْ ضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ضَعِيفِ الْجَامِعِ» - (١٧٦١) ثُمَّ صَحَّحَ الْحَدِيثَ فِي «الصَّحِيحَةِ» - (١١٤٤) بِمَجْمُوعِ طَرَفِهِ فَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ طَرَفٍ مُخْتَلِفَةٍ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو ثَعْلَبَةَ الْخَثْعَمِيُّ، وَابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَهَمْدَانُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَائِشَةُ. أَهـ

قال ابن قزوين: والمراد: إقباله على أهل الأرض بالرحمة والعطف بالتذكير والتبهي الذي يلقي في قلوب أهل الخير منهم حتى يزعمهم إلى الجهد في التوبة، ووجدنا الله تعالى خص المستغفرين بالأسحار. والمراد: الإخبار عما يظهر من الطافه، وتأنيده لأهل ولايته في مثل هذا الوقت بالزواج التي يقيمها في أنفسهم والمواعظ التي ينهاهم عنها بقوة الترغيب والترهيب، قال: ويحتمل أن يكون ذلك فعلاً يظهر بأمره، فيضاف ذلك إلى الوجه الذي يقال: ضرب الأمير اللص، ونادى في البلد.

قال: وروى لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن رسول الله ﷺ (لا) ^(١) يؤيد هذا التأويل، وهو ضم (باء) ^(٢) «ينزل»، وذكر أنه ضبطه عن سمعه منه من الثقات الضابطين، وإذا كان ذلك كذلك كان شاهداً لما ذكرناه.

وروي عن الأوزاعي أنه قال لما سئل عن هذا الخبر: يفعل الله ما يشاء، وهذا إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه تعالى، وذكر ابن حبيب كاتب مالك عنه أنه قال: ينزل أمره في كل سحر، فأما هو فهو دائم لا يزول ^(٣). (وقيل عن مالك أيضاً: ينزل يعلمه. فإن قلت: كيف يفارق علمه، قيل: أراد سرعة الإجابة) ^(٤)، وقيل: أراد التقرب.

(١) كذا بالأصل، وفي «مشكل ابن قزوين»: (بما) وهو أصوب.

(٢) من (ص ١).

(٣) «مشكل الحديث وبيانه» ص ٢١٩-٢٢٠.

(٤) من (ص ١).

فتح الباري

شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

للإمام الحافظ

أحمد بن علي بن حنبل

العسقلاني

(٧٧٣ - ٨٥٢)

المجلد الثالث

مراجعة

محب الدين الخطيب

رقم كتبه وأوراقه وأساليبه

وأسلوبي أطرانه وأوراقه على أرفقها في كل حديث

محب الدين الخطيب

قام بإعداده

وتصحيح أجزائه وتحقيقه

محب الدين الخطيب

دار البيان للنشر
القاهرة

الحديث ١١٤٥

٣٧

الجمهور (١) لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك . وقد اختلف في معنى النزول على أقوال :
 ١ - قسم من حملته على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم . ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة
 في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة ، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من بحر ذلك وأنكروا
 ما في الحديث إما جهلاً وإما عداً ، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال مزاماً الله
 تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف . ونقله السيوطي وغيره عن الأئمة الأربعة والسقياطين والهادين
 والأوزاعي واليث وغيرهم . ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ، ومنهم من أفرط
 في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف ، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعمل
 في كلام العرب وبين ما يكون بعيداً مهجوراً مأول في بعض وفرض في بعض ، وهو مقول عن مالك
 وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد ، قال البيهقي : وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد
 إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه . من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب
 فحفظه الضوابط أسلم ، وسأقي مزيد بسط في ذلك في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى . وقال ابن العربي :
 حكى عن المعتزلة رد هذه الأحاديث ، وعن السلف إمرارها ، وعن قوم تأويلها وبه أقول (٢) . فلما قرأه
 ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته ، بل تلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونبيه ، والنزول كما
 يكون في الأجسام يكون في المعاني ، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك الحيث بذلك ، وإن
 حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة ، فهي مرتبة صحيحة ، انتهى .
 والحاصل أنه تأوله بوجهين : إما بأن المعنى ينزل أمره أو ملكه بأمره ، وإما بأنه استعارة بمعنى انخفضت
 بالعاين والإجابة لم ونحوه . وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضطه بضم أوله على حذف
 المفعول أي ينزل ملكاً ، وغوية ما رواه النسائي من طريق الأخر عن أبي هريرة وأبي سعيد بلطف فإن الله
 يهمل حتى يهمل شطر الليل ، ثم يأمر مثلياً يقول : هل من داع يستجاب له ، الحديث . وفي حديث عثمان
 ابن أبي العاص : ينادي مناد هل من داع يستجاب له ، الحديث . قال القرطبي : وبهذا يرتفع الإشكال ،
 ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني « ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول : لا يسأل عن عبادي غيري » لأنه
 ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور ، وقاله الصاوي : « لا يثب بالقواطع أنه سبحانه له سبحانه من الجسمية
 والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه » فالمراد نوره ورحمته ،
 أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والاستعظام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي
 الرقة والرحمة .

(١) مراده بالجمهور جمهور أهل الكلام ، وأما أهل السنة - وهم الصابغة رضي الله عنهم - فإنهم لإسناد - إنهم
 يشعرون أنه الجهة - ومن جهة الطور - ويقولون بأنه سبحانه فوق العرش بلا تمثيل ولا تكيف . والأدلة على ذلك من الكتاب
 والسنة أكثر من أن تحصى ، فليس هنا مجال . والله أعلم .

(٢) هذا خطأ ظاهر مناصح التصحيح الواردة بهذه النزول ، وهكذا ما قاله البيهقي بنده باطل ، والصواب
 ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وإمرار التصريح كما وردت من إثبات النزول أنه سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تكيف
 ولا تمثيل كالمثل صفاته وهذا هو الطريق الأسلم والأقوم والأعلم والأحكم لتسلسله به بعض طلبة بالتواضع واحذر ما علقه قفر بالسلافة
 والله أعلم

صَحِيحُ مُسْلِمٍ

لِلإِمَامِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٦١ هـ

مَعَ شَرْحِهِ الْمُسَمَّى
إِكْمَالُ إِكْمَالِ الْمُعَلِّمِ
لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلِيفَةَ الْوَشَّائِي الْأَيْدِي
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٢٧ أَوْ ٨٢٨ هـ

وَشَرْحِهِ الْمُسَمَّى
مُكَمَّلُ إِكْمَالِ الْإِكْمَالِ
لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ السُّسُوسِيِّ الْعَمِينِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٩٥ هـ

صَبَّطُهُ وَصَحَّحَهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ قَاهِشِم

الجزء الثالث

يحتوي على الكتب التالية :
صلاة المسافرين وقصرها ، الجمعة ، صلاة العيدين ، صلاة الاستسقاء ،
الكسوف ، الجنائز ، الزكاة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب (٢٤) / حديث (١٦٨)

٨٥

«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ

قوله: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا) قلت: يستحيل أن يرد متواتراً في صفة تبارك وتعالى ما لا يقبل التأويل وإن ورد بطريق الأحاد قطع بكذب ناقله ويصح أن يرد بالطريقين ما يقبله. فالمتواتر مثل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ والآحاد مثل هذا الحديث. ومذهب أهل الحق في جميع ذلك أن يصرف اللفظ عن ظاهره المجازي، ثم بعد الصرف هل الأولى التأويل أو عدمه لمؤمن باللفظ على ما يليق ويصرف علم حقيقة ذلك إلى الله سبحانه؟ والممثلة تنكر أصل ما يرد من ذلك بطريق الأحاد كهذا الحديث، والمجسمة القائلون بالجهة يعمرون ذلك على ظاهره ويحتجون به لمدعيهم ويثبتون لله تعالى جهة فوق وهو فوق العرش ويجعلون النزول حقيقة حتى إن بعض غلاتهم نزل من ادراج كرسيه وقال: هكذا تمشي للنزول المذكور في الحديث تعالى الله عن ذلك لاستحالة الحركة في النقلة عليه سبحانه وتعالى. ثم الأظهر من قول أهل الحق التأويل وهو اختيار الإمام قال في الإرشاد: لأن في عدم التأويل استدلال العوام. وقد اختلف في التأويل فقل: هو على حذف أي ينزل ملك ربنا كما يقال: فعل الأمير وإنما فعل بعض أناسه. وقيل: هو استعارة لتقريبه للداغين وإجابته سبحانه وتعالى دعاءهم وغير بذلك قصد إقحام العرب (ع) ويشهد للتأويل الأول أن في بعض طرق الحديث جعل مكان ينزل «يا أمر متادياً ينادي يقول هل من داع» الحديث ذكره النسائي (ط) وهذا يرفع الإشكال وقيل: بعض الناس ينزل يضم الياء من أنزل أي ينزل ملكاً (ع) ويشهد للثاني ما في الحديث من قوله: «يسط يديه» فإنه استعارة لكثرة إعطائه وإجابة دعائه ولا يعترض هذا بأن يقال فعله تعالى وأمره ونهيه في كل حين فلا يختص بوقت لأنه لا يمنع أن يخص ذلك ببعض الأوقات. وقد يكون المراد بالأمر ها هنا ما يخص بقائم الليل كما اختص رمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة نصف شعبان بأوامر من أوامره وقضايا من قضائه لا تكون في سائر الأوقات. وقيل: النزول بمعنى القول من قوله تعالى: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] وبمعنى الإقبال على الشيء. فعلى الأول يكون النزول بمعنى تبليغ ذلك إلى أهل سماه الدنيا، وعلى الثاني يكون كناية عن إقباله على المؤمنين وذلك من أفعاله سبحانه وتعالى كما تقدم أو بفعل فعلاً يظهر به لطفه بهم.

قوله: (وذلك كل ليلة) أي ذلك المذكور يحصل كل ليلة.

قوله: (ينزل ربنا) قيل: على حذف مضاد أي ملك ربنا حاكياً عن مولانا جبر وعلا. وقيل: هو استعارة لتقريبه للداغين وإجابته سبحانه وتعالى دعاءهم. ويشهد للأول ما في النسائي جعل مكان ينزل: «يا أمر متادياً ينادي» (ط) وهذا يرفع الإشكال. وقيل: بعض الناس ينزل يضم الياء أي ينزل ملكاً (ع) ويشهد للثاني ما في الحديث من قوله: «يسط يديه» فإنه استعارة لكثرة عطائه وإجابة دعائه. قلت: لما ثبت بالقواطع العقلية والنقلية أنه تبارك وتعالى منزّه عن الجسمية والتجسيم

يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبُ لَهُ! وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ! وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»
 ١٦٩ - (...) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا بَغُيُوتٌ (وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي) عَنْ شَهْرِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُرَّةٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ إِلَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَنْصَبِي ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبُ لَهُ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ! فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُبْصِرَ الْفَجْرُ».

١٧٠ - (...) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو الشَّيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي مُرَّةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثَلَاثُهُ» (ع) قَالَ الشَّيْخُ: الصَّحِيحُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الَّذِي تَقَاهَرَتْ الْأَخْبَارُ بِمَعْنَاهُ وَلَفْظُهُ وَقَدْ يَجْمَعُ بَأَن يَكُونُ النَّزُولُ الَّذِي أَرَادَهُ ﷺ أَحْلَمَ بِحَقِيقَتِهِ عِنْدَ مَضَى الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ.

قوله: (حين يضي ثلث الليل الآخر) وفي الآخر «حتى يضي ثلث الليل الأول» وفي الآخر «إذا مضى شطر الليل أو ثلثه» (ع) قال الشيخ: الصحيح الأول وهو الذي تقاهرت الأخبار بمعناه ولفظه وقد يجمع بأن يكون النزول الذي أَرَادَهُ ﷺ أحلم بحقيقته عند مضي الثلث الأول.

قوله: (من يدعوني الخ) في الثلث الآخر:

والحلول امتنع عليه النزول بمعنى الانتظام من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه بل المعتبر به إذا لم تقدر حذف المضاف على ما ذكره أهل الحق من رحمة ومزيد لطفه على العباد وإجابة دعوتهم بقبول مصلحتهم كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا تزلوا بقوم محتاجين ملهوفين قراء مستضعفين يلجؤون إليهم بكثرة المسائل ويمدون إلى مألوف كرمهم العميم أكف الضراعة ويتوسلون إليهم بإسبال المدامع وإظهار الفاقة والضعف، فإنهم يستجيبونهم بأكثر من مرغوبهم ويتحلفونهم بطوائف النخف وربما وثروا بعضهم ولاية يرأس بها ويشرف غاية الشرف. وبالجسلة فنزول الملوك الكرماء الرحماء بقرب ساحة الضعفاء المتعرضين لرقبتهم كثيراً ما يحصل إليهم من بركته ما يمتصون إلى منتهى أعمارهم، فلنؤاخذ هذا القرب وعظيم مواهبه وغريب تحفه استعير النزول إلى السماء الدنيا، وقد روي: «يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا» أي يتنزل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الألفة من الأوزال وعدم العبالاة وقهر العباد والانتظام من المعصاة إلى مقتضى صفات الإكرام المقتضية للرأفة والرحمة وقبول المعذرة والتلطف بالمحتاج واستعراض الحوائج والمسايلة والتخفيف في الأوامر والنواهي والتجاني عما يبدو من النعاصي. وقوله في الحديث تبارك وتعالى أثر قوله: «ينزل ربنا» جمعان معترضان بين الفعل وتطرقه لما أسند مالا يليق بإسناده بالحقيقة إليه أتى بما يدل على التنزيه معترضاً كقوله تعالى: «وَجَعَلُوا لَهُ السَّاتِ سَبْحَانَ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» (النحل: ٥٧).

عَمَلَةُ الْقَلْبِ

شَرْحُ

صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

تأليف
الأمير العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني
المتوفى سنة ٨٥٥ هـ

مطبعة
عبدالله محمود محمد عمر

طبعة جديدة مرقمة الكتب والأوراق والأجزاء
مطبوع في المطبعات الحديثة في القاهرة

الجزء الخامس والعشرون

مطبعة
الكتاب - أخيراً في المطبعات الحديثة في القاهرة
مطبعة الحديثة (٧٢٦٦) - المطبعة الحديثة (٧٥٦٢)

مطبعة
مطبعة
دار الكتب العلمية

بالانتقال والحركة وما إلى ذلك من صفات الحوادث. وقد فند الإمام ابن الجوزي مزاعم المجسمة فقال: (وقد روى حديث النزول عشرون صحابياً وقد سبق القول إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير، فيبقى الناس رجلين: أحدهما: المتأول له بمعنى: أنه يقرب رحمة، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاكَ فِيهِ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ﴾ [الحديد: ٢٥] وإن كان معدله بالأرض، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَاكَ فِيهِ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ﴾ [الزمر: ٦] ومن لم يعرف كيف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيل هذه الجمل؟ والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك: (روى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروا هذه الأحاديث بلا كيف، قلت: وواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يقتصر إلى ثلاثة أجسام: جسم عال، وهو مكان الساكن، وجسم صافل، وجسم يتقل من علو إلى أسفل وهذا لا يجوز على الله قطعاً... فإن قال العامي: فما الذي أراد بالنزول؟ قيل: أراد به معنى يليق بجلاله لا يلزمك التفتيش عنه، فإن قال: كيف حدث بما لا أفهمه؟ قلنا: قد علمت أن النازل إليك قريب منك، فاقنع بالقرب ولا تظنه كقرب الأجسام... قال ابن حامد: هو على العرش بذاته، مناسب له، وينزل من مكانه الذي هو فيه فينزل ويتقل. قلت: وهذا وجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى.

وقال القاضي: النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال.

قلت: وهذا مغالطة، ومنهم من قال: يتحرك إذا نزل، ولا يدري أن الحركة لا تجوز على الخالق، وقد حكوا عن أحمد ذلك. وهو كذب عليه، ولو كان النزول صفة لذاته لكانت صفاته كل ليلة تتجدد وصفاته قديمة) اليار الأذهب، لأبي القرج ابن الجوزي ص ٩٦ - ٩٧.

وقد رد جمهور العلماء على من أثبت النزول بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، وذلك لأنه يقضي إلى التجيز، والله تعالى منزّه عن ذلك. ونقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ٣/ ٣٠ - ٣١.

٩٨ - كتاب التوحيد / باب (٣٦)

٢٣٩

رواية الأكثرين: «ينزل»، من باب التفضل. وهذا من باب التشابهات والأمر فيها قد علم أنه إما التفويض وإما التأويل بنزول ملك الرحمة، ومن القائلين في إثبات هذا وأنه لا يقبل التأويل أبو إسحاق الهروي، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة في كتابه (القاروق) مثل حديث عطاء مولى أم صبية عن أبي هريرة بلفظ: «إذا ذهب ثلث الليل...» فذكر الحديث وزاد: «فلا يزال بها حتى يطلع الفجر» فيقول: هل من داع فيشجبه له؟ أخرجه النسائي وابن خزيمة في «صحيحه» وحديث ابن مسعود وفيه: «فإذا طلع الفجر صعد إلى العرش» أخرجه ابن خزيمة. وأخرجه أبو إسحاق عن طريق أخرى عن ابن مسعود، قال: «جاء رجل من بني سليم إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني...» فذكر الحديث، وفيه: «فإذا انفجر الفجر صعد». ومن حديث عيادة بن الصامت، وفي آخره: «ثم يعلو ريتا على كرسيه»، ومن حديث جابر وفيه: «ثم يعلو ريتا إلى السماء العليا» إلى كرسيه» ومن حديث أبي الخطاب أنه سأل النبي ﷺ عن الوتر، فذكر الحديث وفي آخره: «حتى إذا طلع الفجر ارتفع». قال بعضهم: هذه الطرق كلها ضعيفة. قلت: ألم يعلم هو أن الحديث إذا روي من طرق كثيرة ضعيفة تشدد فيشد بعضها بعضاً؟ وليس في هذا الباب. وأمثاله إلا التسليم والتفويض إلى ما أراد الله من ذلك، فإن الأخذ بظاهره يؤدي إلى التجسيم، وتأويله يؤدي إلى التعطيل، والسلامة في السكوت والتفويض.

فيه: الشحريضي على قيام آخر الليل. قال تعالى: ﴿الْمُسْتَلِينَ وَالْأَسْوَ﴾ [الأنعام: ١١٧] ومن جهة العقل أيضاً هو وقت صفاء النفس لخفة المعدة لانهضام الطعام وانحداره عن المعدة وزوال كلال الحواس وضعفه القوي وفقدان الشوشات وسكون الأصوات ونحو ذلك.

٧٤٩٥/١٢٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّنَادُ أَنَّ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فَتَخْرُجُ الْأَجْرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[انظر الحديث ٢٣٨ وأطرافه.]

٧٤٩٦/١٢٥ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ: «قَالَ اللَّهُ: أَتَقْبَلُ أَتَقْبَلُ عَقِيكَ». [انظر الحديث ٤٦٨٤ وأطرافه.]

مطابقته للترجمة في قوله: «قال الله» وهو من الأحاديث القديمة.

وأبو اليمان الحكم بن نافع يروي عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد بالزاي والنون عبد الله بن ذكوان عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

قوله: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» من حديث مستقل.

تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك

تأليف

الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي
رحمه الله تعالى

ولتتم النفع به وضعا من الموطأ مفصلا على الشرح
المذكور مشكولا شكلا تاما بأعلى كل صحيفة مفصلا بينه
وبين الشرح بجمول

في رتبة كتاب اسعاف المبطل برجال الموطأ للسيوطي

الجزء الاول

من
ثلاثة أجزاء

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

فَالِقَ الْأَصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا أَقْضَى عَنِّي
الدُّنْيَا وَأَغْنَيْتَنِي مِنَ الْفَقْرِ وَأَمْتَعَنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَقُوَّتِي فِي سَبِيلِكَ وَحَدَّثَنِي
عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهَ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ
لِيَعِزَّ الْمَسْئَلَةُ فَإِنَّهُ لَا مُسْكِرَةَ لَهُ وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي شِهَابٍ عَنْ
أَبِي عُبَيْدٍ مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يُسْتَجَابُ
لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَمَجُلْ يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ
عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ اللَّهِ الْأَعْرَجِ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ

خَلْدٍ قَالَ الْبَاحِي وَمَعْنَى (فَالِقَ الْأَصْبَاحِ) أَي خَلَقَهُ وَابْتَدَأَهُ وَأَطْرَفَهُ (وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا)
أَي يَسْكُنُ فِيهِ (وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا) أَي يَحْسِبُ بِهِمَا الْأَيَّامَ وَالشُّهُورَ وَالْأَعْوَامَ قَالَ
وَقَوْلُهُ (لِي سَبِيلُكَ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ جِدَارَ الْمَسْجِدِ وَأَنْ يَرِيدَ سَائِرَ أَسْمَاءِ الْبَرِّ مِنْ تِلْكَ
الرَّسَالَةِ وَلِغَيْرِهَا قَالَ ذَلِكَ سَبِيلُ اللَّهِ تَعَالَى (لِيَعِزَّ الْمَسْئَلَةُ) أَي يَعْزِي دُعَاؤُهُ وَمُؤَالَاهُ
مِنْ لَفْظِ الْمَشِيقَةِ (يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ) قَالَ الْبَاحِي يَحْتَمِلُ الْأَخْبَارُ عَنْ وَجُوبِ وَفُورِ الْجَابَةِ
دَعْوَى جَوَازِ وَقَوْصِهَا (عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ اللَّهِ الْأَعْرَجِ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ) قَالَ ابْنُ عِبْدِ
الْبَرِّ مِنْ رِوَاةِ الْوُطَّاءِ مَنْ لَا يَذْكُرُ أَبَا سَلَمَةَ قَالَ وَالْحَدِيثُ مَنْثُولٌ مِنْ طَرَفِ مُتَوَاتِرَةٍ وَوُجُوهٍ
كَثِيرَةٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ) هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ
الَّذِي يَسْكُتُ عَنْ الْحَوْضِ فِيهِ وَإِنْ كَانَ لَا بِهِ فَأَوَّلُ مَا يُقَالُ فِيهِ مَا فِي رِوَايَةِ الْفَنَاءِ أَنَّ اللَّهَ
يَجْلِسُ حَتَّى يَنْظُرَ اللَّيْلُ ثُمَّ يَأْمُرُ مَلَكًا يَقُولُ عَسَلٌ مِنْ نَارٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ فَاِلْمَرَادُ أَذْنُ نَزُولِ
أَمْرِهِ أَوْ لَفْظُ بَأْمَرِهِ وَقَدْ كَرِهَ ابْنُ فُورَكَ أَنْ يَنْصَحَ الْمَشَافِيقَ بِهَذَا بِتَرْكِهِ إِنْ كَانَ عَلَى حَقِّهِ
النُّقُولُ أَيْ يَنْزِلُ مَلَكًا قَالَ الْبَاحِي وَفِي الْعَتِيقَةِ سَأَلَتْ مَا لَسَاكُنَ عَنْ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ فِي جَنَازَةِ
سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الرِّشِّ فَقَالَ لَا تَحْدِثُ بِهِ وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانُ إِلَى أَنْ يَحْدِثَ بِهِ وَهُوَ يَرَى
مَا فِيهِ مِنَ التَّقْوَى وَحَدَّثَنِي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَحَدَّثَنِي السَّاقِ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ لَا
يُلْقَى لَنْ يَنْفِي اللَّهَ أَنْ يَحْدِثَ تَحْتَ هَذَا قَبْلَ لَهُ وَالْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَحَكَ فَمِنْ
يَوْمٍ مِنْ هَذَا وَاجَازَهُ وَكَذَلِكَ حَدِيثُ النَّزِيلِ قَالَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَذْرُقَ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهِهِ أَحَدُهُمَا
أَنَّ حَدِيثَ النَّزِيلِ وَالضَّحْكُ أَحَدِيَّتُ صَحَابٍ لَمْ يَطْفِئْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا وَحَدِيثُ الْهَسْتَرِازِ الرِّشِّ
وَالصُّورَةِ وَالسَّاقِ لَيْسَتْ أَصَابِعُهَا تُلْقَى فِي الصُّعَةِ دَرَجَةً حَدِيثِ النَّزِيلِ وَالثَّانِي أَنَّ التَّأْوِيلَ
فِي حَدِيثِ النَّزِيلِ أَقْرَبُ وَأَبْنَى وَالْمَعْنَى بِسُوءِ التَّأْوِيلِ فِيهَا أَبَدٌ أَشْبَهِي

الدِّيبَاجُ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ

لِلْحَافِظِ جَلَّالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيِّ
وُلِدَ سَنَةَ ٨٢٦ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١ هـ

وَبَحَاشِيَتِهِ

الْحَلُّ الْمَفْهُومُ لِصَحِيحِ مُسْلِمٍ
مِنْ إِقَادَاتِ الْأَحْذِيثِ الْكَبِيرِ وَشَيْدِ اخْتِدَادِ الْكُتُوبِ
وُلِدَ سَنَةَ ١٢٤٤ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٢٣ هـ

وَتَعْلِيقِ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ زَكْرِيَّا الْكَائِدِ هَلَوِيِّ
وُلِدَ سَنَةَ ١٢١٥ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨٢ هـ

اعْتَنَى بِالتَّيْبَانِ ، مُحَمَّدُ عَدْنَانُ دُرُوشِ
وَعَتَنَ بِالْمَلِّ الْمَقِيمِ ، هَيْثَمُ تَيْمِيمِ

المجلد الثاني



٢٨٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها

[١٧٦٨] ١٦٧ - (٠٠٠) وحديثي شَيْخَةُ بْنُ شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَغِيثٍ: حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لَا يُؤَاقِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَّاهُ».

٢٤ - بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالْإِجَابَةِ فِيهِ

[١٧٦٩] ١٦٨ - (٧٥٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ: وَعن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُنْزَلُ رُبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ. فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟

١٦٨ - (٧٥٨) يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ: قَالَ النَّوَوِيُّ^(١): هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الْمَصَنَعَاتِ وَفِيهَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ:

أَحَدُهُمَا: وَهُوَ مَذْهَبُ جَمْهُورِ السُّلَفِ وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ يَأْمَنُ بِأَنَّهُا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ تَعَالَى وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّهِ غَيْرُ مُرَادٍ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا، مَعَ اعْتِقَادِهَا تَرْبِيَةً سَخِيحَةً مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الْاِئْتِمَارِ وَالْحُرُوكَاتِ وَسُفَرِ سَمَاتِ الْخَلْقِ

الثَّانِي: مَذْهَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَبَعْضِ السُّلَفِ وَهُوَ مُحْكَمٌ هُنَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوَّلِ أَنَّهَا تَأْوِيلٌ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا بِحَسَبِ مَرَاطِبِهَا، فَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلًا:

أَحَدُهُمَا: تَأْوِيلُ ذَلِكَ وَطَرَهُ، وَمَعْنَاهُ تَزَوَّلَ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ أَوْ مَلَائِكَتُهُ

وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ، وَمَعْنَاهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الدَّاعِينَ بِالْإِجَابَةِ وَاللُّطْفِ

حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ: فِي الرَّوَايَةِ بَعْدُهَا: حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ الْأَوَّلِ وَأَمَّا الْقَاضِي عِيَاضٌ إِلَى تَضْعِيفِهَا وَتَرْجِيحِ الْأَوَّلِ، قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّزْوِلُ بِالْمَعْنَى الْمُرَادُ بَعْدَ الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ، وَقَوْلُهُ مَنْ يَدْعُونِي بَعْدَ الثَّلَاثِ الْآخِرِ.

[١٧٦٨] تَقَرَّرَ بِهِ مُسْلِمٌ.. انظر «التحفة» برقم (٢٩٥١).

[١٧٦٩] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي التَّوْحِيدِ، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَيُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» برقم (٧٤٩٤) وَفِي الدَّعَوَاتِ، بَابُ: الدُّعَاءُ نَصَفَ اللَّيْلِ برقم (٦٣٦١) وَفِي التَّهَجُّدِ، بَابُ: الدُّعَاءُ وَالصَّلَاةُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ برقم (١١٤٥). وَأَبُو دَاوُدَ فِي «مُسْنَدِهِ» فِي الصَّلَاةِ، بَابُ: أَيُّ اللَّيْلِ أَفْضَلُ برقم (١٣١٥) وَفِي السُّنَّةِ، بَابُ: فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمَةِ برقم (٤٧٣٣). وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي الدَّعَوَاتِ بَابُ: (٧٩) برقم (٣٤٩٨) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ انظر «التحفة» برقم (١٣٤٦٣).

(١) الترويض ٣٥/٦.

إِنْشَادُ السَّنَادِي

رِشْمٌ مَحْسُوحٌ الْبَخَايِي

تَأَلَّفَ

الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القليلاني

المؤلف سنة ٩٢٣ هـ .

مُطَبَّرٌ وَمُحَقَّقٌ

بمحمد عبد العزيز المالدي

الجزء الخامس عشر

يحتوي على الكتب التالية :

الفتن - الأحكام - النعمي - أخبار الأئمة

الاعتصام بالكتاب والسنة - التوحيد

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

والحديث سبق في الحج بسأحه وما فيه ومطابقته لما ترجم به في قوله بقوله الله.

٧١٩٣ - **هَذَا** عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ خُثَيْمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْتُمَا الْيُوبُ يُغْتَسَلُ غُرْبَتَا خُرْ عَلَيْهِ وَجِلُّ خِرَامٍ مِنْ لُغَبٍ، فَجَنَلْ يَحْشَى فِي قُوَيْهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ خُشَا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا يَجْنِي بِي عَنْ يَرْكُتِكَ».

وبه قال: (حدثنا عبد الله بن محمد) السني قال: (حدثنا عبد الرزاق) بن همام بن نافع الخافظ أبو بكر الصنعاني قال: (أخبرنا معمر) بفتح الميم وسكون العين المهمل الملهمة ابن راشد (عن همام) بفتح الهاء والميم الشددة ابن منبه (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن النبي ﷺ) أنه (قال):

(بينما) باليم (أيوب) عليه السلام (يغتسل) حال كونه (غروبًا) عز عليه وجل جردا بكسر الراء وسكون الجيم جماعة كثيرة منه (من لُغَبٍ) وسمي جردًا لأنه يجرد الأرض لياكل ما عليها (فجَنَلْ) أيوب (يَحْشَى) بفتح أوله وسكون الهاء المهمل بعددًا مثله يأخذ بيده ويبرمي (في قُوَيْهِ) فناداه فقال له (ربه) تعال (يا أيوب) كلمة كموسى أو بواسطة الملك (ألم أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ) بفتح الهيمه وبعد الضحية الساكنة فوقية ولأبي ذر عن الكشميهني أغنتك بضم الهيمه وبعد المعجمة الساكنة نون مكسورة فكاف (هما تروى) من جرد اللُغَب (قال: بلى يا رب) أغنتني (ولكن لا غنى لي عن يركتك) أي عن خيرك وغنى بكسر الغين المعجمة مقصور من غير تنوين ولا ناقية للجنس.

وسبق الحديث في باب من اغتسل غروبًا من الطهارة.

٧١٩٤ - **هَذَا** إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْآخَرِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْتَزِلُ رَبُّنَا قَبْلَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَقْبَضُ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَعْفِفُنِي فَأُعْفِرَ لَهُ».

وبه قال: (حدثنا إسماعيل) بن أبي أويس قال: (حدثني) بالإفراد (مالك) هو ابن أنس إمام دار الهجرة الأصمعي (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري (عن أبي عبد الله الآخر) بالغين المعجمة المفتوحة والراء الشددة واسمه سلمان الجهنمي المدني (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال):

(ينتزل) بفتح النون فوقية وتشديد الزاي في باب التفعّل ولأبي ذر عن الكشميهني ينزل (ربنا) تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يقبض ثلاث الليل الآخر) أي ينزل ملك بأمره وتأوله ابن حزم بأنه فعل يفعل الله في سماء الدنيا كالفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مطلق الإجابة وهذا معهود في اللغة يقال فلان نزل لي عن حقه بمعنى وهبه لي، لكن في حديث أبي

القوآءء الكشففة الموضءة لمعآلف الصفااء الالهفة

فألف

الشفء عبء الوهاب بفأءء الشعارف

١٨٩٨هـ - ١٩٧٣هـ

فمقفءة وءلاءة

الءكءور مفءف أنءءءراء

أساء اللسانفاء والمعلم الفففة
ءامعة بفرففء



ءار الكءب العلمفة

أسفها معءء علف بففسون ساءة ١٩٧١

بفسوء - لفسان

[أَقْوَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي آيَةِ الْاِسْتَوَاءِ وَحَدِيثِ النُّزُولِ]

١٣٩

إِنَّ الْمَلُوكَ، وَإِنْ جَلَّتْ مَرَاتِبُهُمْ لَهَا مَعَ السُّوفَةِ الْأَسْرَارُ وَالسُّرَرُ^(١)

[أَقْوَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي آيَةِ الْاِسْتَوَاءِ وَحَدِيثِ النُّزُولِ]

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الرِّضْوِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَقُولُ كَثِيرًا: إِذَا أُخْرِجَ الْحَقُّ تَعَالَى - أَنَّهُ يُنَزَّلُ كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ النَّزُولُ عَلَى وَجْهِ الثَّقَلِ مُعَالَاةً فِي سَقْفِهِ تَعَالَى - لَجَلَّتْ التَّوَاضُّعُ مَعَ الْعِيَادِ، وَلَا تَرَى نَفْسًا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ.

وَسَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الْخَوَاصِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: قُوَّةُ الْحَقِّ تَعَالَى - حِينَمَا وَرَدَتْ الْمَرَادُ بِهَا قُوَّةُ السَّكَاةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ^(٢) لَا لِقُوَّةِ السَّكَاةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَثِيرًا، وَإِذَا كَانَتْ قُوَّةُ سَكَاةٍ وَرُبُوبِيَّةٍ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَلُوكِ وَالسُّلُطَانِ، فَمَنْ قَصَدَهُ فِي مَحْجُودِهِ، كَانَ قَاصِدًا حَقًّا قُوَّةً، كَمَا قَالُوا فِي غُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ إِنْ نَزَلُوا مِنْ السَّمَاءِ بِالْوَحْيِ عُرُوجًا لِحَصْرَةِ الْحَقِّ، وَهَذَا أَسْرَارُ تَعْرِفُهَا الْعَارِفُونَ لَا تُسَطَّرُ فِي كِتَابٍ، قَالَ^(٣): فَكَمَا لَا يُلْزَمُ مَنْ إِثْبَاتِ الْقُوَّةِ لِلْحَقِّ - جَلَّ وَعَلَا - إِثْبَاتُ الْحَقِيْقَةِ، فَكَذَلِكَ لَا يُلْزَمُ مَنْ اسْتَوَاهُ عَلَى الْعَرْشِ إِثْبَاتُ الْحَقِيْقَةِ وَالسَّكَاةِ، وَقَدْ عَقِدْتُ الْإِصْبَاحَ عَلَى ذَلِكَ.

لِيَنْ قَالَ قَاتِلٌ: قَمَا الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى - فِي الْمَلَائِكَةِ: ﴿تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ

(١) "ب"، "ك"، "ز"، "أ" الأسرار، وهو تصحيح، والشعر من السبط للشيخ محيي الدين فاك في مستفتح الباب الثامن عشر المفقود له العنوان في معرفة علم المتجدين، وما يظهر منه من المعلوم في الوجود، وروايته في طبعة دار الكتب المصرية والمطبعة العامة للكتاب:

إِنَّ الْمَلُوكَ وَإِنْ جَلَّتْ مَرَاتِبُهُمْ، وَلَهُ:

علم التهجذ علم الغيب ليس له في منزل العين إحسان ولا نظر

إِنَّ النُّزُولَ بِعَظَمِهِ وَإِنَّ السُّرَرِ فِي عَيْنِهِ سَوْرًا تَعْلُو بِهِ مَسُور

انظر: الفتوحات السكية، (طبعة دار الكتب المصرية)، ١/٢٥٠، وطبعة المطبعة المصرية للكتاب، السفر الثالث، ٧٠.

(٢) "ك"، "ز"، "أ"، "ب"، "ز"، "أ" أخرنا.

(٣) "ك"، "ب"، "ز"، "أ" رحمه الله تعالى.

(٤) "ك"، "ز"، "أ" القوية.

(٥) سبب الشعر في هذا القول إلى تبيحه على الخواص، وهو للشيخ محيي الدين في باب الأسرار من الفتوحات السكية، ١٨٢/٨.

نَفْسِيَّ الْخَطِيْبُ الشَّرِيفِي

المُسَمَّنِي
السِّرَاجُ الْمُتَنِيرُ
فِي الْأَعْيَانِ
عَلَى مَعْرِفَةِ بَعْضِ مَعَانِي كَلَامِ رَبِّنَا الْحَكِيمِ الْبَاقِي

تَأْدِيبُ
الإمام الشَّيخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَطِيْبِ الشَّرِيفِي الْمَصْرِعِي
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٧٧ هـ

مُزَيَّنَ آيَاتُهُ وَأَمَارَاتُهُ وَفَقَدَ خُفَاتِيهِ
إِبْرَاهِيمُ شَمْسُ الدِّينِ

الْمُجَرَّدُ الرَّابِعُ

الْمَحْصُوفُ :

مِنْهُ أَوَّلُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ - إِلَى آخِرِ سُورَةِ النَّاسِ

مَشْكُورَاتُ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ بِبُيُوتِ
دَارِ الْكَلْبِ الْفَلَحِيَّةِ
بَعْدَ الْوَلَدِ

عَمَّا اللَّذَانِ تَعْدَى فِيهِمَا إِلَى مَا لَا يَجُوزُ ﴿وَاللَّهُ﴾ أَيُّ: الَّذِي لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ ﴿لَا يَحِبُّ﴾ أَيُّ: لَا يَقَعْلُ فِعْلُ الْحَبِّ بِأَنْ يَكْرَمَ ﴿كُلُّ مَخْتَالٍ﴾ أَيُّ: مُتَكَبِّرٌ نَظَرًا إِلَى مَا فِي يَدِهِ مِنَ الدُّنْيَا ﴿فَخُورٌ﴾ أَيُّ: بِهِ عَلَى النَّاسِ قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: الْاِخْتِيَالُ مِنَ بَقَايَا النَّفْسِ وَوَرِثَتِهَا، وَالْفُخْرُ مِنَ دَلِيلَةِ عَظَمَتِهِ مَا بِهِ يَفْتَخِرُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ بِذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَخْتَالٍ فَخُورٌ فَإِنَّ الْمَخْتَالَ بِالْمَالِ يَقْتَضِي بِهِ عَالِيًا ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾ أَيُّ: كُلٌّ مِنْ يَعْرِفُونَهُ ﴿بِالْبَحْلِ﴾ إِيرَادُهُ أَنْ يَكُونُوا لَهُمْ رِفْقًا وَيَحْلُونَ بِأَعْمَالِهِمْ الْحَيَّةِ أَوْ حَيْثُ خَيْرُهُ مَحْلُوفٌ مَحْلُوكٌ عَلَيْهِ يَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أَيُّ: يَكْلَفُ نَفْسَهُ الْإِعْرَاضَ ضِدُّ مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ صِحَّةِ الْخَيْرِ وَالْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْزِلِ اللَّهُ﴾ الَّذِي لَهُ جَمِيعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ ﴿عَمْرٍ﴾ أَيُّ: وَحْدَهُ ﴿الْفَنَى الْحَمِيدُ﴾ لِأَنَّهُ مُعْتَبَرٌ وَمَنْ يَعْزِضُ عَنِ الْإِتِّفَاقِ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِ أَيُّ: عَنِ مَالِهِ وَعَنِ إِتِفَاقِهِ وَكُلِّ شَيْءٍ مُتَقَرَّرٍ إِلَيْهِ وَهُوَ حَقُّقٌ لِلْحَمْدِ سِوَاهُ أَحْبَبَهُ الْحَامِدُونَ أَمْ لَا ﴿فَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أَيُّ: بِمَا لَنَا مِنَ الْعِظَمَةِ ﴿رُسُلَنَا﴾ أَيُّ: الَّذِينَ لَهُمْ نَهَايَةُ الْجَلَالِ بِمَا لَهُمْ بِنَا مِنَ الْاِتِّصَالِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَى جَمِيعِهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى الْأُمَمِ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَيُّ: الْحَبِيجِ الْقَوَاطِعِ ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ أَيُّ: بَعْظَمَتِنَا الَّتِي لَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهَا ﴿مَعَهُمُ الْكِتَابُ﴾ أَيُّ: الْكِتَابُ الْمُتَعَمِّدُ لِلْأَحْكَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ ﴿وَالسِّيزَانُ﴾ أَيُّ: الْعَدْلُ وَقِيلَ: الْآلَةُ رَوَى أَنْ حَبْرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بِالْمِيزَانِ فَلَفَعَهُ إِلَى تَوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: مَرُّ قَوْمِكَ بِزَيْنٍ بِهِ ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

أَيُّ: لِيَتَعَامَلُوا بِهِمْ بِالْعَدْلِ ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ أَيُّ: خَلَقْنَا خَلْقًا عَظِيمًا بِمَا لَنَا مِنَ الْقُدْرَةِ ﴿الْحَدِيدُ﴾ أَيُّ: الْمَعْرُوفِ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالصَّلَابَةِ وَالذَّلِيلِ فَذَلِكَ سَبَبُ إِحْبَافِهِ أَنْزَلْنَا^(١) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْجَنَّةِ وَسَمِعَهُ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ مِنْ حَدِيثِ وَرَوَى مِنْ آلَةِ الْحَبَائِثِ السَّنَدَانِ وَالْكَلْبَتَانِ وَالْمَيْقِيعَةِ وَالْمَطْرُفَةِ وَالْإِبْرَةِ وَحِكْمَاءُ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ: وَالْحَقِيقَةُ مَا يَحْدُدُ بِهِ بِقَالَ: وَقَعَتِ الْحَدِيدَةُ أَقْمَعُهَا أَيُّ: حَدَّثَتْهَا وَفِي الصَّحَاحِ: الْمَيْقِيعَةُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَأْلِقُهُ السَّارِي فَيَقَعُ عَلَيْهِ، وَخَشَبَةُ الْقَصَارِ الَّتِي يَنْقُ عَلَيْهِهَا وَالْمَطْرُفَةُ وَالْمَسْنُ الطَّوِيلُ وَرَوَى وَسَمِعَهُ الْعَبِيدَ وَالْمَسْحَاقَ، وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ أَرْبَعَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ وَالنَّارَ وَالْمَاءَ وَالْمَلْحَ»^(٢)، وَرَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَنْزَلَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلَاجِ وَعَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَتْ مِنْ أَسْرِ طُولُهَا عَشْرَةُ أَفْرَاحٍ مَعَ طُولِ مُوسَى»^(٣)، وَعَنْ الْحَسَنِ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ خَلَقْنَاهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَلْغَمِ﴾^(٤) لِأَنَّ ١٦ وَذَلِكَ أَنَّ أَوَامِرَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ وَقَضَايَاهُ وَأَحْكَامُهُ ﴿فِيهِ بَأْسٌ﴾ أَيُّ: قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ ﴿شَدِيدٌ﴾ أَيُّ: قُوَّةٌ شَدِيدَةٌ قَمْتُهُ جَنَّةٌ وَهِيَ آلَةُ الدَّفْعِ وَهِيَ سِلَاحٌ وَهُوَ آلَةُ الضَّرْبِ ﴿وَمَنْافِعُ لِلنَّاسِ﴾ بِمَا يَعْمَلُ مِنْهُ مِنْ مَرَامِقِهِمْ لِقُومِ أَحْوَالِهِمْ بِذَلِكَ قَالَ الْيَسَاوِيُّ: مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَالْحَدِيدُ أَلْتَهَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي جَنَّةً، وَقِيلَ: ائْتَفَاقُ النَّاسِ بِالْمَاعُونَ الْحَدِيدُ كَالسَّكِينِ وَالنَّاسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَرَوَى أَنَّ الْحَدِيدَ أَنْزَلَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَةِ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، أَيُّ: مَهْرَاقُ الدَّمَاءِ وَلِذَلِكَ نَهَى عَنْ الْقَصْدِ وَالْحِجَامَةِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَةِ لِأَنَّهُ يَوْمُ جَرَى لِيَهْ الدَّمُ^(٥) وَرَوَى أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَةِ

(١) أخرجه المصنف الهندي في كنز العمال ١٦٥١، والقصبي في الطب الشري ٩٠، والقرطبي في تفسيره ١٧/٢٦١، والمجلوني في كشف الغطاء ١/٥٦٦، والسيوطي في جمع الجوامع ٤٧١٥.

(٢) النظر القرطبي في تفسيره ١٧/٢٦٠.

مِصْحَ
الرُّوضِ الْأَزْهَرِ
فِي شَرْحِ
الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ

لِلْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ الْفَقِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُسْلِمَانَ مُحَمَّدٍ الْقَارِي
الْمَوَدَّعِي

وَمَعَهُ

التَّحْقِيقُ الْمَدِينِيُّ
عَلَى شَرْحِ الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ

مُتَالِفًا

الشَّيْخَ وَهَبِي سُلَيْمَانَ غَاوَجِي

بِإِذْنِ الشَّرَفِ الْإِسْلَامِيِّ

بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» كما رواه مسلم، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «الحجر الأسود»^(١) يمين الله في أرضه يضاف بها عباده». وروى ابن عاصم نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ولفظه: «من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن».

وقد سئل أبو حنيفة رحمه الله عما ورد: من أنه سبحانه «ينزل من السماء»، فقال: ينزل بلا كيف، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله خلق آدم على صورته»^(٢)، وفي رواية: «على صورة الرحمن» وأمثاله، فيجب أن يجري على ظاهره، ويفوّض أمر علمه إلى قائله، ويمتدّ الباري عن الجارحة ومثابرة صفات المحدثات.

وقال الإمام الأعظم رحمه الله في كتابه «الوصية»: تقرّ بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو صار محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين

(١) (الحجر الأسود)، رواه الطبراني مرفوعاً وموقوفاً على ابن عباس، وعكرمة مولى ابن عباس. رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «الحجر الأسود من الجنة وكان أكثر بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا المشركين»، قال المحدث الشيخ شعيب: (الحجر الأسود من الجنة) صحيح بشواهد، أما بقية الحديث فليس له شاهد يثبته. مسند الإمام أحمد، تعليق الشيخ شعيب ١٤/٥.

(٢) (إن الله خلق آدم على صورته)، رواه البخاري، استئذان، أنبياء ١١، ومسلم، ير ١١٥، جنة ٣٥.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح العلامة
الفاضل والفهامة الكامل المرحوم
يحيى بن أبي البركات علي بن سلطان
محمد القاري نفعنا
الله به والصلوات
آمين

• (الجزء الثاني) •

• (وحياته مشكاة المصابيح المذكورة للعلاء الخطيب) •
• (التبريري رحمه الله آمين) •

[illegible]

يقول سبحانه الله اعلم ان اول
الانبياء من الخواص واما
اول من الناس من يوطئ
صاحب الجوارح يرد
ازواجه الى بساتين
ربنا فيسقى الدنيا بارقة
في الاخر واما الصاوي
ومن ايهب يرتد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يترك ونا تبارك وتعالى
كل له على السجدة

اِشَارَاتُ الْمَرَامِ
مِنْ
عِبَرَاتِ الْأَمَامِ
إِي حَنِيفَةِ النِّعَمَانِ
فِي أَصُولِ الدِّينِ

تأليف

الشيخ كمال الدين أحمد بن حسين بن عثمان الدين
البياضى زاده الرومى الحنفى البسوى

المؤلف ١٠٩٢ هـ

عزله أمانته وشيخه

أحمد فرید الدین



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيكسون سنة 1971

بيروت - لبنان

١٦٧

«لُبابُ الْقَائِي / فِي الصِّفَاتِ الدَّائِيَةِ وَمَا وَجَّعَ إِلَيْهَا

وَلَقَدْ رَجَعَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فَقَالَ فِي الرِّسَالَةِ النَّظَامِيَةِ بَعْدَمَا رَجَعَ التَّأْوِيلَ فِي الْإِرْشَادِ: وَالَّذِي نَرْتَضِيهِ رَأْيًا وَنَدِينُ اللَّهَ بِهِ عَقْدًا أَشَاعَ سَلَفُ الْأُمَّةِ لِقَائِهِمْ دَرَجَاتٍ عَلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَعَانِيهَا، وَاخْتَارَهُ الْإِمَامُ الرَّازِي حَيْثُ قَالَ بَعْدَ إِقَامَةِ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى أَنَّ حَصْلَ اللَّفْظِ عَلَى الظَّاهِرِ عَمَالٌ، لَا يَجُوزُ الْخَوْصُ فِي تَعْيِينِ التَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَرْجِيحِ مَجَازٍ عَلَى بَحَازٍ، وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِالدَّلَائِلِ اللَّفْظِيَّةِ، وَهِيَ ظَنِّيَّةٌ كَمَا فَضَّلَهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرُجُ مُشَابِهَاتٍ﴾ [آل عمران: ٧].

(ص): (وَقَالَ فِي الْفَقْهِ الْأَبْسَطِ: لَيْسَ كَأَيْدِي خَلْقِهِ لَيْسَ بِجَارِحَةٍ، وَهُوَ خَالِقُ الْأَيْدِي، وَوَجْهَهُ لَيْسَ كَوَجْهِهِ خَلْقِهِ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ الْوُجُوهِ، وَنَفْسُهُ لَيْسَ كَنَفْسِ خَلْقِهِ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ النُّفُوسِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]).

(ش): (وَالثَّانِي: مَا أَشَارَ إِلَيْهِ (وَقَالَ فِي الْفَقْهِ الْأَبْسَطِ): بِاِقْتِنَاسِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [أنفث: ١٠])، وَأَوْضَحَهُ بِقَوْلِهِ: (لَيْسَ كَأَيْدِي خَلْقِهِ لَيْسَ بِجَارِحَةٍ)، وَأَشَارَ إِلَى تَعْلِيلِهِ بِقَوْلِهِ: (وَهُوَ خَالِقُ الْأَيْدِي)، لِأَنَّ الْخَالِقَ لَا يَشَابَهُ الْمَخْلُوقَ، (وَوَجْهَهُ لَيْسَ كَوَجْهِهِ خَلْقِهِ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ الْوُجُوهِ، وَنَفْسُهُ لَيْسَ كَنَفْسِ خَلْقِهِ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ النُّفُوسِ)، فَهُوَ مُسْتَرَدٌّ عَنِ الْخَوَارِجِ وَالْكَفَيَّاتِ وَالتَّحْسِمِ وَمِثَالَةِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ إِذَا لَوْ كَانَ جَسَدًا لَأُصِفَ بِصِفَاتِ الْأَحْسَامِ، إِمَّا كُلِّهَا فَيُجْمَعُ الضَّدَّاءُ، أَوْ بَعْضُهَا فَيُلْزَمُ التَّرْجِيحُ بِلَا مَرَحٍ أَوْ الْإِحْتِيَاجِ، وَأَيْضًا لِيَكُونَ مَتَّاعًا فَيُتَخَصَّصُ بِقَدَرٍ وَشَكْلٍ، فَإِخْتِصَاصُهُ بِمَا دُونَ سَائِرِ الْأَحْسَامِ يَكُونُ لِمُتَخَصِّصِهِ، وَيُلْزَمُ الْحَاجَةُ كَمَا فِي الْمَوَاقِفِ، وَلَوْ كَانَ مِثَالَهَا لِلْمَخْلُوقَاتِ لَكَانَ أَتَمَّ صَانَهُ الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْحَيَاةُ مِنَ الْخَائِزَاتِ، فَلَا يُصَفَّى إِلَّا بِإِحْجَابٍ مُوَحِّدٍ وَتَخْصِصٍ مُخَصَّصٍ كَمَا فِي التَّقْدِيسِ، فَيُسْتَعْنَى أَنْ يَكُونَ مَا وَرَدَ مِنَ الْيَدِ وَالْوَجْهِ عَضْوًا جَسَمَانِيًّا، وَأَنْ يَكُونَ نَفْسُهُ كَنَفْسِ الْأَحْسَامِ، بَلْ لَا يَمِثَلُهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَا أَشَارَ إِلَى التَّعْصِيمِ بِاِقْتِنَاسِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١])، فَأَشَارَ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ وَضَمْنِهِ الرَّدَّ عَلَى الْمِثْلِيَّةِ بِامْتِنَاعِ الْمِثَالَةِ وَالْمَسَاوَةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ فِي تِلْكَ الْوُجُوهِ.

وَفِيهِ إِشَارَاتٌ:

الْأَوَّلَى: الِاسْتِدْلَالُ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ ذَاتُهُ مَسَاوِيَةً لِسَائِرِ ذَوَاتِ الْمُنْحَيَّزَاتِ، فَكَمَا يَصِحُّ عَلَى سَائِرِ الْمُنْحَيَّزَاتِ كَوْنُهَا مُتَحَرِّكَةٌ تَدَارَةً وَسَاكِنَةٌ أُخْرَى وَجِبَ أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ أَيْضًا

الباب الثاني / في الصفات الذاتية وما يرجع إليها

١٦٥

وإليه أشار بقوله: فقبل خلق العرش أين كان الله؟

الثالثة: الجواب بأن التحيز وقبول الحوادث من أمارات الحدوث، وهو على القديم محال، ومنع ضرورة العقل عن الاتصال والانفصال سيما قبل خلق العرش وخلق الجسمانيات، وعن التعبير والتمسك بعد إحداث المحدثات كما في شرح قواعد العقائد. وإليه أشار أيضاً بقوله: (فقبل خلق العرش أين كان الله)، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

(ص) (وقال في الفقه الأيسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء).

(ع) الخامس: ما أشار إليه، (وقال في الفقه الأيسط: كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين): أي مكان (ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء)، فوجد له بعد العدم، ما يكون شيء من المكان والجهة قديماً.

وفيه إشارات:

الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكان وجهه لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسماً لأن المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم، والجهة اسم لتسبي مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك، فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل ذلك مستحيل كما مرّ بيانه، وإليه أشار بقوله: كان ولم يكن أين، ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء.

ويطل ما ظنه ابن تيمية منهم من قدم العرش كما في شرح العصدية.

الثانية: الجواب بالا بأن يكون الباري تعالى داخل العالم لا محتاج أن يكون الخالق داخلياً في الأشياء المخلوقة، ولا خارجاً عنه بأن يكون في جهة منه لوجوده تعالى قبل خلق المخلوقات، وتحقق الأمكنة والجهات، وإليه أشار بقوله: ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٢-١]، وهو خروج عن الموهوم دون المعقول.

الثالثة: الجواب بأن كون القائم بنفسه هو المتحيز بالذات غير (مسلم)، بل هو المستغني عن محلي يقوم به، كما في شرح المواهب، وإليه لُوحّ بقوله: كان الله ولا مكان.

(ص): (وأنه تعالى يُدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء، وعليه ما روي في الحديث: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ فَقَالَ: وَجِبْ عَلَيَّ حَتَّى رَكَنَ مُؤَيِّنَةً أَنْتَجِرَنِي مِنْهُ؟ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَمُومَةٌ أَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَغَشَقَهَا

شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك

وهو شرح للإمام العارف خاتمة المحققين العلامة سيدي محمد الزرقاني
على صحيح الموطأ لإمام الأئمة وعلم المدينة: الإمام مالك بن أنس
نفعا الله به والمعلمين آمين

المجلد الثاني

دار المعرفة
بيروت - لبنان

من شرح الزوال على الموطأ

٢٥

رسول الله ﷺ قال يستجاب لأحدكم ما لم يجعل يده على شيء فقالوا قد دعوت فلم يستجب لي.

١٩١ - وحديث عن مالك عن ابن شهاب عن أن جده الله الأنغر وعن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يزل وبنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

إذ ذلك مات بالمدينة سنة ثمان وتسعين (مولى بن زهر) فتح المدون والماء بينهما ذان ساكنة آخره واه عبد الرحمن الزهرى الذى صافى منير (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يجعل يده على شيء) فتع التعتية والمجم بينهما عين ساكنة من الاستجابة بين الإجابة قال الشاعر «قل شجيه عندك جيب» أى جيب دماغ كل أحد منكم لأنهم المضاف مقيد بالمعنى على الأصح (القول) بالقول بيان لقوله ما لم يجعل (قد دعوت فلم يستجب لي) بمعنى التعتية فتح المجمع قال الباقى يحتل أن يده بقوله يستجاب الإخبار عن وجوب وقوع الإجابة أى تحقق وقوعها أو الإخبار عن جواز وقوعها فإن أراد الوجوب فهو بأحد ثلاثة أشياء لمصير ما سأله أو كثر عنه أو دخوله فى ذلك قال دعوت أى جعل وجوب أحد هذه الثلاثة وعبرى الله عن جميعها وإن أراد الجواز فيكون الإجابة بفعل ما دعا به منته قوله دعوت فلم يستجب لأنه من ضعف اليقين والقسط وفى سلم والزمضى عن أبي هريرة مرفوعاً لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع يده أو قطعة من جسده لم يستجب قيل وما الاستفعال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فاستحسرت عند ذلك ورجع الله واستحسرت بهجمات استفعال من حسرت إذا أخطأ وتعب وتكرار ودعوت للاستمرار أى دعوت من أكرهه قال المظهرى من له ملاقة من الله لا يقبل دعوته لأن الله عبادة حسنة الإجابة أو لم تحصل فلا يقضى للؤمن أن يمل من العبادة وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها وإما لأنه لم يقدّر في الأول قبول دعوته في الدنيا ليعمل عروته في الآخرة وإما أن يضر القبول ليلج ويبلغ وذلك لأن الله يحب للمؤمنين الدعاء مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له والحديث رواه البخارى عن عبد الله بن يوسف وسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به (مالك عن ابن شهاب عن أبي جعفر) مدان يكون الكلام (الأخر) يفتح الثمن المعجزة وسنة الزاء المجمع مولا المشرق وأصله من أصبان وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرظى الزهرى (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يزل وبنا) اختلف فيه القراءون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا على طريق الإجمال مخرجين الله تعالى عن التكليف والتشبه ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيان والحاكمين والبيهقي والأوراع وغيرهم قال البيهقي وهو أصح وبذلك عليه اتفاقهم على أن التأويل المجمع لا يجب عليه التفويض أسلم وقال ابن عمرى الزول راجع إلى أصالة لا إلى ذاته بل ذلك حارة عن ملكه الذى يزل بأمره ونهيه قال الزول حسن سنة تلك المعصية بذلك أو دعوى بمعنى لم يفعل ثم فعل ففسى ذلك زولا عن مرتبة إلى مرتبة فهو عربة صبيحة والحاصل أنه أوله بوجهين إما أن الملقى يزل أمره أو الملك وإما أنه استجابة بمعنى التعلق بالذاهب والإجابة لم ونحوه وكما حكى عن ذلك أنه يؤله يزل رحمة وأمره أو ملكه كإيصال فعل الملك كذا أى أتباعه بأمره لكن قال ابن عبد البر قال يقوم يزل أمره ورحمة وليس بهذين لأن أمره بما يشاء من رحمة ونعمته يزل بقليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غير موضح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأئمة فى الاستجابة ذلك الوقت وقال الباقى هو إخبار عن إجابة الداعي ونظره المستقرين وتقيه عن فعل الوقت كحديث إذا تقرب عبدى إلى شئاً تقرب إلى ذراعى الحديث لم يرد قرب المسافة لعدم إمكانه وإنما أراد القرب من العبد ومنه تعالى الإجابة وحكى ابن قنبر أن بعض المتأخرين أظهروا أنه على خلاف المفعول أى يزل ملكاً قال الحافظ وبه ما رواه الشافعى من طريق الأخر عن أبي هريرة وأبي سعيد أن الله يهل حق بعض

إِتْخَافُ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ

بِشَرْحِ
إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ

مُصَنِّفُ

الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ الرَّيْدِيُّ
الشَّهِيدُ بِمَرْتَضَى
الْمَشْهُورَةِ سَنَةِ ١٢٥٥ هـ

مُتَنَبِّهِ

حَبِّ تَحْقِيقِ أَنْ السَّامِعَ لَمْ يَسْتَطِعْ بِرَأْيِهِ تَحْقِيقَ بَعْضِ مَوَاضِعِ شَرْحِهِ فَتَنَبَّأَ لِلْمُعَايَنَةِ
أَرْجُوْنَا اِعْتِبَاءَ عُلُومِ الدِّينِ كَمَا يَكُونُ فِي أَعْلَى الصُّفُوفِ وَفِي الْأَسْفَلِ مَا جَاءَ بِهِ السَّامِعُ

الجزء الثاني

كتاب قواعد العقائد ، كتاب أسرار الطهارة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

١٧٦ كتاب قواعد العقائد / الفصل الثالث

﴿١﴾ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر ، وحل قوله ﴿٢﴾ : « الحجر الأسود بين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال ، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتسكن لزم منه كون

(و) كذا (حل قوله ﴿١﴾) : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (رواه مسلم في صحيحه وفيه أيضاً : أن قلب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبضها بقلب واحد يصرفه كيف شاء (على القدرة والقهر) مجاز بملائة أن اليد في الشاهد على المظهر سلطان القدرة والقهر لحسن إطلاق اليد وإرادة القدرة والقهر قصداً للمبالغة إذا المجاز أبغ ، (وكذا حل قوله ﴿٢﴾) : « الحجر الأسود بين الله في أرضه » أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام بلفظه . وروى ابن ماجه نحوه من مناه من حديث أبي هريرة رفعه بلفظه : (من فافوض الحجر الأسود فإنما يفاوض به الرحمن) . (على التشريف والإكرام) والمعنى أنه وضع في الأرض للتقريب والاستسلام تشريفاً له كما شرفت البعير وأكرمت بوضعها للتقريب دون البسار في العادة فاستعمل لفظ البعير للحجر لذلك أو لأن من قبله أو استلمه ، فقد فعل ما يقتضي الإقبال عليه والرضا عنه وبما لازم من عادة لتقريب البعير . والحاصل أن لفظ البعير استعمل للحجر المستعجب أم لأحدهما ، ثم أضيف إضافة تشريف وإكرام ، (لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال ، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتسكن لزم منه) المحال ، ويتأمل بعض الآيات والأخبار دون بعض على حكم التمني والتشبه ليس في الشرط ، والمقصود من هذه المعارضة أنه يعرف أن الخصم يضطر إلى التأويل ، فلتكن التأويلات على وفق الأصول فإن قيل : فهذا يشعر بكونه مغلوباً مقهوراً قبل الاستواء . قيل : إنما يشعر بما قلتم أن لو كان العرش وجود قبل الخلق وكان قديماً والعرش مخلوق وكل ما خلقه حصل مسخراً تحت خلقه فلو لا خلقه إياه لا حدث ، ولو لا إيقاظه إياه لما بقي ونحن على العرش لأنه أعظم المخلوقات فيها نقل إليها وإذا نص على الأعظم فقد ابرز فضته ما دونه .

قال ابن القشيري : ولو أشعر ما قلنا توهم خلقه لأشعر قوله : ﴿ومر القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام : ١٨] بذلك أيضاً حتى يقال : كان مقهوراً قبل خلق العباد . هيئات إذ لم يكن للمباد وجود قبل خلقه إياهم ، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجفلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتعير وهو حاج سابق على وقت الاستواء . فإن الباري تعالى كان موجوداً قبل العرش ، ومن أنصف علم أن قول من يقول : العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول : الرب بالعرش استوى فالرب إذاً موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والمعلومة منزّه عن الكون في المكان وعن المتأداة ، ثم قال : وقد نغث ثابغة من الزجاج لولا استزلالهم للعوام بما يقرب من أفعالهم ويصور في أوهامهم لأجلت هذا المكتوب عن تلطيطه يذكروهم . يقولون : نحن تأخذ بالظواهر ونجزي الآيات الموحدة تشبيهاً والأخبار المقتضية حداً ومعبداً على الظاهر ، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك . ويتمسكون بقول الله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران :

كتاب قواعد العقائد / الفصل الثالث ١٧٧

المتصنح جسماً محاساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال.

[٧] وهؤلاء، والذي أودعنا بيده أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وحدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار طاهرة يتجنبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدين والنعوم من طريق يفر به المستضعفون، فأوجوا إلى أوليائهم بيده البع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والالتكساء والاستلقاء والاستواء بالسلطات والقرود في الجهات، فمن استنى إلى ظاهرهم يبادر بوجهه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فقال به السبل وهو لا يدري أحد.

ثم ذكر المصنف المحال الذي يلزم من تفسير الاستواء بالاستقرار والتمسك فقال: هو (كون المتصنح جسماً محاساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال وما يؤدي إلى المحال محال). وتحقيقه أنه تعالى لو استقر على مكان أو حاذى مكاناً لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه، فإن كان مثل المكان فهو إذا تشكل بأشكال المكان حتى إذا كان المكان مربعاً كان هو مربعاً أو كان مثلثاً كان هو مثلثاً وذلك محال، وإن كان أكبر من المكان فبعينه على المكان ويشعر ذلك بأنه متجزئ. وله كل ينطوي على بعض وكان بحيث ينسب إليه المكان بأنه ربه أو خسه وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان إلا بتحديد، وتنطوي إليه المساحة والتقدير، وكل ما يؤدي إلى جواز التقدير على الباري تعالى فتجوزة في حقه كفر من معتقده، وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل إلا بكون وقبح وصف الباري بالكون، ومتى جاز عليه موازاة مكان أو محاسنه جاز عليه مباينته، ومن جاز عليه المباينة والمماس لم يكن إلا حادثاً، وهل علمنا حدوث العالم إلا بجواز المماس والمباينة على أجزائه؟ وقصارى الجهلة قولهم كيف يتصور موجود لا في محل، وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يعرف غورها وقعرها إلا كل غواص على بحار الحقائق وهيئات، طلب الكيفية حيث يستحيل محال، والذي يدحض شبههم أن يقال لم قبل أن يخلق العالم أو المكان، هل كان موجوداً أم لا؟ فمن ضرورة العقل أن يقول: بل يلزمه لو صح قوله لا يعلم موجوداً إلا في مكان أحد أمرين إما أن يقول المكان والعرش والعالم قديم، وإما أن يقول الرب تعالى محدث وهذا مأل الجهلة والخشوية ليس القديم بالمحدث والمحدث بالقديم وتعود بالله من الخيرة في الدين.

قال ابن الهمام في المسابقة: على نحو ما ذكرنا في الاستواء يجري كل ما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية في الشاهد كالأصبع والقدم واليد والعين فيجب الايمان به مصحوباً بالتزويه، فإن كلاً منها صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو سبحانه وتعالى أعلم به، وقد يزول كل من ذلك لأجل صرف فهم العامة عن الجسمية وهو ممكن أن يراد ولا يجرم

أَوْجَزُ الْمَسَائِلِ لِ مُوطَا مَالِكٍ

تأليف
العلامة الشيخ محمد زكريا بن محمد بن يحيى الكاظمي

تحقيق
أ.م.ن. صالح شعبان
مدير مركز تحقيق النصوص

المجلد الرابع

موضوعات الكتاب التالية:
مقالة الخوف - مقالة الكسوف - الامتناع - القبلة - القبور
الجنائز

مستورات
مؤسسة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

أحمد المزني يقول : حديث النزول قد ثبت عنه عليه السلام من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدق به وهو قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رِبِّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، انتهى .

(ينزل رشا) اختلف في ضبطه فقيل : يضم الياء من الإنزال فيكون معدي إلى مفعول محذوف أي ينزل الله ملكًا ، والدليل على صحته رواية النسائي من حديث الآخر عن أبي هريرة وأبي سعيد عروفاً : إن الله عز وجل يهبط حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر متادياً يقول : هل من داع يستجاب له الحديث ، وصححه عبد الحق ، وعلى هذا فلا إشكال في الرواية ، وأما على ما هو مشهور في ضبطه وهو بفتح الياء من النزول فمشكل ، لما فيه من معنى الانتقال ، ويؤيد هذه الرواية ما في مسلم بلفظ « ينزل رشا » بزيادة الشاء ، قال السخاوي : لما ثبت بالغواطم أنه سبحانه وتقدس متر عن الجسسية والتجيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع استقص منه ، انتهى .

فالعلماء على قسمين : الأول : المقروضة ، قال الزرقاني : فالراسخون في العلم يقولون أمثابه كل من عند ربنا على طريق الإجمال مترهين لله تعالى عن الكيفية والتشبيه ، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسيدي والحماصين والليث والأوزاعي وغيرهم ، وقال البيهقي : هو أسلم يدل عليه اتفاقهم على أن التأويل المعين لا يجب ، فحيث الضرب أسلم ، انتهى .

والقسم الثاني : المؤولة ، واختلفوا في تأويله على أنحاء منها قال ابن العربي : إن النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن نزول ملكه الذي ينزل بأمره وبهية فالأول جسي صفة الملك المعنوي بملك أو معنوي بمعنى لم يفعل ثم فعل فسمى ذلك نزولاً من مرتبة إلى مرتبة بمعنى أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ، وحكى عن مالك - رضي الله عنه - أنه أوله ينزل رحمة وأمره أو ملائكته كما يقال فعل الملك كذا أي أمر أنساه بأمره ، وقال ابن عبد البر : قال قوم ينزل رحمة وأمره وليس بشيء ، لأن أمره بما يشاء من رحمة ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقف ثلث الليل ولا غيرهم ، ولو صح ذلك عن مالك لكان معناه أن الأغلب في الاستجابة ذلك الوقت .

وقال الباجي : إخبار عن إجابة الدعاء في ذلك الوقت وإعطاء السائلين ما سألوه وتبنيه على فضيلة الوقت كما روي بقول الله تعالى : « إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ »

فَرَأَى [الْحَدِيثَ] ، لَمْ يَرِدِ التَّقَرُّبُ فِي الْمَسَافَةِ إِذَا أَرَادَ التَّقَرُّبُ بِالْعَمَلِ مِنَ الْعَبْدِ وَالتَّقَرُّبُ بِالْإِجَانَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْعَتِيَّةِ : سَأَلَتْ مَالِكًا عَنْ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ فِي جَنَازَةِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الْعَرْشِ ، فَقَالَ : لَا يَتَحَدَّثُ بِهِ وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ ، وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ ، وَحَدِيثُ إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، وَحَدِيثُ السَّاقِ ، قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ يَقُولُ اللَّهُ أَنْ يَحْدِثَ بِمِثْلِ هَذَا ، قَبْلَ فَالْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ «إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ صَلَّحَكَ» فَلَمْ يَرَهُ مِنْ هَذَا وَأَجَازَهُ ، وَقَالَ : وَحَدِيثُ التَّوَلُّدِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا أَنَّ حَدِيثَ التَّوَلُّدِ وَالضَّحْكُ أَحَادِيثُ مُصَحَّاحٌ لَمْ يَطْعَمَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا وَحَدِيثُ اهْتِزَازِ الْعَرْشِ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِنْكَارُ لَهُ وَالْمُخَالَفَةُ فِيهِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَحَدِيثُ الصُّورَةِ وَالسَّاقِ لَيْسَتْ أَسَانِيدُهُمَا تَبْلُغُ فِي الصَّحَّةِ دَرَجَةَ حَدِيثِ التَّوَلُّدِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي حَدِيثِ التَّوَلُّدِ أَقْرَبُ وَأَبْيَنُ وَالغَرَرُ بِسُوءِ التَّأْوِيلِ فِيهِمَا أَبْعَدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، انْتَهَى .

(تَبَارَكَ وَتَعَالَى) جَعَلْتَانِ مَعْرِضَتَانِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَظَرْفِهِ وَهُوَ كُلُّ لَيْلَةٍ فِي وَقْتٍ خَاصٍّ كَمَا سَيَأْتِي (إِلَى السَّمَاءِ الْفَنِيَا) قِيلَ عِبَارَةً عَنْ الْحَالَةِ الْقَرِيبَةِ إِلَيْنَا وَالدُّنْيَا بِمَعْنَى الْفَرَسِ . وَقِيلَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَقْتَضَى صِفَاتِ الْجَلَالِ الَّتِي تَقْتَضِي الْأَنْفَاقَ مِنَ الْأَرَاذِلِ وَقَهْرُ الْأَعْدَاءِ وَالْإِنْتِقَامُ مِنَ الْعَصَاةِ إِلَى مَقْتَضَى صِفَاتِ الْجَمِيلِ وَالْإِكْرَامِ لِلرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ (حِينَ يَسْقَى ثَلَاثَ) بِضَمِّ لَامٍ وَسُكُونِ اللَّيْلِ (بِالْجُرْ) الْآخَرِ (بِالرَّفْعِ) صِفَةً ثَلَاثَ وَالتَّخْصِصُ بِاللَّيْلِ ، وَالثَّلَاثُ الْآخَرُ لِأَنَّهُ وَقْتُ سَكُونِهِ ، وَوَقْتُ التَّهَجُّدِ وَغَفْلَةِ النَّاسِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِفِتْحَاتِ رَحْمَةِ تَعَالَى ، فَتَكُونُ التَّيَّةُ خَالِصَةً ، وَالرَّغْبَةُ وَافِئَةً ، وَلَمْ تَخْتَلِفِ الرِّوَايَاتُ عَنِ الزَّهْرِيِّ فِي تَعْيِينِ الْوَقْتِ ، وَاخْتَلَفَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي ذَلِكَ ، وَجُمْلَةُ مَا رَوَى عَنْهُ خَمْسُ رَوَايَاتٍ :

إِحْدَاهَا : الْمَذْكُورَةُ ، وَهِيَ رِوَايَةُ مَالِكٍ بَيْنَ أَنَسٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ وَشُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ وَمُعَمَّرِ بْنِ رَاشِدٍ وَبُؤْسِ بْنِ يَزِيدٍ وَمَعَاذِ بْنِ يَحْيَى وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ ابْنِ سَمْعَانَ وَصَالِحَ بْنِ الْأَخْضَرِ كُلُّهُمْ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، وَهَكَذَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سُلَيْمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ الْعَبْنِيُّ .

وَالثَّانِيَةُ : رِوَايَةُ أَبِي سُلَيْمَةَ وَغَيْرِهِ عَنْهُ بِلَفْظِ حِينَ يَمْضِي ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأُولَى .

الْصِّقَّةُ

فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ زَيْدٍ

الامام الحجة أبي الحسن آق الدين علي بن عبد الكافي

السبكي الكبير المتوفى سنة ٧٥٦

برد به على نونية ابن القيم

وسمى تكملة الرد على نونية ابن القيم

﴿ بقلم ﴾

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

عن صها

تقديم لجنة

من علماء الأزهر

مكتبة مهران

١٥ شارع الشيخ محمد عبده

خلف جامع الأزهر ت ٩٨٨٧ ٥١



كعه ويحييه تطوي السماء ويتزل^{١١} في الدجى في الثلث الأخير والثلث الثاني وأن له نزولا^{١٢} ثانيا يوم القيامة للقضاء وأنه يبلو جبهة لعباده حتى يرويه ويسمعون كلامه وأن له قدما^{١٣} وأنه واضعها على التيران وأن الناس كل منهم فاعل إذا هذا وهم قد فعلوا بي ما ترويه ؟ ويعلمون هذا بما فعله عمرو من توجيهه الرمي إلى السماء ليقتل إله إبراهيم عليه السلام فاهبط أن سهمه أصاب ساق الله فبغت صريخة من أثر الجرح في ذلك اليوم . فهل رأى القارئ كغرا أشنع من هذا وأبعد من حيلة الرب سبحانه وتغديره حتى قدره وأدل على ذهاب العقول ؟ قائلهم الله .

(١) قال ابن حزم في الفصل : إن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمقارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصيح ضرورة أنه فعل بفعله ربا في ذلك الوقت لأهل كل أمة وأما جعل ذلك ثلثة فقد قدمنا بطلان قوله في إبطال القول بالنجيم الخ وفي بعض طرق الحديث ما يعين أنه إساءة محض ، ففي سنن البصائي (١) أن اللسة بأمر سلكا بنادي ... وفي شرحي البحر المعين وابن حجر على البخاري بسط واف في المسألة .

(٢) ولفظ التنزيل ﴿ وجاء ربك ﴾ (الفجر : ٦٦) قال أحمد : أمره . وقد بينه في قوله تعالى ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾ (النحل : ٣٣) رواه ابن حزم وأبو يعلى وابن الجوزي . قال الخلال في السنة بسنده إلى جليل عن عمه الإمام أحمد أنه سئل عن أحاديث النزول والرواية ووضع القدم ونحوها فقال : (تؤمن بها وتصدق بها ولا كيف ولا معنى) .

(٣) وضع القدم مجاز مشهور عن التسكرين وعن الردع والقمع . راجع أساس البلاغة والفاخر ودفع شبه التشبيه وأساس التقليد . والأخيران مهسان جدا في الرد على المشوية . وهما عظيموعان يسهل تناولهما فليهما لجنة عن التوسع بأكثر مما ذكر .

رُؤُوسُ عَجَلَى الرُّبَاطِيَّةِ وَرَسَائِلُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْحَامِدِ

القسم الثاني

تأليف الفقيه السيد تقي
الشيخ محمد محمد الحامد
مدرس ومفتي جامع السلطنة بمكة
ومدرس السكينة بمكة المكرمة

حققه وراجعته
خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

منشورات المكتبة العصرية
حيد - بيروت

لعمري لقد أدركت منهم مشاجراً وأكثر من أدركته ما له عقل
وما زلت أجلو عنهم كل خلق من الاعتقاد الرذل يجمع الشمل
إلى آخرها فانظرها فيه واطالع الكتاب فإنه شريف
نفيس .

وصفوه القول أن المتشابهات لا تؤخذ بطواهرها ،
وللعلماء فيها مسلكان فالسلف منهم يؤولونها تأويلاً إجمالياً
بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته
ولم يعينوا ذلك المعنى بل فوضوه إلى الله تعالى وتبارك .
والخلف يؤولونها تفصيلاً بتعيين معانيها بما تفهمه لغة العرب
ويصرفونها عن ظاهرها أيضاً كالسلف .

ومذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم ولا يصار إلى مذهب
الخلف إلا عند الخوف من ترلزل العقيدة وخشية التشبيه .
ومن المتشابه الحروف المقطعة أوائل السور . ومذهب
السلف فيها ترك الخوض فيها ورد علم معانيها إلى الله
تعالى وهذا هو الذي عليه الجماهير من العلماء .

وهناك مذهب فيها له اعتبار علمي أيضاً وهو أن
المقصود من افتتاح السور بها هو التحدي للعرب بأن يأتوا
إن استطاعوا بكتاب كالقرآن الكريم فإنه كما ترون
مركبة كلماته من حروف اللغة العربية التي تتكلمون بها

وإن مذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم. ومذهب الخلف لا يصار إليه إلا عند الاضطرار لدرء خطر التشبيه أو ضرر التعطيل. وكل من هذين زيغ وضلال وخروج عن سواء الصراط وارتكاس في حمأة الشر والفساد، ولا سوء يعدل السوء في العفيدة والخطب فيها والعياذ بالله تعالى وتبارك.

الله سبحانه وتعالى منزّه عن الحركة والسكون والصعود والهبوط والتقدم والتأخر لأن هذا كله يتصف به المخلوق والله ليس بمخلوق ﴿إِن رَّبِّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.

والنزول إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل يجري فيه المذهبان للسلف والخلف. فالأولون يقولون آمنّا به كما يلقى بالله ولا هبوط ولا صعود ولا حركة ولا سكون والله أعلم بالمراد منه. والخلف يقولون هو إقبال على الخلق باستجابة الدعاء وإنزال الرحمة وقبول التائبين ورزق المسترزقين والمفقرة للمستغفرين. وبعض كبار العلماء يقول إنّ الذي ينزل هو ملك ينزل بأمر الله عز وجل وينادي بما يأمر ربه عزّ وعلا.

وقوله تعالى ﴿أَأْمَتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ أي من في السماء ملكوته وملائكته ومنها تنزل أوامره ونواهيّه وقضايه

كِتَابُ التَّهْجِيدِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ

لِلأَشَقَّةِ الْأَسْلَمِ
ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا وَالبُخَارِيِّ وَأَبْنِ حَبْرٍ
رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

إِعْدَادُ
السَّيِّحِ عَلِيِّ أَحْمَدَ عَبْدِ الْعَالِ الطَّهْرَاوِيِّ
رَئِيسِ جَمْعِيَّةِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ

مَشْقُوقَاتُ مَكَّةَ وَتَحْلِيلَاتُ بَيْرُوتَ
دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ

الحديث

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ
وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ
يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ.

الشرح

قوله: (عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأعرج عن أبي هُريرة) في رواية عبد
الرزاق، عن معمر، عن الزهري، " أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو عبد الله
الأعرج صاحب أبي هُريرة، أن أبا هُريرة أخبرهما".

قوله: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) استدل به من أئمت المجهة وقال: هي جهة
العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يغضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك.
وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره
وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم.

ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك حملة وهم المخارج
والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما
في الحديث إما جهلا وإما عنادا.

ومنهم من أخرجه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال معربا الله تعالى
عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي، وغيره عن الأئمة الأربعة
والسفياين والحمداني والأوزاعي والليث وغيرهم.

ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب.

ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف،
ومنهم من فصل بين ما يكونه تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما
يكون بعيدا مهجورا فأول في بعض وفوض في بعض، وهو مقول عن مالك
وحزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَأَسْلَمَهَا الْإِيمَانُ بِمَا كَيْفَ وَالسُّكُوتُ عَنِ الْمِرَادِ إِلَّا أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ عَنِ الصَّادِقِ فَيُصَارَ إِلَيْهِ، وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ اتِّعَاقُهُمْ عَلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ الْمَعِينُ غَيْرُ وَاجِبٍ فَحِينَئِذٍ التَّفْوِيزُ أَسْلَمَ.

وَسَيَأْتِي مَزِيدٌ بَسْطٌ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: حَكَى عَنِ الْمُشَدِّعَةِ رَدَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَعَنِ السَّلَفِ إِمْرَارَهَا، وَعَنِ قَوْمٍ تَأْوِيلُهَا وَبِهِ أَقُولُ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ يَنْزِلُ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى أَعْمَالِهِ لَا إِلَى ذَاتِهِ، بَلْ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ مَلَكِهِ الَّذِي يَنْزِلُ بِأَمْرِهِ وَهَيْبِهِ، وَالنُّزُولُ كَمَا يَكُونُ فِي الْأَجْسَامِ يَكُونُ فِي الْعَالَمِ، فَإِنَّ حَمَلَهُ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْحَسِيِّ فَتِلْكَ صِفَةُ الْمَلَكِ الْمَعْبُوثِ بِذَلِكَ، وَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمَعْنَوِيِّ مَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ فَعَلَ فَيَسْمَى ذَلِكَ نَزُولًا عَنْ مَرْتَبَةٍ إِلَى مَرْتَبَةٍ، فَهِيَ غَرِيبَةٌ صَحِيحَةٌ انْتَهَى.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ تَأْوِيلُهُ بِوَجْهَيْنِ: إِمَّا بِأَنَّ الْمَعْنَى يَنْزِلُ أَمْرُهُ أَوْ الْمَلَكُ بِأَمْرِهِ، وَإِمَّا بِأَنَّهُ اسْتِعَارَةٌ لِمَعْنَى التَّلَطُّفِ بِالْمَدَامِ وَالْإِجَابَةِ لَهُمْ وَخَوٍّ.

وَقَدْ حَكَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ هَوْرَكٍ أَنَّ بَعْضَ الْمُشَافِعِ حَسَطَهُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى حَدَثِ الْمَفْعُولِ أَيَّ يَنْزِلُ مَلَكًا، وَيَقْوِيهِ مَا رَوَاهُ السَّائِي: مِنْ طَرِيقِ الْأَغْرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ، بِلَفْظٍ: "إِنَّ اللَّهَ يَجْهَلُ حَتَّى يَمْطِي شَطْرَ اللَّيْلِ، ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِيًا يَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيَسْتَجَابُ لَهُ" الْحَدِيثُ.

وَفِي حَدِيثِ عُمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ "يُنَادِي مُنَادٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ يَسْتَجَابُ لَهُ" الْحَدِيثُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا يَرْتَمِعُ الْإِشْكَالُ، وَلَا يُمْكِرُ عَلَيْهِ مَا فِي رِوَايَةِ رِفَاعَةَ الْجَهْمِيِّ "يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يَقُولُ: لَا يَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي" لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْفَعُ التَّأْوِيلَ الْمَذْكُورَ.

وَقَالَ الْبَيْضاوِيُّ: وَمَا تَمَّتْ بِالْقَوَاطِعِ أَنَّهُ مَبْحَاثُهُ مَرْوَعٌ مِنَ الْحَسْبَةِ وَالتَّجَرُّبِ امْتَنَعَ عَلَيْهِ النَّزُولُ عَلَى مَعْنَى الْإِسْقَالِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحْطَضَ مِنْهُ، فَالْمِرَادُ تَوَرُّ

سَبِيلُ الرَّشَادِ

فِي حَجَجِ

أَهْلِ الْحَقِّ وَالسَّادَاتِ

جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ

صَبَّاحِي عَلِيَّوِي حَمْدَانِ عَلِيَّوِي

رَاجِعُهُ وَقَدَّمَ لَهُ

الْشَيْخُ مُحَمَّدٌ عَادِلٌ عَزِيزَةُ الْكِبَالِي

دُكْتُورَاهُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ (جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ)

قَرَأَهُ وَدَقَّقَهُ

الْشَيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَطُورَةُ

مَاجِسْتِيرٌ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَعِلْمِهِ



من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له»
وفي رواية أخرى أضاف: «فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر» صحيح
مسلم واللفظ له وصحيح البخاري وموطأ مالك ورواه أصحاب السنن:
أبو داود والترمذي والدارمي.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: هذا الحديث من
أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب
الإيمان ومختصرهما أن:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: أنه يؤمن
بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد
ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن
الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو يحكي هنا
عن مالك والأوزاعي: أنها تناول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى
هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين:

أحدهما: تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره: معناه تنزل رحته وأمره
وملائكته. كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره.

والثاني: على الاستعارة ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة
واللطف (شرح النووي على صحيح مسلم).

آيَاتُ الصِّفَاتِ

وَمَنْهَجُ ابْنِ جَبْرِ الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِ مَعَانِيهَا

مُقَامَرَةً بِأَمْرٍ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ

تَأَلَّفَ

الدُّكْتُورُ حُسَّامُ بْنُ حَسَنِ صَرْصُورٍ

وَفِي آخِرِ الْكِتَابِ

رِسَالَةُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ الطَّبْرِيِّ فِي الْعَقِيدَةِ

صَرِيحِ السُّنَّةِ

مُسْتَشَوْرَاتُ
مُحَمَّدِ رَحِيمِيِّ بْنِ مُوسَى
لِإِثْرِ مَكْتَبِ السُّنَّةِ وَالْإِسْلَامِ
دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ
بِكَلْبُوت - بَغْدَادُ

ويبدو أن ابن خزيمة وإن كان من العلماء إلا إنه ليس من أهل العلم في العقائد كما يظهر ذلك من تراجمه عما قاله كما ذكر ذلك الإمام البيهقي.

وكتاب الخلال، والرد على بشر الحريسي للدارمي وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكتب ابن تيمية وابن القيم والأسماء والصفات للبيهقي وغير ذلك من الكتب التي جمعت هذه الألفاظ حتى صار القارئ يرسم صورة مشوهة لله تعالى عن ذلك !

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد أكثر مثارها من الآي المتشابهة قدما ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل وزيادة إلى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولتبيين لك تفصيل هذا المحمل: وذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في أي كثيرة وهي أسلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الإيمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه، وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن أي أخرى قليلة توهم التنبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرفوا لمعناها يبحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم: اقرووها كما جاءت أي آمنوا بأنها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان له، وشذ لمصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه ففريق أشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة لأن معقولة الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة أولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا عنها غبة وجمع بين الدليلين بتأويلهم ثم يبررون من شاعة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام وليس ذلك يدافع عنهم لأنه قول متناقض وجمع بين نقي وإنات إن كان بالمعقولة واحدة من الجسم وإن خالفوا بينهما ونفوا المعقولة المتناقضة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق إلا جعلهم لفظ الجسم اسماً من أسمائه وترقب مثله على الأذن وفريق منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة والامتواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك أولى قولهم إلى التجسيم فتزعموا مثل الأولين إلى قولهم: صوت لا كالأصوات، جهة لا كالجهات، نزول لا كالنزول يمتنون من الأجسام وتدفع ذلك بما اندفع به الأول، ولم يبق في هذه الظاهر إلا اعتقادات السلف ومذاهبهم والإيمان بها كما هي لثلا بكر النقي على معانيها ينبغي مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا ننظر ما تراء في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ ابن عبد البر وغيرهم فإنهم يحرمون على هذا المعنى ولا تغمض عينيك عن القرائن الدالة على ذلك في غشون كلامهم»^(١).

(١) مقدمة ابن خلدون (ص/ ١٦٣-١٦٤) العبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار الفلم، بيروت، ١٩٨١، ص ٥٢.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّمِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ

تأليف
أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَزَّالِيِّ

تَصْحِيحٌ وَتَقْلِيْقٌ وَتَقْدِيمٌ
مُحَمَّدُ الْمُقَدِّمُ بْنُ عَبْدِ الْبَقْدَادِيِّ

الناشر
دار الكتاب العربي

الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في أجسام مؤلفة مولدة مرتبة ترتيباً مخصوصاً مثل الأنف والعين والقدم والخذ التي هي أجسام وهي لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم ولا هو ترتيب في أجسام كقولك عرف صورته وما يجري مجراه فليتحقق كل مؤمن أن الصورة في حق الله لم تطلق لإرادة المعنى الأول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من أنف وطم وخد فإن جميع ذلك أجسام وهيئات في أجسام وخالق الأجسام والهيئات كلها منزّه عن مشابقتها وصفاتها وإذا علم هذا يقيناً فهو مؤمن فإن خطر له أنه إن لم يرد هذا المعنى فما الذي أرادته فينبغي أن يعلم أن ذلك لم يؤمر به بل أمر بأن لا يخوض فيه فإنه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي أن يعتقد أنه أريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض ، في جسم .

مثال آخر : إذا قرع سمعه النزول في قوله ﷺ : « ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا »^(١) قالوا يجب عليه أن يعلم أن النزول اسم مشترك قد يطلق إطلاقاً يقتصر فيه إلى ثلاثة أجسام جسم عال هو مكان لساكنه وجسم سافل كذلك وجسم متقل من السافل إلى العالي ومن العالي إلى السافل فإن كان من أسفل إلى علو سمي صعوداً وعروجاً ووقياً ، وإن كان من علو إلى أسفل سمي نزولاً وهبوطاً وقد يطلق على معنى آخر ولا يقتصر فيه إلى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال الله تعالى : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾^(٢) وما روى البعير والبقر نازلاً من السماء بالانتقال بل هي مخلوقة في الأرحام ولأنزلها معنى لا محالة كما قال الشافعي^(٣) رضي الله عنه : دخلت مصر فلم

(١) حديث النزول : أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفري فأغفر له ، وفي الرواية الثانية « ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفري فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر » .. وهناك روايات أخرى .

(٢) سورة الزمر آية ٦ وقد أخرج الحديث أيضاً مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه وأحمد في مسنده ، بإلفاظ أخرى . وقد أخرج الحديث أيضاً مالك في الموطأ والبخاري في صحيحه وأحمد في مسنده .

(٣) الشافعي : هو الإمام الكبير محمد بن إدريس الشافعي المصطفي أحد الأئمة الأربعة ولد بقرية في

يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت فلم يرد به انتقال جسده إلى أسفل فتحقق المؤمن قطعاً أن النزول في حق الله تعالى ليس بالمعنى الأول وهو انتقال شخص وجسد من علو إلى أسفل فإن الشخص والجسد أجسام والرب جل جلاله ليس بجسم فإن خطر له أنه لم يرد هذا فيما الذي أراد فيقال له أنت إذا عجزت عن فهم نزول البعير من السماء فأنت عن فهم نزول الله تعالى أعجز فليس هذا بعشك فادرجي^(١) واشتغل بعبادتك أو خربتك واسكت واعلم أنه أريد به معنى من المعاني التي يجوز أنه يراد بالنزول في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وإن كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته .

مثال آخر : إذا سمع لفظ الفوق في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الظَّاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾^(٢) وفي قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾^(٣) فليعلم أن الفوق

فلسطين سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م وحمل إلى مكة وهو ابن ستين فشأ بها وعمدته الرسول ﷺ ، وقدم بغداد مرتين وحدث بها ، وخرج إلى مصر فتوفيها إلى حين وفاته سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م في آخر يوم من رجب . قرأ الموطأ على مالك وحفظه ثم رواه عنه . ودرس فيه العراقيين . وقرأ كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمه الله ، وقرأ عليه وروى عنه . فاجتمع له علم أهل الحديث وعلم أهل الرأي . ويعتبر بحق أول من ألف ودون في علم أصول الفقه . عنه كتاب الرسالة ورسائل أخرى من تصانيفه الكثيرة كتاب الأم ، والرسالة ، وجامع العلم ، وأحكام القرآن ، والمسد ، واختلاف الحديث الخ . . . راجع : معجم المؤلفين ج ٩ - ص ٣٢ ، سير النبلاء للذهبي ٧ : ١٤٧ غيون التواريخ لابن شاكر الكشي ٣ : ٢٢٩ - ٢/٢٣٣ مناقب الإمام الشافعي للرازي - فخر الدين .

تاريخ بغداد ٢ : ٥٦ - ٧٣ الفهرست لابن النديم ١ : ٢٠٩ - وفیات الأعيان لابن خلكان ١ : ٥٦٥ - ٥٦٨ .


باقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٢٨١ - ٣٢٧ أبو نعيم الحلي ٩ : ٦٣ الواقى بالوفيات للصقدي ط ١ ط ٢ - ١٨١ .

اليافعي مرآة الجنان ٢ : ١٣ - ٢٨ طبقات الشافعية للسكي ، محمد أبو زهرة : الشافعي عند الخليل الجندي : الشافعي - هدية العارفين للبغدادي ٢ : ٩ . . . الخ .

(١) ليس هذا بعشك فادرجي أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق قدعيه . وقبح مشي ومطى . ويضرب هذا المثل لمن يرفع نفسه فوق قدره ولم يتعرض إلى شيء ليس منه وللمسلمين في غير وقته . فيؤمر بالجد والحركة . راجع : معجم الأمثال للمبدئي ١٨١/٢ - وفرائد الألال للشيخ إبراهيم الأحمدي ١٥١/٢ .

(٢) الأنعام ١٨ و ٦١

(٣) النحل ٥٠ .



فائدة مهمة في بيان تاويل
المجيء الوارد في قوله تعالى
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

فائدة مهمة :

تفسير قوله تعالى

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾

يوم القيامة ينزل ملائكةٌ يُحيطون بالإنس والجن هم يكونون ضمن سبعة صفوف، الملائكة يكونون في سبعة صفوف في وقت من الأوقات الكافر يُنكر أنه كان يعبد غير الله. فإن قيل: فقد قال تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوُونَ ﴾ (المطففين: ١٥) وقال: ﴿ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٨) وقال: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٧٤) وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار. قلنا: القيامة مواطن، فمواطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فلا تتناقض الآي والأخبار، والله المستعان.

قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى: ﴿ قَوْلَ رَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾ (الحجر: ٩٢ - ٩٣).

قال أهل التأويل: عن لا إله إلا الله. وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر دثارهم وشعارهم، وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها، فإنهم ييكتون عليها ويسألون عنها:

عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَنْفَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ وَلِيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (العنكبوت: ١٢ - ١٣) والآي في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آخر سورة المؤمنين ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ (المؤمنون: ١٠١) إلى آخرها تبين له الصواب في ذلك، والحمد لله على ذلك. ففي موقف من مواقف القيامة الله يَحْمِلُ على فم الكافر فتَنطِقُ أعضاؤه، تشهدُ عليه أعضاؤه بما كان يَعْمَلُ من الكفر، هذا من العجائب التي يُظهرها الله يومَ القيامة كذلك الأرض التي كان عملُ عليها الإنسانُ شرًّا أو خيرًا، الله يُنطقُها، هذا الجزء من الأرض يشهدُ عليه بما فَعَلَ من السيئات ويشهدُ للمؤمن بما فَعَلَ من الخيرات. الذهبُ الذي كان الشخصُ لا يُزَكِّيهِ بِكَوْنِهِ جَرًّا يُعِيدُهُ الله فيَحْمِي في نارِ جَهَنَّمَ يسير مثل الجمر ثم يَكْوِي به جنب وجبهة وظهر الذي كان لا يُزَكِّيهِ. ويُعيدُ الله البقرَ الذي كان لا يُزَكِّيهِ الشَّخْصُ فتَنطَحُه بقرؤها وكذلك الإبل تدوس بخفافها الشخص الذي كان لا يُزَكِّيها وكذلك في ذلك اليوم تَظْهَرُ عجائبُ أخرى. هذه العجائب الله قالَ عنها: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

وجاءَ رَبُّكَ معناه تلك العجائب التي تَظْهَرُ يومَ القيامة. ثمَّ الملائكةُ يَجْرُونَ جُزْءًا من جَهَنَّمَ كبيرًا سبعون ألفَ ملكٍ بسبعين ألفَ سلسلة

يَجْرُونَهَا إِلَى حَيْثُ يَرَاهَا الْكُفَّارُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا جَهَنَّمَ. وَلَوْ كَانَ يَوْجَدُ
مَوْتُ هُنَاكَ لَمَاتَ الْكُفَّارُ مِنْ شِدَّةِ هَوْلِ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ لَكِنْ هُنَاكَ فِي الْآخِرَةِ
لَا يَوْجَدُ مَوْتُ. فِي الدُّنْيَا مَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَلَمُ قَدْ يَمُوتُ أَمَّا فِي الْآخِرَةِ
لَا يَمُوتُ. أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾، وَجَاءَ رَبُّكَ أَيِ
ظَهَرَتْ عَجَائِبُ قُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَقُولُونَ جَاءَ اللَّهُ مِنْ فَوْقَ إِلَى تَحْتِ لَا، هَذَا
كَفَرُ. الْوَهَابِيَّةُ يَقُولُونَ اللَّهُ يَأْتِي مِنْ فَوْقَ إِلَى الْأَرْضِ الْمَبْدَلَةِ لِيُحَاسِبَ
الْخَلْقَ جَعَلُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَالْمَلِكِ الَّذِي يُقَابِلُ الرِّعِيَّةَ. اللَّهُ لِلْحَجَمِ
لَيْسَ اللَّهُ، الَّذِي يُظَنُّ أَنَّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْقَرِيبَ مِنْهُ
بِالْمَسَافَةِ هَذَا مَا عَرَفَ اللَّهُ. الْوَهَابِيَّةُ يُفَسِّرُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى الظَّاهِرِ
وَهَذَا لَا يَجُوزُ، الَّذِي يُفَسِّرُ كُلَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى الظَّاهِرِ يَكْفُرُ كَمَا
قَالَ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ الرَّفَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَوْنُوا عَقَائِدَكُمْ مِنَ التَّمَسُّكِ
بِظَوَاهِرِ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَغَنَ ذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْكُفْرِ. اهـ
أَيِ أَوْقَعَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي الْكُفْرِ. كَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ الْمُؤْمِنُونَ
بَعْدَ أَنْ يَسْتَقَرُّوا فِي الْجَنَّةِ يَرَوْنَ اللَّهَ، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَقَرٌّ فِي الْجَنَّةِ،
وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ذَاتًا قَرِيبًا مِنْهُمْ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ ذَاتًا بَعِيدًا
عَنْهُمْ، يَرَوْنَهُ بِلَا كَيْفٍ وَلَا جِهَةٍ لَا يَرَوْنَهُ هَكَذَا إِلَى فَوْقَ ثُمَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَمَّا
يَرَوْنَ اللَّهَ بَعْدَ جِئِ اسْتِقْرَارِهِمْ فِي الْجَنَّةِ لَا يَشْكُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا تَنْهَمُ رَأَوْا شَيْئًا لَا
مِثْلَ لَهُ لِذَلِكَ لَا يَشْكُونَ أَنَّ اللَّهَ. اهـ

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يُجَوِّزُ التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ مُوَافِقٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ
وَلُغَةِ الْعَرَبِ لِذَلِكَ أَوَّلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلِكُ صَفَا صَفَا. قَالَ:

«جاء أمره»، وفي رواية: «جاءت قدرته»، معناه الله يُظهر يوم القيامة أهوالاً عظيمة، هي آثار قدرة الله، ولو كان الإمام أحمد مجسماً كأدعياء السلفية في هذا الزمان لما أوّل الآية وكان أخذ بظاهرها. أمّا المجسمة أدعياء السلفية فيقولون: «التأويل تعطيل» اهـ

والتعطيل هو نفي وجود الله تعالى أو صفاته فيكونون بذلك حكموا على أحمد بالكفر لأنهم جعلوه معطلاً، فكيف بعد ذلك يدعون الانتساب إليه.

أحمد بن حنبل ينزه الله عن أن يكون متصوراً، فقد ثبت عنه أنه قال: «مهما تصوّرت ببالك فالله بخلاف ذلك»، رواه أبو الحسن التميمي الحنبلي في كتابه المسمى اعتقاد الإمام المجل أحمد بن حنبل، وقوله هذا مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ» رواه أبو القاسم الأنصاري.

الْمُقَاتِلَةُ السِّنِّيَّةُ

فِي كَشْفِ

ضَلَالَاتِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ

تَأَلَّفَ

خَادِمُ عِلْمِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ

الْشَيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْهَرَرِيُّ

الْمَعْرُوفُ بِالْحَبَشِيِّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

دارُ المَشَارِيعِ

المقالة الخامسة

قوله بالانتقال والحركة والنزول في حق الله تعالى

أما قوله بنسبة الحركة في حق الله تعالى فقد ذكر في كتابه المنهاج ما نصه^(١): «فلما نقول إنه يتحرك وتقوم به الحوادث والأعراض فما الدليل على بطلان قولنا؟» اهـ.

وقال في الموافقة ناقلاً كلام الدارمي المجسم ما نصه^(٢): «لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أماره ما بين الحي والميت التحرك، كل حي متحرك لا محالة، وكل ميت غير متحرك لا محالة» اهـ.

وقال فيه أيضاً ما نصه^(٣): «وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين، وذكر حرب الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله ابن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات» اهـ.

أما قوله بالنزول في حق الله تعالى فقد ذكره في كتابه شرح حديث النزول فقال ما نصه^(٤): «لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب

(١) انظر الكتاب (١/٢١٠).

(٢) انظر الكتاب (٢/٢٦).

(٣) انظر الموافقة (٢/١ - ٥).

(٤) شرح حديث النزول (ص/٣٨).

من «أثار ما وُصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما وُصف به بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة» اهـ.

وقال في كتابه المنهاج ما نصه^(١): «ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: لا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن إسحاق بن راهوية، حماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته» اهـ. وقال في كتابه شرح حديث النزول وكتابه الفتاوى ما نصه^(٢): «والثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يخلو العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا من العرش فوقه» اهـ.

وقال في كتابه شرح حديث النزول أيضًا^(٣): «وحيث إذا قال الأئمة كحماد بن زيد وإسحاق بن راهوية وغيرهما من أئمة أهل السنة: لا يخلو منه العرش لم يجز أن يقال: إن ذلك مممتنع» اهـ، ثم نصه^(٤): «وأصل هذا أن قربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوقاته يلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو فوق العرش ويقرب منه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف» اهـ.

فلينظر إلى هذه الأقوال من ابن تيمية وما ذلك منه إلا تمويه، وبالرأي الذي يعجبه إلى أئمة أهل الحديث أو السلف وهم برأى ذلك، ولن يستطيع أن يثبت ذلك عن أحد من أئمة الحديث إلا أن من المجسمة المنتسبة إلى الحديث كأمثال الذي قال: ألزموهم غير اللحية والعورة.

وليعلم أن نفي الحركة والسكون عن الله هو ما أطلق عليه علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية لا يعلم في ذلك خلاف بل هو معنى قول الإمام الحافظ السلفي أبي جعفر الطحاوي في عقيدته: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» أليس من معاني البشر الحركة والسكون والجلوس، أليس تضمن تأويل الإمام أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَأَيْتُكَ﴾ (سورة القجر) «جاءت قدرته» نفي الحركة والسكون عن الله والتحيز في العرش، فلو كان يعتقد المجيء على ظاهره لما أول بل ترك اللفظ على ما هو عليه كما هو معتقد المشبهة، فإن لم تكن الحركة والسكون من معاني البشر فما هي معاني البشر، فإن الله جعل بعض العالم مساكنًا كالسُطُوح السبع والعرش وجعل بعض العالم متحركًا دائمًا وهي النجوم، وجعل بعض العالم متحركًا تارة وساكناً تارة كالملائكة والإنس والجن والدواب، فكيف يصح أن يوصف الخالق بأحدهما، فلو كان متصفًا بأحدهما لكان له أمثال كثير وذلك ينافي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى) فلو فهمت قول السلف في أحاديث الصفات: «أمرها كما جاءت بلا كيف»، فما معنى الكيف إلا نفي صفات الخلق عن الله ومنها الحركة والسكون.

وليس معنى قول السلف: «بلا كيف» إثبات الحركة والسكون والتنقل لله تعالى على ما توهمه بعض ظواهر الآيات والأحاديث.

ويكفي في الرد عليه ما ذكره الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات نقلًا عن الحافظ أبي سليمان الخطابي ما نصه^(١): «وقد زلَّ بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول، ثم أقبل على نفسه فقال: إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلى السماء؟ قيل له: ينزل كيف يشاء، فإن قال: هل يتحرك إذا نزل؟ فقال: إن شاء يتحرك وإن شاء لم يتحرك، وهذا خطأ فاحش عظيم، والله تعالى لا يوصف بالحركة، لأن الحركة والسكون

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤٥١ - ٤٥٥).

المقالة الخامسة

١١٧

يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعالٍ عنهما ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى)، فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش اهـ.

وقال^(١) في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ يَلْتَزِمُكَ الْقَوَاعِدُ﴾ (سورة النحل) ما نصه: «لم يرد به إتياناً من حيث النقطة» اهـ، وقال^(٢) في حديث النزول ما نصه: «إنه ليس حركة ولا ثقل، تعالى الله عن صفات المخلوقين» اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُكُوكُكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ (سورة الفجر) ما نصه^(٣): «والمجيء والنزول صفتان متبعتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال، بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه، جلُّ الله تعالى عما يقول المعطلة لهفاته والتشبيه بها علواً كبيراً» اهـ.

قال القرطبي في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّسْتُيُوتُ بِالْأَسْمَاءِ﴾^(٤) بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصه^(٥): «وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يمهّل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر متاديتاً فيقول هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى»، صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال، وأن الأول من باب حذف الحذف، أي ينزل ملك ريتا فيقول، وقد روى «يُنْزَلُ» يضم الياء وهو بين ما ذكرناه اهـ.

(١) الأسماء والصفات (ص/١٤٩).

(٢) الأسماء والصفات (ص/١٤٩).

(٣) الأسماء والصفات (ص/١٥٦).

(٤) تفسير القرطبي (٤/٣٩).

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه^(١): «استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يُفضي إلى التحيّز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال» اهـ، وأفاض في ذكرهما، ثم قال: «وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً، ويقر به ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما بلفظ: «إن الله يحل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له» الحديث. وفي حديث عثمان بن أبي العاص: «ينادي مناد هل من داع يستجاب له» الحديث، قال الفرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال» اهـ.

قلت: وحديث عثمان بن أبي العاص أخرجه أحمد^(٢) في مسنده بلفظ: «ينادي مناد كل ليلة: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مستغفر فيغفر له، حتى ينفجر الفجر»، وأخرجه الطبراني^(٣) عنه بلفظ: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه»، الحديث، قال الحافظ الهيثمي^(٤) عقبه: «رواه الطبراني ورجال رجال الصحيح».

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري قول البيضاوي ونصه^(٥): «وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيّز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه» اهـ.

(١) فتح الباري (٣/٣٠).

(٢) مسند أحمد (٤/٢٢).

(٣) المعجم الكبير (٩/٥١).

(٤) مجمع الزوائد (١٠/١٥٣).

(٥) فتح الباري (٣/٣١).

المقالة الخامسة

١١٩

وقال البيهقي في مناقب أحمد^(١): «أناأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو ابن السماك قال: حدثنا حنبل بن إسحق قال: سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: احتجوا عليّ يومئذ - يعني يوم توطر في دار أمير المؤمنين - فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم: إنما هو الشواب، قال الله تعالى: ﴿وَبَاءَ رُكُوكُ﴾ (سورة الفجر) إنما يأتي قدرته، وإنما القرءان أمثال ومواظ.

قال البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالاً من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته فإنهم لما زعموا أن القرءان لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجر عليه العجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبّر عن إظهارها إياها بمجيئها. اهـ.

ونقل الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في تفسيره زاد المسير^(٢) عن الإمام أحمد أنه فسر قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يُلَاقَهُمُ الْغَشِيُّكُ أَوْ يَأْتِيَ الْبُشْرُ﴾ (سورة النحل) بمجيء أمره والقرءان يفسر بعضه بعضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَقَادَهُمَا رَبُّهُمَا آتَىٰ أُنْهَكَمَا عَنْ وَلَكُمَا الشَّجَرُ وَأَقْلُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْءَ لَكُمَا عَذْرٌ شَرٌّ﴾ (سورة الأعراف) فيه دليل على صحة رواية النسائي^(٣): «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر متادياً... فكما أن الله تعالى نسب نداء الملك لأدم وحواء إلى نفسه لكونه بأمره، فكذلك صح استأذ نزول الملك إلى السماء الدنيا ليبلغ عن الله: «هل من داع فيستجيب الله له، وهل من سائل فيعطى» وهل من مستغفر فيغفر له»

(١) نقله عنه ابن كثير في تاريخه (١٠/٣٢٧).

(٢) زاد المسير (١/٢٢٥).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: عمل اليوم والليلة: باب الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار.

إلى الله. وفي الآية أيضا دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ ردّ اعتراض بعض المجسمة برواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال إن هذه الرواية تستلزم حصول قول من الملك: هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لأدم وحواء بأن الله يقول لكما: ﴿أَزْ أَنْتُمَا عَنْ يَتَكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الْكَيْدَ عِنْدُ غَيْبٍ﴾ (سورة الأعراف) كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمر الملك بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيّه إلى آخر ما ورد فيه. وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفري فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيّه. ونظير هذا ما جاء في القرآن من قوله تعالى لئله ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ يَسْأَلِ يَتَمَلَّ بِهِ﴾ (سورة الفاتحة) ﴿لَا تَقْرَأُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ﴾ (سورة الفاتحة)، فقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ﴾ (سورة الفاتحة) معناه فإذا قرأ جبريل عليك بأمرنا، ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرآن على رسول الله كما يقرأ المعلم على التلميذ. فهذا يتحلل الإشكال الذي يخطر لبعض الناس.

ويلزم من التمسك بظاهر رواية البخاري ومالك وغيرهما^(١) لحديث النزول المشهور أن يكون الله فيما بين النصف الثاني من الليل والفجر مستعزاً في النزول والصعود إن حملوا النزول بالنسبة لكل أرض، وذلك أن الليل يختلف باختلاف البلاد فنصف الليل في بلد هو أول النهار في بلد آخر وقد يكون في أرض أوله الليل أو أقل أو أكثر، وإن حملوا النزول على أرض واحدة فيما بين انتصاف ليلها وفجرها بأي حجة خصصوا النزول بأرض واحدة، والحديث ليس فيه بأرض كذا.

(١) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب القرآن: باب ما جاء في الدعاء، والبخاري في صحيحه: كتاب التهجد: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

المقالة الخامسة

١٢١

قال بدر الدين بن جماعة في كتابه إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ما نصه^(١): «اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه.

الأول: النزول من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة: متقل، ومتقل عنه، ومتقل إليه، وذلك على الله تعالى محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله، وتنقلات كثيرة، لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع المحطات شيئاً فشيئاً، فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلاً ونهاراً من قوم إلى قوم، وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم، ونزوله فيها إلى سماء الدنيا، ولا يقول ذلك ذو لبه وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش، وأنه ملأه كيف تسعه سماء الدنيا، وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين، إما اتساع سماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه، أو تضال ذات المقدس عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين». اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في السنن الكبرى^(٢) ما نصه: «أخبرنا أبو عبيد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبيد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَأَيْتُكَ وَالْمَلَكُ مَبْنًى سَبَّحًا﴾ [سورة الحجر] والنزول والمجيء صفتان متفتتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جلّ الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشتبهة بها علواً كبيراً، قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما يتكرر هذا وما أشبهه من الحديث من

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٦٤).

(٢) انظر السنن الكبرى (٣/ ٦٣).

يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدلي من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خير عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير». اهـ.

فليعلم الجاهل الذي لا تميز له أنه حاذ عن الحق الذي اتفق عليه السلف والخلف، فإن من أول من السلف والخلف تأويلاً إجمالاً قال في حديث النزول وحديث الجارية وشبههما، وفي «آية الاستواء على العرش والمجيء المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾» [سورة الفجر] وشبههما من الآيات: «بلا كيف»، ومرادهم أن ذلك على غير صفة من صفات الخلق أي ليس النزول كالنزول الحسي ولا الاستواء بمعنى الجلوس والاستقرار، ولا المجيء بالانتقال والحركة وما هو من صفات المخلوق، فمعنى قولهم بلا كيف أن لهذه النصوص معانٍ ليس فيها تشبيه لصفات الله بصفات الخلق.

وأما الذين أولوا التأويل التفصيلي كالذين أولوا المجيء بمجيء القدرة أي «أثار قدرة الله»، والنزول بنزول الملك أو نزول الرحمة وما أشبه ذلك كتأويل الإمام سفيان الثوري والإمام البخاري وجه الله المذكور في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص] بما أريد به وجه الله ويملك الله، فلم يصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين، فكلما الفريقين لم يمسك بظواهر تلك الآيات وتلك الأحاديث، فكل متفقون على تنزيه الله عن صفات المخلوقين وعلى أن تلك الآيات والأحاديث ليس معانيها المعاني المعهودة من الخلق، فلا أحد من الفريقين يعتقد في حديث النزول أن الله تعالى ينزل نزولاً حسيّاً كنزول الملائكة والبشر، ولا أحد منهم يعتقد أن معنى الاستواء الجلوس والاستقرار على العرش أو الكون في جهة العلو من غير مماسة، وذلك تمسك منهم بمعنى قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ

المقالة الخامسة

١٢٣

أَنْفُسُكُمْ أَنْزَلْنَا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَنْزَلْنَا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ [سورة الشورى] الذي هو تنزيه كلي، فترد تلك الآيات والأحاديث إلى هذه الآية لأنها محكمة. فغاية التأويل الإجمالي والتفصيلي لا مهرب لهم من الوقوع في المحال فيصبرون ضحكة عند أهل التمييز والفهم الذين يوفقون بين النقل والعقل.

قال تقي الدين الحصني ما نصه^(١): «وفي مواضع أغراضهم - أي ابن تيمية وأتباعه - الفاسدة يحرون الأحاديث على مقتضى العرف والحسن، ويقولون: ينزل بذاته وينقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته، ثم يقولون: لا كما يُعقل، يخالطون بذلك من يسمع من عامي وسيء الفهم، وذلك عين التناقض ومكابرة للحسن والعقل، لأنه كلام متهاافت يدفع آخره أوله وأوله آخره» اهـ.

(١) دفع شبه من شبه وتكرر (ص/ ٧ - ٨).

قِيلَ

مَجْمَعُ الْعُلُوِّ

لِلْعَلِيِّ الْعَفَّارِ

حَافِظِ

الْحَافِظِ شَمْسِ الدِّينِ الْقُدُّوسِ

مُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ

الْكَتَبُ الْإِسْلَامِي

الألباني يقول بأن اللفظتين (بذاته) و (بأنه) لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة والسلف

البحوي (أنه لا يحسن تفسير (استوى) - استقر - بل إنه بالغ في إسكار لفظة « بذاته » على جميع من قال : « هو تعالى فوق عرشه بذاته » لعدم ورودها عن السلف ، مع أنها مقسمة لفهوم بامتواء الله على خلقه حقيقة استواء يليق بحلاله وكماله ، واعتبرها من فضول الكلام ، فانظر ترجمة (١٣٣ - ابن أبي زيد) و (١٤٩ - يحيى بن عمار) و (١٤٣ - أبو عمر الطلمنكي) و (١٤٦ - أبو نصر السجزي) .

وعلى اللفظة « بذاته » ، وإن كانت عندي معقولة المعنى ، وأنه لا بأس من ذكرها للتوضيح ، فهي كاللفظة الأخرى التي كثر ورودها في عقيدة السلف وهي لفظة « بئنه » في قولهم : « هو تعالى على عرشه » ، بئنه من خلقه ، . وقد قال هذا جماعة منهم كما استواء في هذا المختصر في التراجم الأئمة (٤٣ - عبدالله بن أبي جعفر الرازي) و (٥١ - هشام بن عبدالله الرازي) و (٥٤ - مسدد بن داود المصيصي الحافظ) . (٦٥ - إسحاق بن راهويه ، عالم خراسان) وذكره عن ابن المبارك و (٥٧ - أبو زرعة الرازي) و (٧٦ - أبو حاتم السوادي) - وحكيه عن العلماء في جميع الأمصار - و (٧٧ - يحيى بن معاذ الرازي) و (٨٤ - عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ) و (١٠٠ - أبو جعفر ابن أبي شيبة) وكل هؤلاء من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ثم (١٠٥ - حماد البوشنجي الحافظ) وحكيه عن أهل الأمصار (١٠٦ - إمام الأئمة ابن خزيمة . و (١٢٢ - أبو القاسم الطبراني) و (١٣٠ - ابن بطة) و (١٣٨ - أبو نعيم الأصبهاني) وعزاه إلى السلف ، و (١٣٩ - جعفر بن زياد) و (١٥٢ - الفقيه نصر الملقني) و (١٥٥ - شيخ الإسلام الأنصاري) و (١٦١ - ابن موهب)

قلت : ومن هذا العرض يتبين أن هاتين اللفظتين : « بذاته » و « بأنه » لم تكونا معروفين في عهد الصحابة رضي الله عنهم . ولكن لما ابتدع المخم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان ، اقتضى ضرورة البيان أن يُلَفِّظ هؤلاء الأئمة الأعلام ، بلفظة « بئنه » دون أن يتكروا أحد منهم .

الْأَلْبَانِي يَعْتَرِضُ عَلَى الذَّهَبِيِّ وَابْنِ الْقَيْمِ

ومثل هذا تماماً قولهم في القرآن الكريم أنه غير مخلوق. فإن هذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضاً، وإنما كانوا يقولون فيه: كلام الله تبارك وتعالى، لا يزيدون على ذلك، وكان يعني الوقوف فيه عند هذا الحد، لولا قول جهنم وأشياعه من المعتزلة: إنه مخلوق، ولكن إذا نظر هؤلاء بالباطل، وجب على أهل الحق أن يعطفوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة من قبل: وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل عن الواقعة المدين لا يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق، هل لهم رخصة أن يقول الرجل: «كلام الله» ثم يسكت؟ قال: «ولم يسكت؟» لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيها تكلموا، «لا شيء» لا يتكلمون^(١٩) سمعه أبو داود عنه كما في «مسائله» (ص ٢٦٣ - ٢٦٤).

قال قلت: والمقصود أن المؤلف رحمه الله تعالى، أقر لفظة «بائن» لتابع أولئك الأئمة عليها دون تكبير من أحد منهم، وأنكر اللفظة الأخرى وهي «بذاته»، لعدم تواردها في أفواجمهم، إلا بعض المتأخرين منهم، فأنكر ذلك سالمة منه في المحافظة على سبج السلف، مع أن معناها في نفسه سليم، وليس فيها إثبات ما لم يرد، فكنت أحب له رحمه الله أن لا يتردد في إنكار نسبة القعود إلى الله تعالى وإقحامه ههنا على عرشه ما دام أنه لم يأت به نص ملزم عن النبي ﷺ، ومنهائ ليس له شاهد في السنة، ومعناه ولفظه لم يتوارث على الأئمة، وهذا هو الذي يدل عليه بعض كلماته المتقدمة حول هذا الأمر، ولكنه لما رأى كثيراً من علماء الحديث أقروا له لم يجز على التزام التصريح بالإنكار، وإنما تارة وتارة، والله تعالى بغفر لما وله

ومن العجيب حقاً أن يعتمد هذا الأمر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فإنه نقل كلام القاضي أبي يعلى فيه وبعض أسماء الغائلين به، ثم قال ابن القيم رحمه الله

(١٩) قلت: لو أن الشيخ القتيبي رحمه الله قطع على الإمام أحمد لما قطع به.

الألباني يبين كذب ابن القيم على مجاهد و الدارقطني

قلت : وهو قول ابن جرير الطبري ، وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير ، وهو قول أبي الحسن الدارقطني ، ومن شعره فيه .

ثم ذكره مثلاً ذكره المصنف فيما يأتي في ترجمة (١٣١ - الدارقطني) وزاد بيتاً وابعاً لعل المصنف يعتمد حذفه :

« ولا تنكروا أنه قاعد » « ولا تنكروا أنه يقعد » ؟

قلت : وقد عرفت أن ذلك لم يثبت عن مجاهد ، بل صح عنه ما يخالفه كما تقدم . وما عزاه للدارقطني لا يصح إسناده كما بيناه في « الأحاديث الضعيفة » (٨٧٠) ، وأشارت إلى ذلك تحت ترجمة الدارقطني الأئمة . وجعل ذلك قولاً لابن جرير فبه نظر ، لأن كلامه في « التفسير » يدور على إمكان وقوع ذلك كما سبق لا أنه وقع وتحقق ، ولذلك قال الإمام القرطبي في « تفسيره » (٣١١ / ١٠) :

« وحسد الطبري جواز ذلك يشطط من القول ، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى ، وفيه بعد ، ولا ينكر مع ذلك أن يروى ، والعلم بتأوله » .

ثم بين وجه تأويله ، بما لا حاجة بنا إلى ذكره والنظر فيه ، ما دام أنه أثر غير مرفوع ، ولو افترض أنه في حكم المرفوع ، فهو في حكم المرسل الذي لا يصح به في الفروع فضلاً عن الأصول ، كما ذكرت ذلك أو نحوه فيما يأتي من التعليق على قوله بعضهم : « ولا تنكلم في حديث فيه فضيلة للنبي ﷺ بشيء » ؟ التعليق (٢٦٥) .

ولعل للمصنف رحمه الله تعالى يشير إلى ذلك بقوله في ترجمة (١٦٢ - الثاقبي العلامة أبو بكر بن العربي) وقد نقل عنه القول بهذا القعود مع عل العرش : قال :

« وما علمت للثاقبي مستنداً في قوله هذا سوى قول مجاهد » .

وبخلاصة القول : إن قول مجاهد هذا - وإن صح عنه - لا يجوز أن يتخذ

سِيرٌ أَعْلَامُ النَّبِيَاءِ

تَأَلَّفَتْ
الرَّحْمَةُ الْمَافِظُ سَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٧٤٨ هـ

تَمَقَّقَ
مُصَدِّقُ بَيْتِ الْقَادِرِ عَمَلًا

الطَّبْعَةُ أَحْمَدِيَّةُ الْقَامِلَةُ وَالْمُزَيَّنَةُ
وَتَشْتَمِلُ عَلَى: السِّيَرِ النَّبَوِيِّ وَالْفُجَرَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَالْهَزْلِ وَالْأَعْيَادِ
الْمَقْصُودِ وَالْقَبْلِ الْمُسْتَقَرِّ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِينَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِينَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَجْمُوعَةُ السَّادِسَةُ

الْمَجْمُوعَةُ:

سِتَّةُ الطَّبْعَةِ السَّادِسَةِ وَالطَّبْعَتَانِ السَّابِقَتَانِ وَالْثَامَتَانِ

مَسْئُورَاتُ
مَوْحِدَاتُ رَحْمَتِ بَيْتِ
دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ
مَسْئُورَاتُ - قَسَمَاتُ

مالك بن أنس الإمام

٣٢٩

أبو أحمد بن غدي: حدثنا أحمد بن علي العدائني، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جابر، حدثنا أبو زيد بن أبي الغمر، قال: قال ابن القاسم: سألت مالكا عن حدث بالحديث: الذين قالوا: (إن الله خلق آدم على صورته)، والحديث الذي جاء: (إن الله يتكلم عن ساقه)، وأنه يدخل يده في جفنتهم حتى يخرج من أواذ، فلتكر مالكا ذلك إنكارا شديدا، ونهى أن يحدث بها أحد. فقيل له: إن ناسا من أهل العلم يتخذون به. فقال: من هو؟ قيل: ابن عجلان، عن أبي الزناد. قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالما، وذكر أبا الزناد، فقال: لم يزل عاملا لهؤلاء حتى مات. رواها: مقدم الرعي، عن أبي أبي الغمر، والحديث بن مسكين، قال: حدثنا ابن القاسم.

قلت: أنكر الإمام ذلك، لأنه لم يثبت عنده، ولا أفضل به، فهو مذكور، كما أن صاحبه (الصحاحين) مذكوران في إخراج ذلك - أعني: الحديث الأول والثاني - فيقول شيخنا وأما الحديث الثالث، فلا أعرفه بهذا اللفظ، فقولنا في ذلك وبابه: الإقرار، والإقرار، وتوقيض معناه إلى قوله الصادق العظمى.

وقال ابن غدي: حدثنا محمد بن مازون بن حسان، حدثنا صالح بن الوليد، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك، قال: استأذنني - مبارك وتعالى - فقرأه، فأما هو - لما لم يزل، قال صالح: فقد كثر ذلك لمحيي بن تكبر، فقال: حسن والله، ولم أسعه من مالك.


قلت: لا أعرف صالحا، وحبيب مشهور، والمحفوظ عن مالك: ترجمه الله - رواية الوليد بن مسلم، أنه سأل عن أحاديث الصفات، فقال: أبرزها كما جاءت، بلا تفسير. ليكون للإمام في ذلك قولان: إن حدث رواية حبيب.

أحمد بن عبد الرحيم بن البرقي: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا عمرو بن عثمان، أن أبا حنيفة قال لمالك: يا أبا عبد الله، إن أهل دمشق يقرؤون: إبراهيم. فقال: أهل دمشق يأخذون بطريق أعلم منهم بالقراءة. قال له أبو حنيفة: إنهم يذعنون بقراءة عثمان. قال مالك: لهذا مصحف عثمان عندي. وقرأ به، ففتح، فإذا فيه: إبراهيم، كما قال أهل دمشق.

قلت: رسم المصحف محتمل للقراءتين، وقراءة الجمهور أفضح وأولى. قال ابن القاسم: سألت مالكا عن علي وعثمان، فقال: ما أذكرت أحدا ممن أفتدي به إلا وهو يقرأ الكف عنهما. قال ابن القاسم: يريد التفضيل بينهما. فقلت: فأبو بكر، وعمر؟ فقال: ليس فيهما إشكال، إلهما أفضل من غيرهما.

قال الحسن بن رقيق: سمعت السائي يقول: أمناه الله على علي بن رسول الله ﷺ ثلاث: شعبة، ومالك، وحيير القطان.

قال القاضي عياض: قال معمر: انصرف مالك يوما، فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية، مشتم بالإنجاء، فقال: اسمع بني. قال: احذر أن أشهد عليك. قال: والله ما أريد إلا



بيان تناقضات رموز المشبهة
وأعلام المجسمة وتذبيذهم في
شرح حديث النزول، وكلامهم
الصريح في التجسيم : من ابن
تيمية وتلاميذه إلى الألباني
وابن العثيمين.

تأليف المدعو عبد الله بن عبد الحميد الأثري، تقديم المدعو صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الكتاب المسمى الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة، الجزء ١ / صفحة ٤٩ يقولون: وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته.

قول أهل
البدع:
نزول الله
حقيقي.

في الكتاب المسمى شرح العقيدة الواسطية الجزء ١ / صفحة ٢٠٩ يقولون: فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِالنُّزُولِ صِفَةً حَقِيقَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَشَاءُ، فَيُنْزِلُونَ النُّزُولَ كَمَا يُشِئُونَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الَّتِي ثَبَتَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَقْفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ وَلَا يَنْقُضُونَ وَلَا يُعْطِلُونَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الرُّسُولَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ يَنْزِلُ.

(في الأصل) تأليف ابن عبد الوهاب - ومحمد خان القنوجي - محمود شكري الألوسي (توسع فيها)

في الكتاب المسمى قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر الجزء ١ / صحيفة ٥٧ يقولون: وأما أهل النفي والجحود، فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا حال فيه، ولا فوق العالم، ولا فيه، ولا ينزل منه شيء.

تأليف المدعو عبد الرحمن بن ناصر السعدي

فِي الْكِتَابِ الْمُسَمَّى التَّيْبِيَّاتِ اللَّطِيفَةِ فِيمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ
الْمُبَاحِثِ الْمُنِيفَةِ، الْجُزْءُ ١ / صَفْحَةُ ٥١ يَقُولُونَ: وَأَنْ نَزُولَهُ حَقِيقَةٌ
كَيْفَ يَشَاءُ.

فِي كِتَابِ الْأَلْبَانِيِّ الْمُسَمَّى السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ الْجُزْءُ ٦ / صَحْرٍ
٥٠ يَقُولُ: وَقَدْ أوردَ الْحَدِيثَ عَلَى الصَّوَابِ فِيهَا (ص ٣٧٣) وَاسْتَدَلَّ
بِهِ عَلَى نَزُولِهِ تَعَالَى بِذَاتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ.

قَوْلُ
الْمُجَسِّمَةِ:
اللَّهُ يَنْزِلُ
بِذَاتِهِ.

فِي الْكِتَابِ الْمُسَمَّى قِسْمِ الْعَقِيدَةِ قِيلَ (الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ) لِابْنِ
عِثْمِينَ الْجُزْءُ ٩ / صَحِيفَةُ ٢٦ يَقُولُ: وَلِهَذَا لَمْ يَتَكَلَّمِ الصَّحَابَةُ فِيمَا أَعْلَمَ
بِلَفْظِ الذَّاتِ فِي الْإِسْتَوَاءِ وَالنُّزُولِ، أَيْ لَمْ يَقُولُوا: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
بِذَاتِهِ، أَوْ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِذَاتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَفْهُومٌ مِنَ اللَّفْظِ، فَإِذَا
الْفِعْلُ أَضِيفَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِمَّا إِلَى الْإِسْمِ الظَّاهِرِ، أَوْ الضَّمِيرِ، فَإِذَا
أَضِيفَ إِلَيْهِ كَانَ الْأَصْلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ ذَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكِنْ لَمَّا حَدَثَ
تَحْرِيفٌ مَعْنَى الْإِسْتَوَاءِ وَالنُّزُولِ احْتِاجُوا إِلَى تَوْكِيدِ الْحَقِيقَةِ بِذِكْرِ
الذَّاتِ.

وَفِي الْجُزْءِ ١٠ / صَحِيفَةُ ٢ قِيلَ (بَابُ النُّزُولِ) يَقُولُ: اللَّهُ تَعَالَى نَفْسُهُ
يَنْزِلُ حَقِيقَةً.

وَفِي الْجُزْءِ ٣٢ / صَحِيفَةُ ٣٩ قِيلَ (الْقَوَاعِدُ الْمُثَلَّى فِي صِفَاتِ اللَّهِ
وَأَسْمَائِهِ) يَقُولُ: فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ مَقْتَضَى كَوْنِهِ تَعَالَى مَعَ عِبَادِهِ
أَنَّهُ يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ، وَيَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ، وَيَرَى أَعْمَالَهُمْ، وَيُدَبِّرُ شُؤْنَهُمْ،

فِيحْيِي، وَيُثَمِّثُ، وَيُغْنِي، وَيُفْقِرُ، وَيُؤْتِي الْمَلِكُ مِنْ يَشَاءَ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكُ
مِنْ يَشَاءَ، وَيَعِزُّ مِنْ يَشَاءَ، وَيَذِلُّ مَنْ يَشَاءَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ عَمَّا تَقْتَضِيهِ
رَبُوبِيَّتُهُ وَكَمَالُ سُلْطَانِهِ لَا يَحْجِبُهُ عَنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ.

قيل: وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ فَهُوَ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةٌ، وَلَوْ كَانَ فَوْقَهُمْ عَلَى
عَرْشِهِ حَقِيقَةٌ.

وَفِي الْجُزْءِ ٣٣ / صَفْحَةُ ٢٨ قِيلَ (قَتَحَ رَبُّ الْبَرِيَّةِ بِتَخْلِيصِ الْحَدَرِيَّةِ)
يَقُولُ: وَنَزُولُهُ تَعَالَى: إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْ صِفَاتِهِ الْفَعْلِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ
بِمُشَيَّتِهِ وَحُكْمَتِهِ وَهُوَ نَزُولُ حَقِيقَتِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

وَفِي الْجُزْءِ ٣٤ / صَحِيفَةُ ١٩ قِيلَ (تَعْلِيْقَاتٌ عَلَى الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ)
يَقُولُ: وَمَعْنَى النُّزُولِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُ يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ نَزُولًا
حَقِيقِيًّا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ إِلَّا هُوَ.

وَفِي الْجُزْءِ ٣٦ / صَحِيفَةُ ١٥ قِيلَ (شَرْحُ لَمْعَةِ الْإِعْتِقَادِ الْهَادِي إِلَى
سَبِيلِ...) يَقُولُ: وَهُوَ نَزُولُ حَقِيقَتِي يَلِيقُ بِاللَّهِ.

ابْنُ عَثِيمٍ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى شَرْحُ الْوَاسِطِيَّةِ الْقِسْمُ الثَّالِثُ الْجُزْءُ ٦١ /
صَحِيفَةُ ١٨ يَقُولُ: فَإِذَا آمَنْتَ بِأَنَّهُ يَنْزِلُ حَقِيقَةً عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ
بِمُسْتَحِيلٍ.

وَصَحِيفَةُ ٣٤ يَقُولُ: وَقَوْلُهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»: نَزُولُهُ تَعَالَى
حَقِيقَتِي. وَصَحِيفَةُ ٣٥ يَقُولُ: بِهَذَا يَتَبَيَّنُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ قَرَأَ هَذَا الْحَدِيثَ
أَنَّ الْمُرَادَ بِالنُّزُولِ هُنَا نَزُولُ اللَّهِ نَفْسَهُ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نَقُولَ: بِذَاتِهِ، مَا

دام الفعل أضيف إليه، فهو له، لكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته، لأنهم لجئوا إلى ذلك، واضطروا إليه، لأن هناك من حرفوا الحديث. وصحيفة ٣٦ يقول: فنقول: هو ينزل حقيقة مع علوه حقيقة.

في كتاب ابن عثيمين المسمى شرح العقيدة السفارينية ٢، الجزء ٧١ / صحيفة ٢٠ يقول: ولا تقول: ينزل إلى السماء الدنيا بذاته، ما دام أن قيل: الفعل مضاف إلى الله فهو صادر منه، لكن ورد في كلام بعض السلف، قولهم: إن الله استوى على العرش بذاته، ومرادهم بهذا الرد على قول من قال: إن الله استولى على العرش.

وصحيفة ٢١ يقول: حيثما تضطر إلى أن تقول: (بذاته): (ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) (٢٤).

لا نزيد ونقول: ينزل بذاته، لأن الله أضاف النزول إليه نفسه، فإذا قال: (ينزل) يعني هو نفسه ينزل، ما حاجه إلى أن تقول: (بذاته)، لكن لا قال المعطلون: إنه ينزل أمره، احتاج أهل السنة أن يقولوا: إنه ينزل بذاته يعني ينزل ذاته.

وفي صحيفة ٥٣ يقول: ينزل نزولا حقيقياً بذاته إلى السماء الدنيا.

وفي صحيفة ٥٤ يقول: وقد أجمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم، على أن المراد ينزل ربنا بذاته.

والدليل على إجماعهم: أنه لم يأت عنهم حرف واحد يقولون: إن المراد ينزل شيء آخر غير الله.

قول
المجسمة
الله ينزل
بذاته.

ابن عثيمين في ما يُسميه قسم العقيدة، شرح العقيدة السفارينية الجزء ٧١ / صحيفة ٧٨ يقول: حتى بعض السلف أنكر أن تقول: أن الله استوى على العرش بذاته أو أن الله ينزل بذاته، لكن الذين قالوها اضطروا في ذلك الوقت إلى أن يقولوا هذا.

ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، قيل: الوهابية لا تناصب آل البيت العداء الجزء ١٢ / صحيفة ١٩٠ يقول: الوهابية لا تناصب آل البيت العداء بل هي على طريقة السلف الصالح.

س: هل صحيح أن الوهابية تناصب آل البيت العداء، وأنها تنتقص من سيد الخلق، وما حقيقة الدعوة الوهابية؟ ولماذا تحارب بهذا الشكل؟.

ج: الوهابية منسوبة إلى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ، وهو الذي قام بالدعوة إلى الله سبحانه في نجد، وأوضح للناس حقيقة التوحيد والشرك، ودعا الناس إلى توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه، وترك التعلق على أصحاب القبور، ممن يسمون بالأولياء، ودعاهم من دون الله والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم والنذر لهم، وهكذا من يتعلق بالجن أو بعض الأشجار والأحجار، وأوضح الناس هو وأتباعه من العلماء: أن هذا هو الشرك الأكبر.

قيل: وكان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، إلى أن توفي رحمه الله في التاريخ المذكور، وساعده في ذلك ونصر دعوته الإمام محمد

بن سعود رحمه الله، جد الأسرة المالكة اليوم من آل سعود، وناصر دعوته وقام بها كل من لديه علم بما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحق، فانتشرت دعوته رحمه الله في نجد وملحقاتها، وأيدها علماء السنة في نجد والحجاز واليمن، وفي مصر والشام والعراق، والهند وغيرها.

وحقيقتها هي الدعوة إلى ما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من توحيد الله، والإخلاص لمن وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وذلك بالإخلاص لله ومتابعة رسوله ﷺ، وترك ما عليه عباد القبور والأولياء من دعوة غير الله والاستغاثة بغير الله والذبح والنذر لغير الله.

ابن باز في كتابه المسمى نور على الدرب، قيل: باب الافتراء على الإمام محمد بن عبد الوهاب، الجزء ١ / صحيفة ١٨ يقول: أما الوهابية فهم أتباع الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي رحمه الله، فهو إمام مشهور دعا إلى الله عز وجل في نجد في القرن الثاني عشر.

ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز، الجزء ٤ / صحيفة ٢٣٣ يقول: وليت الوهابية حسب تعبير الكاتب بدعا في إنكار مثل هذه الأمور البدعية، بل عقيدة الوهابية: هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.

وفي مجموع فتاويه الجزء ١٢ / صحيفة ١٩١ يقول ابن باز: كما أن الوهابية يسرون على منهج السلف الصالح.

يقول ابن عثيمين في كتابه المسمى (تفسير القرآن للعنيسين) في تفسيره لسورة الحديد، الجزء ١٥ / صحيفة ١٠: إذن بطل أن يكون معنا بذاته في أمكنتنا لأنه إما أن يكون متعدداً، وإما أن يكون متجزئاً، وكلاهما باطل.

فهرس

٣

• مقدمة

• بيان الدلالة اللغوية للفظ (النزول) من أقوال العلماء ٣٣
واللغويين والمفسرين، وأنه لا ينحصر في معاني الحركة
والانتقال، بل يأتي بعدة معانٍ: حقيقة ومجازية.

• بيان النقول الثابتة الصريحة من نصوص أعلام الأئمة ٦٩
والمفسرين وشراح الحديث، من السلف والخلف،
والمذاهب الأربعة، في شرح وتأويل حديث النزول
بما يوافق عقيدة الهدى والتوحيد، ويُبطل مزايم أهل
التشبيه والتجسيم والضلال.

• فائدة مهمة في بيان تأويل المجيء الوارد في قوله تعالى ١٩٣
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

• بيان تناقضات رموز المشبهة وأعلام المجسمة وتذبذبهم ٢١٥
في شرح حديث النزول، وكلامهم الصريح في التجسيم؛
من ابن تيمية وتلاميذه إلى الألباني وابن العثيمين.

لُبَابُ النُّقُولِ

في تأويل حديث النزول

مكتبة دار الفقه الإسلامي

بمقر دار الفقه الإسلامي - القاهرة



9789953207025